

بیان السعادة فی مقامات العبادة

حاج سلطان محمد گنابادی

ملقب به سلطانعلیشاه







هو
١٢١

متن عربى

تفسير شريف
بيان السّعادة فى مقامات العبادة

تأليف

العارف الشّهير

سلطان محمّد الجنابذى سلطانعليشاه

هو

۱۲۱

(المجلّد الحادی عشر)

متن تفسیر شریف

بیان السّعادة فی مقامات العبادة

تألیف

العارف الشّهیر

الحاج سلطان محمّد الجنابذی الملقّب بسلطانعلیشاه

طاب ثراه

سورة النّمل

مكّيّة كلّها؛ خمس و تسعون آيةً



[طسٓ تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ] قـرئ بـالجرّ عطفاً على القرءان، بالرّفع عطفاً على ءايات القرءان، تنكيره للتّفخيم.

[هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِالْأَخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ] قدمضى الاٰيات بتمام اجزائها فى اوّل البقرة بما لا مزيد عليه.

[إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ] جواب سؤالٍ مقدّرٍ كأنّه قيل بعد ماقال: هدىً و بشرى للمؤمنين فما حال غير المؤمنين؟

قال: انّ الّذين لا يـؤمنون [بِالْأَخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَـٰلَهُمْ] الّتى يعملونها لدنياهم و بهوى انفسهم حتّى لا ينصرفوا عنها، او زيّنّا اعمالهم الّتى امرناهم بها و كانت لائقة بانسانيّتهم لعلّهم ينتهون عن غيّهم و يرغبون فى اعمال الخير و اعتقاد المبدء و اليوم الاٰخر.

[فَهُمْ يَعْمَهُونَ] اى يتردّدون و لا يطمئنّون على اعمالهم النّفسانيّة و لا ينسلخون عنها بالكلّيّة [أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ] فى الدّنيا فانّ التّحيّر و التّردّد فى الامر عذاب عاجل على انّهم يحسبون كلّ صيحة عليهم و لا يطمئنّون على امرٍ.

[وَهُمْ فِى ٱلْأَخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ] لانّهم بعدم اعتقادهم لليوم الاٰخر لا يعملون له و يعملون لمشتهياتهم الفانية فيفنون بضاعتهم الّتى جعلها الله

لهم بضاعة للآخرة ويأخذون عوضها عذاباً فى الاُخرة.

[وَ إِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ] عطف على انّ الّذين لايؤمنون و الجامع اشتراكهما فى كونهما جواباً للسّؤال المقدّر.

كأنّه قال: ماحال غير المؤمنين؟

و ماحالى فى شهودى للآخرة الّذى هو فوق الايمان بها بالغيب؟

فقال: حال غير المؤمنين كذا و حالك انّك تلقّى القرءان اى المقام الجامع بين الوحدة و الكثرة.

[مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ] فى علمه او فى عمله و علمه و يكون قوله [عَلِيمٍ]تأكيداً و قدمضى مكرّراً انّ الحكمة عبارة عن اللّطف فى العمل و اتقانه بحيث يكون ذا غاياتٍ عديدةٍ مترتّبةٍ متقنة.

و اللّطف فى العلم بحيث يكون ادراك الشّيء مستلزماً لادراك مبادية و غاياته الجليّة و الدّقيقة الخفيّة،قد تستعمل الحكمة فى كلّ منفرداً عن الاُخر.

[إِذْ قَالَ مُوسَىٰ] ظرف لعليم او حكيم، يكون تقييد علمه تعالى او حكمته مع اطلاقهما فى حقّه تعالى للاشعار بانّ ماوقع لموسى عليه السلام و ما وقع منه لم يكن الاّ بعلمه و حكمته و كان مشتملاً على دقائق الغايات و دقائق الاعتبارات فيكون فى الحقيقة تقييداً لماوقع له و منه عليه السلام و بعلمه تعالى و حكمته.

او متعلّق بقوله لتقلقّى القرءان و المعنى حالك انّك تمكّنت فى الحضور عند ربّك و ترفّعت عن جميع المقامات و الشّهودات اذ كان موسى عليه السلام مشاهداً لبعض ءاياته و مضطرباً فى مشاهداته نظير: كنت نبيّاً و ءادم بين الماء و الطّين.

[لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ

ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ]قرئ بشهابٍ قبسٍ بطرين التّوصيف و بطريق الاضافة و الشّهاب الشّعلة من النّار.

و اختلاف الكلمات فى الحكايات المكرّرة امّا للاشارة الى انّها منقولة بحسب المعنى و المنقول بحسب المعنى يؤدّى بألفاظٍ مختلفةٍ مترادفةٍ او متوافقةٍ فى اداء المقصود.

او للاشارة الى انّ السّؤالات و اجوبتها كانت كثيرةً وكلّما ذكر حكايةً منها يذكر بعضها.

[لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِىَ أَن بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ وَ مَنْ حَوْلَهَا وَ سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ]لمّا قال من فى النّار و من حول النّار و توهّم منه انّه محاط قال تعالى: سبحان الله من ان يكون محاطاً لانّه ربّ العالمين ؛ و ربّ العالمين لايكون محاطاً لشيءٍ من مربوباته.

[يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ]يعنى انّ المتكلّم معك هو الله فتنبّه واستعدّ لمايلقى اليك فالهاء ضمير المتكلّم و انا خبره و الله بدله.

و يجوز ان يكون الهاء ضمير الشّأن و اناالله جملة مفسّرة له، نقل انّه بعد ما سمع هذه الكلمة سأل البرهان عليهافقال تعالى [وَ أَلْقِ]معطوف على محذوف جواب للسّؤال المقدّر او المذكور والتّقدير ايقن ذلك والق [عَصَاكَ]و يجوز ان يكون عطفاً على بورك حتّى يكون مثل بورك تفسيراً لنودى، ان يكون عطفاً على انّه انا الله فانّه فى معنى قال يا موسى انّه انا الله و ألق عصاك فألقاها فصارت حيّةً حيّةً متحرّكةً فنظر فرءاها حيّة متحرّكة.

[فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ] تتحرّك [كَأَنَّهَا جَآنٌّ]حيّة غير عظيمة فانّ الجانّ حيّة غير عظيمةٍ غير موذية كحلاء العينين.

قيل: انّها فی ذلك المقام صارت حيّةً غير عظيمة غير موذية لانّها كانت اوّل مارءاها فلم يجعلها الله حيّةً عظيمة مثل ماصارت عند ملاقاة فرعون لئلاّ يستوحش كثيراً ومع ذلك خاف منها[۱].

و [وَلَّىٰ مُدْبِرًا] حال مؤكّدة [وَ لَمْ يُعَقِّبْ] لم يرجع على عقبه او لم ينظر الى عقبه [يَـٰمُوسَىٰ] جواب سؤالٍ مقدّرٍ بتقدير القول اى قلنا يا موسى [لَا تَخَفْ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ] يعنى انّ الخوف ليس الاّ من بقايا الانانيّة تبقى على العبد والمرسلون اذا بلغوا الى مقام الحضور و كانوا عند الرّبّ لم يكن عليهم شيءٌ من انانيّاتهم فلم يكن لهم ما عليه يخافون من الانانيّة و ما يلزمها من نسبة الامال و الافعال و الصّفات اليها.

[إِلَّا مَن ظَـلَمَ] استثناء منقطع يعنى لكن من ظلم [ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا بَعْدَ سُوٓءٍ] بتدارك ظلمه فيما له تدارك و بالاستغفار و التّوبة فيما ليس له تدارك فانّه يخاف ولكن اغفر له و ارحمه.

[فَإِنِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ] او استثناء متّصل و يكون المراد بالظّلم بقايا اثر النّفس عليهم حتّى لا ينافى عصمة الانبياء عليهم السلام يعنى الاّ من كان باقياً عليه من انانيّته شيءٌ فانّه ظلم بوجهٍ على انسانيّته.

و يؤيّد هذا المعنى قراءة الاّ من اظلم من باب الافعال ثمّ بدّل هذا الظّلم حسناً حتّى لا يمنع ظلمه من رسالته، تبديله حسناً بان لا يستبدّ بتلك الانانيّة ويلتجيء اليّ و يتضرّع عليّ ويستوحش من انانيّته ويستغفرنى فانّى لااؤ اخذه بتلك الانانيّة و اغفرها له و ارحمه باعطاء منصب الرّسالة لانّى غفورٌ رحيمٌ.

۱. مجمع البيان ج۷-۸ ص۲۱۲

[وَ أَدْخِلْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ]جيب القميص معروف و المقصود ان يدخل يده تحت قميصه و ثيابه و يضعه على قلبه ليطمئنّ من الرّهب و يتأثّر يده من ضوء قلبه كما قال و اضمم اليك جناحك من الرّهب.

في تفسير تسع ءايات

[تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ]اى من غير علّة البرص [فِى تِسْعِ ءَايَـٰتٍ]قداختلف الاخبار فى تعيين التّسع .

و فى خبرٍ عن النّبىّ ﷺ: هى ان لاتشركوا به شيئاً و لاتسرفوا، و لاتزنوا و لاتقتلواالنّفس الّتى حرّم‌الله الاّ بالحقّ، لاتمشوا ببريءٍ الى سلطان ليقتل، لاتسخروا،،لاتأ كلوا الرّبوا، لاتقذفوا المحصنة، و لاتولّوا للفرار يوم الزّحف، و عليكم خاصّةً يا يهود ان لاتعتدوا فى السّبت.

و كان يهودىٌّ سأله عن الأيات فلمّا سمع منه قبّل يده و قال: اشهد انّك نبىٌّ.

و فى اخبارٍ كثيرةٍ فسّر الأيات التّسع بما كان يظهر منه من المعجزات مثل الجراد و القّمل و الضّفادع و غير ذلك مع اختلافٍ فى تعيينها.

فانّ الظّاهر على يد و بواسطته كان اكثر من التّسع، و الظّرف حال من فاعل تخرج او ظرف لغو متعلّق بفعل من افعال الخصوص حالاً من فاعل ادخل مثل ذاهباً او مرسلاً فى تسع ءايات.

و يحتمل ان يكون اليد من جملة التّسع او زائدة على التّسع.

[إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَ قَوْمِهِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً فَاسِقِينَ] فذهب فى الأيات الى فرعون و قومه [فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَـٰتُنَا مُبْصِرَةً]من ابصره اذا نظر اليه ورءاه فيكون نسبته الى الأيات مجازاً عقليّاً، او من ابصره اذاجعله بصيراً.

و قرئ **مبصرة** بفتح الميم و الصّاد بمعنى محلّ التّبصّر، او مصدراً بمعنى ذوات ابصار.

[قَالُواْ هَـٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ وَجَحَدُواْ بِهَا]اى جحدوا موسى بسبب الأيات مكان الاقرار بها لكمال عنادهم مع الحقّ و فسوقهم او جحدوا الأيات من حيث انّها ءايات الهيّة و قالوا انّها سحرٌ.

[وَ ٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُـلْمًا وَ عُلُوًّا] اى استكباراً [فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ] وقدسبق فى سورة الاعراف تفصيل الأيات و كيفيّتها و كيفيّة ابتلائهم بها و عاقبة امرهم.

[وَ لَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَ سُلَيْمَـٰنَ عِلْمًا] عظيماً فانّ ما ءاتاهما الله و ان كان بالنّسبة الى علم الله و علم محمّدﷺ و ءالهعليهم السلام حقيراً لكنّه فى نفسه عظيمٌ كثيرٌ، او شيئاً يسيراً من علم ءالمحمّدﷺ و بهذا القدر اليسير تجاوب داودعليه السلام الجبال و الطّيور و علم سليمانعليه السلام منطق الطّيور و سائر الحيوان و سخّر الجنّ و الطيّور و الحيوان و الرّياح.

[وَ قَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ] يعنى انّهما اظهرا شكراً لنعمة العلم و المقصود تفضيلهم على كثيرٍ من العباد من زمن ءادمعليه السلام او على كثيرٍ من عباد زمانهم بادخال الملائكة فيهم.

او قالوا ذلك لاحتمالهم او علمهم بكون بعض العباد الحامدين افضل منهم او لهضم انفسهم ولتعليم الغير طريقة الشّكر و انّ الشّاكر على النّعم لا ينبغى ان يغترّ بالنّعم و يعجب بنفسه.

بل ينبغى ان يرى فى كلّ الاحوال لغيره فضلاً على نفسه حتّى لا يبتلى بالغرور و الاعجاب بالنّفس و فيه دلالة على فضل العلم بالنّسبة الى سائر النّعم

حيث ذكر تعالى شكرهما عقيب ايتاء العلم معلّقاً على التّفضيل على العباد بسبب العلم مع انّهما اوتيا ملكاً عظيماً وسلطنة وسيعةً.

[وَ وَرِثَ سُلَيْمَـٰنُ دَاوُودَ] ماينبغى ان يرثه منه من الرّسالة والعلم والملك والسّلطنة، و لذلك حذف المفعول الثّانى.

قيل للجوادعليه السلام انّهم يقولون فى حداثة سنّك؛ فقال: انّ الله اوحى الى داودعليه السلام ان يستخلف سليمان و هو صبىّ يرعى الغنم فأنكر ذلك عبّاد بنى اسرائيل و علماؤهم، فأوحى الى داودعليه السلام ان خذ عصاالمتكلّمين و عصا سليمانعليه السلام و اجعلهما فى بيتٍ و اختم عليهما بخواتيم القوم فاذا كان من الغد فمن كانت عصاه قد اوزفت و اثمرت فهو الخليفة فأخبرهم داودعليه السلام فقالوا: قدرضينا و سلّمنا[1].

[وَ قَالَ] اظهاراً لنعم الله شكراً لها [يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا] اتى بعلّم مبنيّاً للمفعول للتّبرّى من الانانيّة و انّ العلم الّذى اعطاه الله تعالى كان من محض فضل الله لا من نفسه.

[مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَ أُوتِينَا] اتى ههنا باوتينالماذكر [مِن كُلِّ شَىْءٍ] انّما قال من كلّ شيءٍ لانّه لا يمكن للممكن ولو بلغ مابلغ ان يؤتى كلّ شيءٍ الاّ ان يخصّص الشّيء بالممكنات و حينئذٍ لا يكون لغير الخاتم ان يقول واوتينا كلّ شيءٍ.

و فى خبرٍ: ليس فيه من وانّما هى واوتينا كلّ شيءٍ، وبعد ماذكر انّه ليس من نفسه فخّمه وعظّمه تعظيماً لانعام الله ونعمه فقال [إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ].

---

۱. نورالثقلين ج ۴ ص۷۷ ح۲۰ و الكافى ج ۱ ص۳۸۳ ح۳

عن الصّادق عليه السلام اعطى سليمان بن داود عليه السلام مع علمه معرفة المنطق بكلّ لسانٍ ومعرفة اللّغات ومنطق الطّير والبهائم والسّباع وكان اذا شاهد الحروب تكلّم بالفارسيّة، واذا قعد لعمّاله وجنوده واهل مملكته تكلّم بالرّوميّة، واذ خلا بنسائه تكلّم بالسّريانيّة والنّبطيّة. واذا قام في محرابه لمناجاة ربّه تكلّم بالعربيّة، واذا جلس للوفود والخصماء تكلّم بالعبرانيّة[1].

و عنه عن ابيه عليهما السلام: اعطى سليمان بن داود عليه السلام ملك مشارق الارض و مغاربها فملك سبعمائة سنة و ستّة اشهر ملك اهل الدّنيا كلّهم من الجنّ و الانس و الشّياطين و الدّوابّ و الطّير و السّباع و اعطى علم كلّ شيءٍ و منطق كلّ شيءٍ و في زمانه صنعت الصّنائع العجيبة الّتي سمع بها النّاس و ذلك قوله علّمنا[2] [الآية].

و قد كثر في اخبارنا انّ الائمّة عليهم السلام اعطوا جميع مااعطى سليمان عليه السلام و لهم الفضل عليه[3].

[وَحُشِرَ لِسُلَيْمَـٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ] قدّم الجنّ لانّ معظم الامور الّتي تتمشّى من الجنود مثل سرعة السّير والاخبار بالوقائع الواقعة في النّواحي وصنع الصّنائع العجيبة الّتي يحتاج اليها السّلاطين كان منهم.

[وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ] خصّها من بين سائر الحيوان للاحتياج اليها في التّظليل [فَهُمْ يُوزَعُونَ] يحبسون حتّى يلتحق اوّلهم بآخرهم اذا كان من وزع كوضع بمعنى كفّ، او يعزون اذا كان من اوزعه بمعنى اغراه، او يدبّر امورهم ويعلمون من وزع اذا دبّر امور الجيش، او يجعلون جماعاتٍ من

---

۱. الصافي ج۴ ص۶۱ و تفسيرالقمّي ج۲ ص۱۲۹

۲ و۳. الصّافي ج۴ ص۶۱

الاوزاع بمعنى الجماعات، او يقسّمون من الايزاع كالتّوزيع بمعنى التّقسيم.

[حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟] اى فساروا حتّى اذا اتوا [عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ] قيل هو وادٍ بالطّائف كثير النّمل [۱].

و قيل: هو وادٍ بالشّام كثير النّمل، و فى تفسير القمىّ قعد على كرسيّة وحملته الرّيح فمرّت به على واد النّمل وهو واد ينبت فيه الذّهب والفضّة وقدوكلّ به النّمل وهو قول الصّادقعليه‌السلام انّ‌لله وادياً ينبت الذّهب والفضّة وقدحماه الله باضعف خلقه وهو النّمل لو رامته البخاتى ماقدرت عليه [۲].

و نسب الى الرّواية انّ نمل سليمان كانت كأمثال الذّئاب والكلاب [قَالَتْ نَمْلَةٌ] هى رئيسها واميرها كما قيل [يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَـٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ] بدل من ادخلوا بدل الاشتمال او مستأنف جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ و هو نهى وليس بنفى مجزوم فى جواب الامر كما قيل لانّ نون التّأكيد لايدخل فى النّفى و الفعل الموجب فى غيرالضّرورة.

[سُلَيْمَـٰنُ وَ جُنُودُهُۥ وَ هُمْ لَا يَشْعُرُونَ] هذا تبرئة من النّملة للنّبىّعليه‌السلام من الظلّم [فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا] تعجّبه من قدرة الله و اسماعه قول النّمل خصوصاً من المسافة البعيدة. او من نعمة الله عليه بان اقدره على سماع كلام النّمل و فهم مقصده، او من فطانة النّمل و تميزه بين الحاطم و غيره و معرفته لسليمان و جنوده، وهذا يدلّ على انّه و جنوده كانوا يمشون مشاة و راكبين لانّهم يسيرون فى الهواء بمركب الرّيح.

[وَ قَالَ] تبجّحاً بنعم الله واظهاراً لشكرها [رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ]

---

۱. مجمع‌البيان ج ۸-۷ ص ۲۱۵

۲. نورالثقلين ج۴ ص۸۲ ح ۴۱ و تفسير القمّى ج ۲ ص ۱۲۶

الهمنى او اولعنى [أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ] اشارة الى هذه النّعمة اى نعمة افهام نطق الحيوان او جنس النّعمة الّتى انعمها عليه [وَ عَلَىٰ وَٰلِدَىَّ] باعطائهما ولداً مثلى او لسائر نعمهم [وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ] ليكون عملى شكراً فعليّاً لا نعمك.

[وَ أَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ] فى الدّنيا او فى الاٰخرة او فيهما [وَ تَفَقَّدَ] تجسّس [ٱلطَّيْرَ] طلباً لفقدانها فلم يرى منها الهدهد [فَقَالَ مَا لِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ] اصله ماله لااراه لكنّه قلّب و استعمل فى هذاالمعنى فى العرب والعجم، او هو على الاصل.

[أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا] بنتف ريشه و القائه فى الشّمس، او بجعله مع غير جنسه كما قيل [أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ] حجّةٍ [مُّبِينٍ] واضحٍ فى عذره او موضحٍ عذره فى غيبته و تفقّده للطّيور و عتابه للهدهد على غيبته لجريه على طريقة الملوك وامراء الجند.

فانّ اميرالعسكر اذا فقد واحداً من اجزاءالعسكر عاتبه واخذه بجرمه لانّ كلاًّ من اجزاءالعسكر له شغل و عمل اذا فقد بدون الاذن و البدل اختلّ امر العسكر، ولعلّ فقدان واحدٍ منها يصير سبباً لهلاك الكلّ و كان الهدهد كما فى الخبر يدلّه على الماء لانّه كان يرى الماء فى بطن الارض كما يرى احدٌ الدّهن فى القارورة.

او كان الطّير تظلّ كرسيّة من الشّمس فبان الشّمس على حجره [فَمَكَثَ] سليمان او الهدهد فى غيبته زماناً [غَيْرَ بَعِيدٍ] او مكاناً غير بعيد ثمّ رجع الى سليمان.

[فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ] يعنى علمت بما لم تعلم به

واطّلعت على مالم تطّلع عليه [وَ جِئْتُكَ مِن سَبَإٍ] مدينة بارض اليمن، قيل: بعث الله الى سباء اثنى عشر نبيّاً.

و نقل عن النّبىّ ﷺ انّه سئل عن سباءٍ فقال: هو رجل ولد له عشرة من العرب تيامن منهم ستّة و تشاءم اربعة؛ وعلى هذا كانت المدينة سمّى باسم هذا الرّجل(١).

[بِنَبَإٍ يَقِينٍ إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ] لسعة مملكتها و وجدان كلّ مايحتاج الانسان اليه فيها و المرأة كانت بلقيس بنت شراحيل بن مالك بن ريّان كما قيل.

و قيل: كان ابوها شرجيل و كان ءاباؤها الى اربعين اباً ملكاً(٢) [وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ] عظمه بالنّسبة اليها اوبالنّسبة الى سائر العروش و الآكان ثلاثين ذراعاً فى عرض ثلاثين ذراعاً فى ارتفاع ثلاثين.

و قيل: كان ثمانين فى ثمانين، وقيل: كان مقدّمه من ذهبٍ مرصّعٍ بالياقوت الاحمر و الزّمرّد الاخضر، و مؤخّره من فضة مكلّلة بالوان الجواهر و عليه سبعة ابيات على كلّ بيتٍ باب مغلق(٣).

[وَجَدتُّهَا وَ قَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَعْمَـٰلَهُمْ]الّتى يعملونها من عبادتهم للشّمس و سائر مايعملونها لدنياهم وءاخرتهم حتّى يرتضون اعمالهم، و هذا هو المانع من طلب الحقّ و اتّباع اهله.

[فَصَدَّهُمْ] بهذا التّزيين و الارتضاء [عَنِ ٱلسَّبِيلِ] اى سبيل الحقّ [فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ] اليه، قيل: لم يكن الهدهد عارفاً بذلك وانّما اخبر

١، ٢ و ۴ . مجمع‌البيان ج٨-٧ ص ٢١٨ ٣. تفسير البيضاوى ج٢ ص ١٧۴

بذلك كما يخبر مراهقوا صبياننا لانّه لاتكليف الاّ على الملائكة و الانس و الجنّ[1]، وهذا من غفلته من ادراك الموجودات.

بل نقول: كلّ الموجودات شاعرون عالمون ولكن لاشعور لهم بشعورهم: ان من شيءٍ الاّ يسبّح بحمده ولكن لايفقهون تسبيحهم لعدم شعورهم بشعورهم فكان جملة الموجودات ينادون جهاراً بهذا القول:

ما سميعيم وبصيريم و خُوشيم — با شما نامحرمان ما خامشيم
چون شما سوى جمادى ميرويد — محرم جان جمادان كى شويد
از جمادى در جهان جان رويد — غلغل اجزاى عالم بشنويد
فاش تسبيح جمادات آيدت — وسوسه تأويلها بر بايدت
چون ندارد جان تو قنديلها — بهر بينش كردهاى تأويلها

[أَلَّا يَسْجُدُوا] قرئ بتخفيف اللاّم من الاعلى انّه كان يا قوم اسجدوا فحذف المنادى و حينئذٍ يكون من كلام الهدهد بتقدير القول جواباً لسؤالٍ مقدّرٍ كأنّه قيل: ماقلت لهم؟

فقال: قلت لهم: يا قوم اسجدوا او من كلام سليمان عليه السلام خطاباً لقومه بعد ماذكر الهدهد اهل سباء و سجدتهم للشّمس او من الله خطاباً لقوم سليمان عليه السلام.

و قرئ بتشديد اللاّم وحينئذٍ يجوز ان يكون ان تفسيريّةً ولايسجدوا نهياً و تفسيراً لقومه تعالى: صدّهم فانّ الصّدّ القوليّ فى معنى القول كأنّه قيل: صدّهم بقولٍ اى لايسجدوا، وان يكون **ان** ناصبة بدلاً من اعمالهم او بتقدير اللاّم او الباء متعلّقاً بيسجدون او زيّن اوصدّهم **او لا يهتدون**، او لفظة **لا** زائدة و هو بتقدير **الى** متعلّق بيهتدون، او بدون التّقدير بدل من **السّبيل** والمعنى فصدّهم عن السّبيل عن السّجدة.

[لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ] الخبأ بالفتح والسّكون مصدر فى معنى مايخفى او مشترك بين المصدر والوصف بمعنى المفعول كالخبيئ [فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ].

اعلم، انّ السّموات تطلق على الكرات العلويّة المحيطة بالارض المشهودة بحركات كواكبها.

و على نفس الكواكب و على المجرّدات عن المادّة من عالم المثال الى عالم المشيّة، و الارض تطلق على الارض المحسوسة الواقعة فى حيّز المركز.

و على جملة المادّيّات من البسائط و المواليد علويّةً كانت ام سفليّةً، و على مراتب الموادّ من الهيولى الاولى الى البشريّة الّتى تعدّ سبعاً و يعبّر عنها بالاراضى السّبع و على معنى يشمل المثاليّات العلويّة و السّفليّة و جملة الاستعدادات القريبة و البعيدة الّتى كانت للموادّ.

و المواليد فى الحقيقة وجودات ضعيفة للمستعدّ لها فهى للمستعدّ لها المستورة فى الموادّ و المواليد لعدم بروزها بعد بحدودها و وجوداتها القويّة و جميع الفعليّات الفائضة من العلويّات و الجهات الفاعلة على المادّيّات و الجهات القابلة موجودة بنحو الاجمال و البساطة فى الجهات الفاعلة، لكنّها مختفية بنحو التّفصّل و التّميز و من حيث وجوداتها الخاصّة فى الجهات الفاعلة فلا اختصاص للمخبوءات بالحبوب و العروق المختفية تحت الارض و لا بالكواكب المختفية فى السّماء.

و قد اشير بالفارسيّة الى ماأشرنا بقوله:

ای‌كه خاك شوره را تو نان كنی	وايكه نان مرده را تو جان كنی
عقل و حس را روزی ایمان‌دهی	ايكه خاك تيره را تو جان دهی
ميكنی جزو زمين را آسمان	می‌فزايی در زمين از اختران

[وَ يَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ] من الافعال و الاحوال و الاقوال و النّيّات و العزمات و الخيالات و الخطرات والمكمونات الّتى لاشعور لكم بها [وَ مَا تُعْلِنُونَ] كذلك.

وقرئ الفعلان بالغيبة يعنى الاّ يسجدوا الله الّذى يستحقّ العبادة لكمال دقّته ولطفه فى العمل بحيث يخرج جميع مكمونات الارواح و الاجساد فيخرج جميع مكمونات وجودكم و يجازيكم عليها و لكمال دقّته و لطفه فى العلم بحيث يعلم جميع ماتخفونه علمتموها و جميع ماتعلمونه فيجازيكم عليه.

[ٱللَّهُ] خبر الّذى او بدل منه او مبتدء خبره [لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ] الى ههنا ءاخر حكاية قول الهدهد او ءاخرها يهتدون او لايسجدوا للّه على تخفيف اللاّم ابتداء كلام من الله او من سليمانعليه السلام او الايسجدوا ءاخر الحكاية والّذى يخرج الخبأ ابتداءكلام كذلك،او الله لااله الاّ هو ابتداء كلام من الله، او من سليمانعليه السلام.

[قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ] فى هذا الاخبار [أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ] لم يقل ام كذبت لانّه قلّما ينفكّ المخبر عن زيادة ونقيصة فى حكايته وليس مقصودهعليه السلام النّظر فى انّه ادخل فى اخباره كذباً بل مقصوده ان ينظر انّه كذب و هو متعمّد فى كذبه او صدق فى اصل اخباره دخل فيه كذبٌ ما او لم يدخل.

[ٱذْهَب بِّكِتَـٰبِى هَـٰذَا] قدسبق مكرّراً انّ امثال هذه مستأنف و جواب لسؤالٍ مقدّر [فَأَلْقِهْ] قرئ بسكون الهاء تشبيهاً لهاء الضّمير بالواو و الياء الضّميرين، او تشبيهاً لها بهاء السّكت او اجراءً للوقف مجرى الوصل.

[إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ] باخفاء حالك عنهم حتّى تتمكّن من استماع قولهم [فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ] يتكلّمون بعضهم لبعضٍ.

و قيل: الكلمتان على التّقديم و التّأخير و الاصل فانظر ماذا يرجعون ثمّ تولّ عنهم للذّهاب الينا و ايصال خبرهم.

قيل: قال الهدهد انّها فى حصنٍ منيعٍ قال سليمان عليه السلام: ألق كتابى على قبّتها، فجاء الهدهد فألقى الكتاب فى حجرها فارتاعت من ذلك وجمعت جنودها[١].

و قيل: اتاها الهدهد و هى مستلقية على قفاها فألقى الكتاب على نحرها.

و قيل: كانت له كوّة مستقبلة للشّمس تقع الشّمس عند ماتطلع فيها فاذا نظرت اليها سجدت.

فجاء الهدهد الى الكوّة فسدّها بجناحيه فارتفعت الشّمس ولم تعلم فقامت تنظر فرمى الكتاب اليها[٢]. فلمّا قرأت الكتاب جمعت الاشراف وهم يومئذٍ ثلاثمائة و اثنا عشر قَيْلا [٣].

[قَالَتْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَـٰبٌ كَرِيمٌ] سمّاه كريماً لختمه، او لجودة مضمونه، او لتصدّره ببسم الله، او لغرابته من حيث انّه القى اليه مع انّه لم يكن لاحدٍ فى حصنه مدخل و مخرج، او لجلالة مرسله.

[إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَـٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ] اى منقادين او مقدّرين للاسلام الّذى هو دينٌ آلهىٌّ [قَالَتْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ] قالت ذلك لانّهم كانوا وزراءها

---

١. تفسير القمّى ج ٢ ص١٢٧
٢. مجمع‌البيان ج ٨-٧ ص ٢١٩
٣ - القيل بفتح القاف مخفّف قيّل كسيّد النّافذ القول.

واصحاب شورها وبمنزلة اعضاء دولتها.

[قَالُواْ نَحْنُ أُوْلُواْ قُوَّةٍ] نقدر على قتال السّلاطين من حيث قوّة الابدان و من حيث العدد و تهيّة الاسباب [وَ أُوْلُواْ بَأْسٍ شَدِيدٍ] يعنى بأسنا فى القتال شديد لانّا شجعان و تدرّبنا القتال و لنا الحذاقة والمهارة فى امر القتال.

[وَ] لكن [ٱلْأَمْرُ] اي امر الصّلح و القتال [إِلَيْكِ] و نحن مطيعون لك [فَانظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ قَالَتْ] بطريق الشّورى.

[إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَ جَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً] يعنى انّهم ان غلبونا افسدوا بلادنا واذلّوا عزّتنا.

[وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ] تأكيد للتّفصيل السّابق او معترضة من الله لتصديقها وكأنّه تأثّر قلبها من الكتاب و لان للصّلح و اراد ان يستميل قومها للصّلح بطريق الشّور لابطريق الامر [وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ] لانّها كانت تعلم عادة الملوك و انّهم يرضون بالهدايا، فقالت: نرسل اليه بهديّةٍ فان قبلها فهو سلطانٌ يريد الملك و يجوز المقاتلة معه، وان ردّها و اصرّ على طلب ماظهر من الدّين فهو رسولٌ الهيٌّ وليس لنا ان نقاتل معه.

و اختلف فى هديّتها فقيل: كانت وصفاء و وصائف البستهم لباساً واحداً حتّى لايعرف ذكر من انثى.

و قيل: البست الغلمان لباس الجوارى و الجوارى لباس الغلمان.

و قيل: كانت صفائح من ذهب فى اوعبة من الديباج .

و قيل: كانت خمسمأة غلام جعلتهم فى لباس الجوارى و حلّيهنّ، و خمسمائة جارية جعلتهنّ فى لباس الغلمان و حلّيهم، وحملت الجوارى على

خمسمائة رمكةٍ و الغلمان على خمسمائة برزونٍ.

على كلّ فرسٍ لجام من ذهبٍ مرصّعٍ بالجواهر، وبعثت اليه خمسمائة لبنة من ذهبٍ و خمسمائة من فضّة، و تاجاً مكلّلاً بالدّرّ و الياقوت، و عمدت الى حقّةٍ فجعلت فيها درّة يتيمةً غير مثقوبة و خرزة جزعيّة مثقوبة معوجّة الثّقب و دعت رجلاً من اشراف قومها اسمه المنذر بن عمر و ضمّت اليه رجالاً من قومها اصحاب رأى و عقل.

و كتبت اليه كتاباً بنسخة الهديّة و قالت فيها: ان كنت نبيّاً فميّز بين الوصفاء و الوصائف، و أخبر بما فى الحقّة قبل ان تفتحها، و اثقب الدّرّة ثقباً مستوياً.

و ادخل الخزرة خيطاً من غير علاج انسٍ و لاجنٍّ فانطلق الرّسول بالهدايا، و اقبل الهدهد مسرعاً الى سليمان عليه السلام فأخبره الخبر فأمر سليمان عليه السلام الجنّ ان يضربوا لبنات الذّهب و (لبنات) الفضّة ففعلوا ثمّ امرهم ان يبسطوا من موضعه الّذى هو فيه الى بضع فراسخ ميداناً واحداً بلبنات الذّهب و الفضّة، و ان يجعلوا حول الميدان حائطاً شرفها من الذّهب و الفضّة.

ففعلوا، ثمّ قال للجنّ: علىّ باولادكم فاجتمع خلق كثير فأقامهم على يمين الميدان و يساره، ثمّ قعد فى مجلسه على سريره و وضع له اربعة ءالاف كرسىّ عن يمينه و مثلها عن يساره و امر الشّياطين ان يصطفّوا صفوفاً فراسخ.

و امر الانس فاصطفّوا فراسخ، و امر الوحوش و السّباع و الهوامّ و الطّير، فاصطفّوا فراسخ عن يمينه و يساره، فلمّا دنا القوم من الميدان و نظروا الى ملك سليمان تقاصرت اليهم انفسهم و رموا بما معهم من الهدايا و وقفوا بين يدى سليمان عليه السلام و نظر اليهم نظراً حسناً، وكانت بلقيس اوصتهم ان نظر

اليكم نظر عضبٍ فانّه سلطانٌ و ان نظر نظر لطفٍ فهو نبيٌّ.

و قال سليمانعليه السلام: ماوراءكم؟ ـ فاخبره رئيس القوم بما جاؤا بـه و أعطاه كتاب الملكة، فنظر فيه و طلب الحقّة، و أخبرهم بما فيه، و ثقب الدّرّة بالارضة، و سلك الخيط في الخزرة بدودة بيضاء، و ميّز بين الجواري و الغلمان، و ردّ هداياها اليها[1] كما قال تعالى.

[فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَـٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَـٰنِۦَ ٱللَّهُ]و قد رأيتم شطراً منه [خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَـٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ] يعنى انّكم بهديّة بعضكم لعبضٍ تفرحون اذا كان من الاعراض الدّنيويّة لا انا، لانّ فرحى بهديّة القلب السّليم و الايمان الصّحيح.

[ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ] و لم يذكر رجوع الهدايا لعدم الاعتداد بها [فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا]و قد رأيتم شيئاً منها [وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ] اى من سبا او من عند بلقيس.

[أَذِلَّةً وَهُمْ صَـٰغِرُونَ] تأكيد للاذلّة فلمّا رجعوا اليها و قصّوا القصّة علمت انّه رسول من الله و عزمت على الخروج الى سليمانعليه السلام فلمّا علم بعزمها و رأى انّ قلبها متعلّق بعرشها.

[قَالَ] لاشراف جنوده [يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ] و قيل: انّ هذا القول كان منه بعد ما وصل بلقيس الى مكانٍ قريبٍ منه فانّه كان مهيباً لا يبتدء بالكلام عنده حتّى يكون هو الّذى يسأل عنه فخرج يوماً فجلس على سريره فرأى غباراً قريباً منه فقال: ماهذا؟

---

١. مجمع البيان ج٨-٧ ص٢٢١

فقالوا بلقيس يا رسول‌الله و قدنزلت منّا بهذا المكان و كان ما بينه و بين الكوفة على قدر فرسخ فقال: ايّكم يأتينى بعرشها عند ذلك.

[قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ] العفريت بكسر العين النّافذ فى الامر المبالغ فيه مع ذكاءٍ و فطنةٍ [أَنَا ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ] اى من مجلسك الّذى تقضى فيه و كان يجلس فيه، من غدوةٍ الى نصف النّهار [وَ إِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ] فلا يفوتنى شيءٌ من اجزائه بل ءاتيك به بجميع اجزائه من غير ان افصل اجزاءه.

[أَمِينٌ] لااخون فى شيءٍ منه فقال سليمان عليه السلام: اريد اسرع من ذلك [قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ] يسير [مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ] القرءانىّ التّكوينىّ الّذى يتنزّل فيصير فرقاناً بصورة الكتب السّماويّة او بصورة الشّرائع الالٰهيّة والرّجل كان ءاصف بن برخيا وزير سليمان عليه السلام وابن اخته[1].

و قيل: كان رجلاً اسمه بلخيا؛ و قيل: كان اسمه اسطوم، وقيل: كان هو الخضر عليه السلام. و قيل: كان الّذى عنده علمٌ من الكتاب جبرائيل.

و قيل: كان سليمان عليه السلام نفسه[2] [أَنَا ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ] قدحقّقنا فى مطاوى مااسلفنا خصوصاً فى اوّل سورة بنى‌اسرائيل انّ الانسان ذو جزئين.

جزء ملكىّ و جزء ملكوتىّ فاذا غلب الجزء الملكىّ كما فى اغلب النّاس استهلك الجزء الملكوتىّ وحكمه فلم يظهر منه اثر وحكم، واذا غلب الجزء الملكوتىّ الجزء الملكىّ مستهكلاً من غير بقاء اثرٍ و حكمٍ منه.

و لمّا كان الملكوت حكمها عدم التّقيّة بالزّمان والمكان بل الاحاطة

---

۱. مجمع‌البيان ج۸-۷ ص۲۲۱

۲. مجمع‌البيان ج۸-۷ ص۲۲۳

بهما و التّجرّد منهما كان جميع الزّمانيّات والازمنة عندها كالأن وجميع المكانيّات و الامكنة كالنّقطة وكان من غلب عليه الملكوت يقدر على تعرّف حال الأتين والماضين.

و على سير المشرق و المغرب فى ءانٍ واحدٍ، و كان كلّ مااتّصل به من الاجسام الثّقلية يصير بحكمه من عدم التّقيّد بزمانٍ ومكانٍ كما انّ عباء محمّدٍ ﷺ و نعليه خرجت من حكم الملك بسبب اتّصالها به وسارت بسيره فى الملكوت والجبروت بل فوق الامكان، اذا علمت ذلك.

فاعلم انّ ءاصف عليه السلام علم الاسم الاعظم الّذى هو لطيفته الملكوتيّة و دعا الله تعالى بتلك اللّطيفة يعنى انّه تشأّن بشأن تلك اللّطيفة و فعل فعله بشأن تلك اللّطيفة فصار ملكه مغلوباً لاحكم له.

فلم يكن المسافة بينه و بين عرش بلقيس مانعةً من اتّصال يده الملكوتيّة به و لاالجبال والتّلال حائلة بين نظره ويده وبين العرش، و بعد اتّصال يده بالعرش صار العرش بحكم الملكوت وارتفع عن الزّمان و المكان فلم يبق له حاجة فى حركته الى مدّة ومضيّ زمانٍ ولم يكن الجبال و التّلال مانعة من حركته فوصل يده الى العرش واتى به فى ءانٍ واحدٍ .

وهذا معنى قوله: قبل ان يرتّد اليك طرفك يعنى فى اقصر من طرفة العين لا ما قالوه و فسّروه به.

[فَلَمَّا رَءَاهُ] يعنى مدّيده و اتى به فى اقلّ من طرفة العين فلمّا رءاه سليمان عليه السلام [مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ] اظهاراً لانعام الله ورؤيةٌ للمنعم فى الانعام [هَـٰذَا] اى اتيان وزيرى به قبل طرفة العين [مِن فَضْلِ رَبِّى] علىّ.

[لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ] هذه النّعمة او مطلق نعمه [وَ مَن

شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ وَ مَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ] عنه وعن شكره [كَرِيمٌ] لا يمنع من كفر انعامه ويزيد من شكر افضاله، واختلف فى وجه الاتيان بعرشها.

فقيل: انّه اعجبته صفته فاراد ان يراه واحبّ ان يملكه قبل ان تسلم فيحرم عليه اخذ مالها و هذا شبيه باقوال العامّة، او اراد ان يختبر بذلك عقلها و فطنتها.

او اراد ان يظهر معجزة عليها حين ورودها لانّها خلّفته فى دارها واوثقته ووكلت به ثقاه.

وقيل: كانت بلقيس محبّة لها، فاراد لا يكون قلبها متعلّقاً بغيره وقت الورود.

[قَالَ] سليمان عليه السلام [نَكِّرُواْ لَهَا عَرْشَهَا] بتغيير هيئتها وصورتها وكان منظوره استخبارها كما قال [نَنظُرْ أَتَهْتَدِىٓ] الى معرفته [أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ] اوالمعنى ننظر تستدلّ بحضور العرش على صدقى ونبوّتى وقدرة الله ام لا تهتدي.

[فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ] لها [أَهَـٰكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ] لم تثبته و لم تنكره لما رأت من مماثلته له فى جميع اجزائه و اوضاعه وهيآته و لما رأت من بعض تغييرات فيه بحسب الوانه و اشكاله.

و هذا من كمال العقل و الحزم حيث لم تتبادر بتصديق وتكذيب و تثبّت فى امره.

و قيل: كانت حكيمة فلو قالت: هو هو؛ خشيت التّكذيب، ولو قالت: ليس به، خشيت ان تكذب، فقالت كلمة لا تكذّب فيها، فقيل لها: هو عرشك؟

فما غنى عنك اغلاق الابواب و لا قوّة الحرّاس و اهتمامهم بالحراسة و

مااعجزنا بعد المسافة و لاعظمة العرش و ثقله.

فقالت [وَ أُوتِينَا ٱلْعِلْمَ] برسالة سليمانعليه السلام و انّ امره الهيٌّ غير بشريّ [مِن قَبْلِهَا] اى من قبل تلك الأية الظّاهرة لنا من العرش واتيانه، او من قبل هذه السّاعة.

و يجوز ان يكون هذا من كلام سليمانعليه السلام او الّذى قال: اهكذا عرشك، او قوم سليمان والمعنى و اوتينا العلم بقدرة الله على امثال هذه قبل هذه الأية او قبل بلقيس، او اوتينا العلم بمجيء بلقيس او اسلامها قبل مجيئها فأتينا بعرشها.

[وَ كُنَّا مُسْلِمِينَ وَ صَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ]

اى صدّ بلقيس سليمان او العرش حين رأته حاضراً عندها عن كونها تعبد من دون الله او عن الّتى تعبدها من دون الله وهى الشّمس او صدّها عن الايمان كونها تعبد من دون الله، او الّتى تعبدها من دون الله.

[إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَـٰفِرِينَ] فى موضع التّعليل و بعد ماانقضى السّؤال و الجواب عن العرش [قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ] الصّرح هو الموضع المنبسط من غير سقفٍ.

وقيل: انّه قصر من زجاجٍ، و قيل: كلّ بناءٍ من زجاجٍ او صخرٍ او غير ذلك موثّق فهو صرح.

قيل: لمّااقبلت بلقيس امر سليمانعليه السلام الشّياطين ببناء الصّرح من قوارير و اجرى تحته الماء وجمع فى الماء الحيتان والضّفادع و دوابّ البحر ثمّ وضع له فيه سرير فجلس عليه.

[فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً] قيل قالت: ماوجد ابن داودعليه السلام عذاباً يقتلنى به الاّ الغرق و انفت ان تجبن فلاتدخل [وَ كَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا]

فلمّا رءاها سليمان عليه السلام و كان عليهما شعور كرهتها سليمان فاستشار الجنّ فى ذلك فعملوا الحمّامات و طبخوا النّورة و كان اوّل ما صنعت النّورة.

[قَالَ] لها سليمان عليه السلام: ليس ههنا ماء [إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ] مملّس [مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ] بعد ما علمت انّها اساءت الظّنّ بنبىّ الله عليه السلام [رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى] بالظّنّ السّوء بنبيّك [وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَـٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ] و للاشارة الى ضعفها و عدم استقلالها باسلامها قال: اسلمت مع سليمان عليه السلام و اختلف فى امرها.

فقيل: انّه تزوّجها سليمان و اقرّها على ملكها.

و قيل: انّه زوّجها من ملك يقال له تبّع و ردّها الى ارضها، و امر اميراً من امراء الجنّ باليمن يطيعه ويعمل له، فصنع له المصانع باليمن.

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَـٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ] مؤمنون و جاحدون [يَخْتَصِمُونَ قَالَ] صالح عليه السلام لهم بعد ما قالوا فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصّادقين.

[يَـٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ] بالعذاب [قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ] اى قبل سؤال الرّحمة [لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ] لولا تطلبون مغفرته و عفوه عمّا فعلتم [لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ] منه.

[قَالُوا۟ ٱطَّيَّرْنَا] تشأمنا [بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ] يعنى انّك منذ ادّعيت ما ادّعيت واتيت بدينٍ جديدٍ ابتلينا بالقحط والجذب و الامراض و ليس الاّ بشؤم دينك الجديد.

و قدمضى فى سورة الاعراف وجه اطلاق التّطيّر على التّشأم.

[قَالَ] لهم صالح عليه السلام [طَـٰٓئِرُكُمْ] اى سبب خيركم وشرّكم او سبب شرّكم [عِندَ ٱللَّهِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ] تختبرون بالخير و الشّرّ

لعلّكم تذكّرون انّ هذه بشؤم اعمالكم فتلتجؤن الى الله و تصدّقون رسوله.

او المعنى انتم قوم تعذّبون بتلك البلايا بشؤم اعمالكم [وَكَانَ فِي ٱلْمَدِينَةِ] مدينة صالحؑ [تِسْعَةُ رَهْطٍ] الرّهط و يحرّك قوم الرّجل وقبيلته و تكون من ثلاثة او سبعة الى عشرة او مادون العشرة و لا واحد له من لفظة و كان هذه الارهط من اشراف قوم صالحؑ و هم الّذين سعوا فى عقر النّاقة.

[يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ] ارض مدينتهم و نواحيها وارض عالمهم الصّغير [وَلَا يُصْلِحُونَ] حتّى يجعل اصلاحهم جبراناً لافسادهم [قَالُواْ تَقَاسَمُواْ بِاللَّهِ] امر و مقول للقول او ماض وبدل من قالوا او حال من فاعله والمعنى تحالفوا بالله لئلاّ يتخلّف بعض [لَنُبَيِّتَنَّهُۥ] اى لندخلنّ عليه فى اللّيل لقتله.

[وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ] اى وليّ دمه قرئ الفعلان بالنّون و فتح الأخر و بالتّاء و ضمّ الأخر [مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ] هلاكهم او وقت هلاكهم او مكان هلاكهم يعنى ماعلمناه فكيف بتولّينا و انّما قالوا مهلك اهله و لم يقولوا مهلكه اشعاراً بانّ مهلكه اصعب من مهلك اهله و من لم يشهد مهلك اهله لم يشهد مهلكه بالطّريق الاولى، او ورّوا بذلك و كان مقصودهم ماشهدنا مهلك اهله فقط بل مهلكه و مهلك اهله.

و لذا قالوا [وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ وَمَكَرُواْ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا] تسمية فعل الله بالمكر امّا من باب صنعة المشاكلة اوللتّشبيه بمكر العباد والآفالماكر لعجزه عن اعلان الاساءة يخفى الاساءة ويظهر ارادة الاحسان ليقدر على انفاذ اساءته والحقّ تعاله شأنه ليس عاجزاً عن انفاذ مراده حتّى يخفيه لعجزه [وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ] باساءتنا المختفية.

[فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَـٰهُمْ] قرئ بكسر الهمزة على الاستيناف بجعله جواباً لسؤالٍ مقدّرٍ، وقرئ بفتح الهمزة على ان يكون بتقدير اللاّم او الباء او فى.

او على ان يكون بدلاً من اسم كان او خبراً لكان وكيف يكون حينئذٍ حالاً او على ان يكون انّا دمّرناهم خبر مبتدءٍ محذوفٍ.

[وَ قَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ] قيل كان لصالحعليه السلام بالحجر الّتى هى بلاد ثمود مسجد فى شعب يصلّى فيه و قد وعدهم نزول العذاب بعد ثلاثة ايّام فقال التّسعة الارهاط يزعم انّه يفرغ منّا بعد ثلاثة فانّا نفرغ منه ومن اهله قبل الثّلاثة فذهبوا الى الشّعب ليقتلوه فوقع عليهم صخرة فطبّقت عليهم فم الشّعب فهلكوا ثمّ وهلك الباقون فى اماكنهم بالصّيحة.

[فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةَۢ] من خوى الدّار مكسور العين ومفتوحها اذا خلت، او من خوت مفتوح العين فقط اذا تهدّمت، وقيل: انّ هذه البيوت بوادى القرى بين المدينة والشّام [بِمَا ظَلَمُوٓاْ] بظلمهم وفى هذه الاٰية دلالة على انّ الظّلم يخرب البيوت.

[إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ] خرابها، او يعلمون قصصهم او لهم علم وعقل [وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ]به او بالله [وَكَانُواْ يَتَّقُونَ]يعنى صار سجيّتهم التّقوى لانّ تخلّل كان يفيد هذا المعنى.

قيل: كانوا اربعة ءالاف خرج بهم صالحعليه السلام الى حضر موت و سمّيت حضر موت لانّ صالحاًعليه السلام لمّا دخلها مات [وَلُوطًا] عطف على مجموع الى ثمود صالحاً.

[إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَـٰحِشَةَ] الّتى هى اتيان الذّكور [وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ] بصراء، او تعلمون قبحه، او ترون بعضكم من

بعضٍ [أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ] بدل تفصيليّ من قوله اتأتون الفاحشة.

[بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ] تفعلون افعال الجهّال او تجهلون قبح هذه الافعال وسوء عاقبتها، او تجهلون القيامة والدّار الأُخرة، او انتم صاحبوا الجهل.

[فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ] لمّا لم يكن لهم جواب بالحجّة هدّدوه بالقتل والاخراج، ولمّا لم يكن لوط عليه السلام من اهل قريتهم قالوا أخرجوه و علّلوه بطهارتهم عن مثل افعالهم.

[فَأَنجَيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَـٰهَا] اى كونها [مِنَ ٱلْغَـٰبِرِينَ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا] عجيباً وهو مطرالحجر [فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ] بعدماذكر قصص الانبياء عليهم السلام وماخصّهم به من الأيات الدّالّة على صدقهم و قدرة الله وحكمته ومن الانتصار لهم من اعدائهم امر الرّسول صلى الله عليه وآله بالحمد شكراً لنعمه الّتى انعم بها على رسله لانّ انعام الرّسل كان مقدّمة لارساله وانعاماً عليه.

[وَسَلَـٰمٌ] عطف على الحمد لله يعنى و قل سلام [عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ] لانّك علمت تخصيص الله ايّاهم عليهم السلام من بين العباد فحيّهم بتحيّة خواصّ الله، او مستأنف من الله تحيّة لرسله عليهم السلام [ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ] اى اقوام الرّسل عليهم السلام من الاصنام والكواكب و العجل والملائكة والشّياطين والاهوية.

[أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ] ام منقطعة متضمّنة للاستفهام، ومن موصولة بدل من الله، ولمّا كان المقصود الزامهم على انّ الله

خير ممّا يشركون وانّهم فى اختيار غير الله عليه سفهاء وكان ما بعد ام فى تلك الفقرات الآتية اوضح فى هذاالمعنى وابلغ اضرب عن قوله ءالله خير ام مايشركون و قال بل من خلق السّموات و الارض خير ام مايشركون، و يجوز ان يكون من استفهاميّة وام منقطعة غير متضمّنة للاستفهام و يكون الكلام مستأنفاً.

[وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ] رياضاً و بساتين [ذَاتَ بَهۡجَةٍ] ذات منظر صحيح يبتهج به، و التفت الى التّكلّم للاشعار بانّ انبات الحبوب واللّبوب والعروق الّتى هى جماد وانماؤها واخراج الاوراق والغصون والاثمار عليها خارج عن عهدة الاسباب الطّبيعيّة من دون حضور الله واسبابه الغيبيّة.

و للاشارة الى انّ النّاظر الى الاسباب ينبغى ان يكون نظره اليها بحيث ينتقل منها الى مسبّب الاسباب فاذا نظر الى سبب او سببين ينبغى ان ينتقل الى المسبّب و تمثّل و حضر عنده المسببّ.

[مَّا كَانَ لَكُمۡ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآ] وان كنتم فى غاية الاهتمام وفى غاية التّدبير والتّربية فانّه لو لم يختلف عليها الايّام و اللّيالى و لم يكن حرّ النّهار و برد اللّيالى مانبتت و مانمت.

و تخلّل كان فى امثال هذا النفى الصّحّة والامكان اى ماصحّ و ماامكن لكم [أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ] ممّا يعدّونه ءالهاً [بَلۡ] ليس ءاله مع الله فـ[هُمۡ قَوۡمٌ يَعۡدِلُونَ] بالله غيره او يعدلون عن الحقّ [أَمَّن جَعَلَ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارًا] يمكن لكم التّعيّش عليها و يمكن لكم تحصيل معايشكم منها.

[وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنۡهَٰرًا] هى عمدة اسباب معايشكم [وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِيَ] بسببها يمكن جريان لانهار و توليد المياه وبها

سكون الارض.

هذا بحسب التّنزيل و بحسب التّأويل لا يكون لكم خير و لا شرّ و لا قليل و لا كثيرٌ الاّ بها و لو لاها لفنى الكلّ و لم يبق ذرّة من الذّرّات.

[وَ جَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا] مانعاً من اختلاط الماء العذاب بماء الملح الاجاج و بحسب التّأويل جعل بين عالم الشّرور و عالم النّور حاجزاً مانعاً من اختلاط عالم الزّور و افساده لكم و لعالمكم و قد مرّ فى سورة الفرقان بيان البحرين و حاجزها.

[أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ] ليس لهم علمٌ و ملحقون بالبهائهم او اكثرهم لا يعلمون الله و صفاته [أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ].

معنى المضطرّ

اعلم، انّ الانسان من اوّل استقرار مادّته فى مقرّها الّذى هو الرّحم جماد بالفعل، و نبات بالقوّة القريبة، و حيوان بالقوّة البعيدة، و انسان طبيعىّ ملكىّ بالقوّة الّتى هى ابعد، و انسان ملكوتى و جبروتىّ بالّتى هى ابعد، و لكنّه فى تلك الحال يقتضى بفطرته القرار فى الرّحم و الاغتذاء بدمها و سائر رطوباتها و يتشبّث بها و يجذب من رطوباتها.

ثمّ يصير نباتاً بالفعل، ثمّ حيواناً مثل حيوانيّة الخراطين حتّى يتولّد فيصير حيواناً بالفعل و انساناً ملكيّاً بالقوّة حتّى اذا بلغ الى مقام التّميز و المراهقة فيصير انساناً ضعيفاً بالفعل و كذلك شيطنته تكون ضعيفة و قوّته الشّهويّة و الغضبيّة تكون قويّة بحيث تغلب الانسانيّة و الشّيطانيّة.

و بشهوته يطلب المشتهى و يجذبه، و بغضبه يدفع من يمانعه عنه و يغضب عليه، و بشيطانية الضّعيفة يحتال فى تحصيله حيلاً ضعيفة، و بانسانيته الضّعيفة يخجل من ظهور بعض افعاله خجلة ضعيفة؛ فاذا بلغ الى

مقام البلوغ و الرّشد و استعدّ لتعلّق التّكليف به صار انسانيّته و شيطانيّته قويّتين.

كما انّ شهوته و غضبه يصيران ان قويّين، و بشهوته القويّة يشتدّ طلبه لمشتهياته، وبغضبه القوىّ يشتدّ دفعه وغضبه على من يمانعه.

و بشيطنته القويّة يشتدّ حيلته فى طلبه، و بانسانيّته يشتدّ انزجاره وخجلته عمّا ينا فى انسانيّته، فان ساعده التّوفيق و دعاه الدّاعلى الالٰهىّ دعوة ظاهرة او دعوة باطنة و قيل الدّعوة و بايع البيعة العامّة او البيعة الخاصّة و صار مسلماً او مؤمناً و عمل بما اخذ عليه فى بيعته صار انسانيّته فى الاشتداد و سلك الى الله و ادبر عن العالم و اسبابه، حتّى انّه يقطع النّظر عن الاسباب و يتوجّه بشراشره الى مسبّب الاسباب، وهذا اضطرار تكليفىّ فانّ الاضطرار عين الدّين.

و قدمضى تفصيل للدّعاء و طريقه فى سورة البقرة عند قولى تعالى: اذا سألك عبادى عنّى فانّى قريب، و اذالم يتمسّك بذيل نبىٍّ عليه السلام او وصى نبىٍّ عليه السلام و لم يبايع بيعة اسلاميّة او بيعة ايمانيّة كان قواه البهيميّة و السّبعيّة و الشّيطانيّة فى الاشتداد و قوّته الانسانيّة فى الضّعف فى اغلب النّاس و فى اغلب الاوقات حتّى يختفى الانسانيّة تحت القوى الثّلاث و يكون الحكم لتلك القوى و الأثار منها فقط.

لكن هذا الانسان قديبتلى حتّى يعجز الشّيطنة عن الاحتيال و ييأس الشّهويّة عن المشتهى و الأمال و يحسر الغضبيّة عن الدّفع و البسط.

فانّ المدركة تدرك المشتهى و الشّيطنة باستعمال المتخيّلة و اظهار الواهمة و الخيال الصّور و المعانى عليها تتصرّف و تحتال للوصول اليه و تحرّك العمّاله لطلبه، و اذا وجدت مانعاً و دافعاً لها عن الوصول حرّكت الغضبيّة لدفعه

فان تيأس عن الوصول سكنت المتخيّلة عن الحركة والتّصرّف، والواهمة والخيال عن اظهار المعانى والصّور، والعمّاله عن الطّلب، والشّهوة والغضب عن الاشتهاء والدّفع، وحينئذٍ يظهر الانسانيّة من غير حاجب ومعاوق ولمّا كان فطرتها التّضرّع والالتجاء الى الله والسّؤال منه تضرّعت بفطرتها والتجأت وسألت.

و هذا هو الاضطرار التّكوينىّ الفطرىّ وكلا الاضطرارين لمّا كان مظهراً لانسانيّة الانسان وكان اللّطيفة السّيّارة الانسانيّة لطيفة ءالهيّة كان لسانها لسان الله وسؤالها سؤال الله وسؤال الله من نفسه لايرة بل يجاب.

والى هذا الاضطرار وكون لسان الدّاعى حين الاضطرار لسان الله اشار المولوىّ قدّس الله سرّه بقوله:

هم دعا از من روان كردى چو آب
هم ثباتش بخش وگردان مستجاب

هم تو بودى اوّل ءارنده دعا
هم تو باش ءاخر اجابت را رجا

چون خدا از خود سؤال و كدّ كند
پس سؤال خويش را كى ردّ كند

هم دعا از تو اجابت هم ز تو
ايمنى از تو مهابت هم ز تو

و هذا المضطرّ ان كان اضطراره تكليفيّاً غلب لامحالة على القوى الثّلاث وملكهم فى الصّغير واذا ملك فى العالم الصّغير ينتهى مالكيّته الى المالكيّة فى العالم الكبير وليست هذه المالكيّة وتلك الاجابة الاّ من الله تعالى وان كان اضطراره تكوينيّاً وبقى على اضطراره انتهى اضطراره الى الاضطرار التّكليفىّ، والاضطرار التّليفىّ يصير سبباً للمالكيّة والاستخلاف فى

العالمين.

[وَ يَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ] اجابة لدعائه، والسّوء اعمّ من الواردات الغير الملائمة لانسانيّة الانسان وحيوانيّته ومن تبعات الذّنوب ومن النّقائص اللاّزمة له من الانانيّة والحدود.

[وَ يَجْعَلُكُمْ] التفت من الغيبة الى الخطاب للاشعار بانّ المضطرّ اذا صار اهلاً للخلافة يصير له حالة الحضور والتّخاطب وبدون حصول حالة الحضور له لم يكن له شأنيّة الخلافة.

[خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ] خلفاء ارض العلم الصّغير والكبير كما ذكر، وامّا التّفسير بخلافة الماضين بايراث ارضهم واموالهم فلا يناسب ذكره بعد اجابة المضطرّين وكشف السّوء عنهم خصوصاً على ماورد عنهم انّ الواو فى القرءان للترّتيب.

عن الصّادقعليه‌السلام انّ الأية نزلت فى القائم من ءال محمّدصلى‌الله‌عليه‌وآله هو والله المضطرّ اذا صلّى فى المقام ركعتين ودعا الله عزّ وجلّ فأجابه ويكشف السّوء ويجعله خليفةً فى الارض[١].

[أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ قَلِيلاً مَّا] اى تذكّر قليلاً او شيئاً قليلاً اىّ قليل من ءالاء الله [تَذَكَّرُونَ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَـٰتِ ٱلْبَرِّ وَ ٱلْبَحْرِ] باعطاء القوى و المشاعر و انضباط الكواكب فى حركاتها.

[وَ مَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ] كرّر من لانّ ارسال الرّياح جنس سوى جنس الهداية [بُشْرًا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ تَعَـٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ أَمَّن يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَ مَن يَرْزُقُكُم

---

١. تفسير نور الثّقلين ج۴ ص۹۴ ح۹۳

مِّنَ ٱلسَّمَآءِ] بتسبيب الاسباب السّماويّة من اشعّة الكواكب وتخالف اللّيل والنّهار و تحريك السّحاب وانزال الامطار.

او المراد سماء عالم الارواح ورزق الانسان من العلوم والاحوال والاخلاق والمكاشفات.

[وَٱلْأَرْضِ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ] يعنى انّ هذه الافعال لايجوزان تنسب الى معبوداتكم و هذه هى افعال الله فلايجوز ان يكون شيءٌ من معبوداتكم شريكاً له تعالى فى ذلك، واذ لم يكن شريكاً له تعالى فى ذلك لم يكن شريكاً له فى العبادة، فانّ استحقاق العبادة ليس الاّ بهذه.

[قُل] يا محمّد ﷺ [لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ].

معنى الغيب

اعلم، انّ السّماء تطلق على ماله علوّ وارتفاع وتأثير فيما دونه، و الارض تطلق على ماله دنوّ وانفعال، وهذان المعنيان لااختصاص لهمابالسّماء والارض الطّبيعيّين بل جملة عالم الارواح بهذاالمعنى سماواتٌ وجملة عالم الاجسام الملكيّة والملكوتيّة العلويّة والسّفليّة اراضٍ.

و الغيب ما كان غائباً عن نظر من كان ذلك الغيب غيباً له سواء كان مشهوداً حاضراً لغيره او لم يكن، والمراد بمن فى السّموات والارض من كان متحدّداً بحدودهما غير خارجٍ من حجب تعيّناتهما.

فانّ الانسان الملكىّ هو الّذى يكون محتجباً تحت حدود الملك و يكون ادراكاته مقصورة على المحسوسات ؛ فانّ المدرك فى ادراكه لابدّ و ان يكون سنخاً للمدرك بل متّحداً معه فالمدرك اذا كان ملكيّاً كان مدركه ايضاً ملكيّاً وهذا المدرك يكون جميع مافى السّموات من السّموات الطّبيعيّة

وسموات الارواح غيباً بالنّسبة اليه و الانسان الملكوتيّ لا يتجاوز ادراكه الملكوت ولا يكون مدركه مجرّداً صرفاً ويكون المجرّدات عن التّقدّر غيباً بالنّسبة اليه.

و الانسان الجبروتيّ المتّحد بحدود العقول لا يتجاوز ادراكه الى عالم المشيّة و عالم المشيّة غيب بالنّسبة اليه.

فصحّ ان يقال: لا يعلم جميع المتّحدّدين بحدود سموات الارواح و اراضى الاشباح الغيب الّذى هو عالم الاسماء والصّفات الاّالله ويكون الاستثناء منقطعاً خصّص لفظة من الموصولة بالممكنات، او متّصلاً ان لم تخصّص.

علم الائمّة

و الاشكال بانّ الائمّة كانوا يعلمون علم ما كان وماهو كائن و مايكون الى يوم القيامة وانّ عليّاًعليه السلام واصحابه كانوا يعلمون علم المنايا والبلايا والانساب غير واردٍ.

فانّهم غير من فى السّموات والارض لعدم تحدّدهم بحدودهما لخروجهم الى مقام الاطلاق الّذى هو المشيّة وفى ذلك المقام لافرق بينهم وبين حبيبهم فعلمهم فى ذلك المقام علم الله، و امّا سائر مقاماتهم المقيّدة بحدود السّموات او الارض.

فانّهم فى تلك المقامات يعلمون بتعليم الله اى بتعليم مقامهم المطلق الّذى لافرق بينهم وبينه بمعنى انّهم فى ذلك فانون من انانيّاتهم وباقون بوجود الله لا بوجوداتهم فهم يعلمون بعلم الله الغيب عن السّموات والارض بتعليم الله سائر مقاماتهم المحدودة بحدودات المقامات النّازلة.

روى انّ اميرالمؤمنينعليه السلام اخبر يوماً ببعض الامور الّتى لم يأت بعد فقيل له: اعطيت يا اميرالمؤمنين علم الغيب؟

فضحك و قال: ليس هو بعلم غيبٍ انّما هو تعلّم من ذى علمٍ، وانّما علم الغيب علم السّاعة و ماعدّده الله سبحانه بقوله: انّ الله عنده [الأية) فيعلم سبحانه مافى الارحام من ذكرٍ او انثى، وقبيحٍ او جميلٍ، وسخيٍّ او بخيلٍ، وشقيٍّ او سعيدٍ، ومن يكون للنّار حطباً او فى الجنان للنّبيّين مرافقاً فهذا علم الغيب الّذى لا يعلمه الاّ الله، وماسوى ذلك فعلم علّمه الله نبيّه ﷺ فعلّمينه ودعالى ان يعيه صدرى وتضمّ عليه جوارحى [1].

وبعد ماسبق لاحاجة لك الى بيان اجزاء الحديث.

[وَ مَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ]اى فى اىّ مقام من مقامات البعث [يُبْعَثُونَ] فانّ المحدود بحدّ من حدود السّموات والارض لا يعلم وقت قيامه من مرقد حدّه ولا مقام قيامه منه والمطلق من ذلك الحدّ يعلم وقت بعثه و مقامه بعلم الله لا بعلم نفسه.

[بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِى ٱلْأَخِرَةِ] اى يفنى علمهم فى الأخرة او يتكامل ويتلاحق علمهم فى الأخرة اوفنى علمهم فى حقّ الأخرة بمعنى انّهم لا يعلمون شيئاً من الأخرة او تلاحق اسباب علمهم فى حقّ الأخرة من الأيات والعلامات الدّالّة على وجود الأخرة.

قرئ بل ادّارك مغيّر تفاعل وبل ادرك من باب الافعال، وبل ادّرك من الافتعال وبل درك بفتح اللاّم وسكون الدّال الخفيفة من باب الافعال بنقل حركة الهمزة الى اللاّم وحذفها و بل اءدرك وبل اتدارك وبلى اتدرك وبلى اءدرك وام ادرك وام تدارك.

[بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّنْهَا] اى من الأخرة [بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ]

---

۱. نهج‌البلاغة خطبة ۱۲۸

فانّ الشّاكّ فى شيءٍ يتصوّر ذلك الشّيء ثمّ يشكّ فى ثبوته او يثبته او ينفيه و هؤلاء كانوا عمياناً من امر الاخرة لايدركونها لابالتّصوّر و لابالتّصديق، و ترتّب الاضرابات و وجه ترتّبها بحسب معانى الادراك موكول الى ذوق النّاظر.

[وَ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ] بالاٰخرة و البعث [أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَ ءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ] جواب اذا محذوف و قوله ءانّا لمخرجون تأكيد للاوّل والتّقدير ءاذاكنّا تراباً نخرج ءانّالمخرجون [لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ] و وعد اباؤنا من قبلنا او من قبل وعدنا و لم يظهر منه شيءٌ.

[إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ] الاحاديث الّتى لانظام لها والاسمار الّتى لاحقيقة لها جمع الاسطار جمع السّطر، او جمع الاسطار او الاسطير بكسر الهمزة فيهما او الاسطور بضمّ الهمزة بدون التّاء او مع التّاء فى الكلّ مضى سابقاً.

[قُلْ] لهم [سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ] اى ارض الطّبع فى العالم الكبير او الصّغير او السّر واخبار الماضين او ارض القرءان و اخبار الانبياء و الاولياء عليهم السلام.

[فَانظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ] الّذين اجرموا بانكار الاٰخرة ثمّ انكار الرّسل عليهم السلام وعدم طاعتهم فى امر الاٰخرة [وَ لَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ] يعنى انّك لغاية رحمتك تريدان يكون جميع العباد مطيعين مرحومين و اذا لم يطيعوا ويستحقّوا العذاب تحزن عليهم و لاينبغى ان تحزن عليهم لانّ عدم ايمانهم وطاعتهم مسبوق بمشيّتنا.

[وَ لَا تَكُن فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ] فانّ الله ناظر اليك و اليهم و

الى مكرهم ولا ينفذ مكرهم الاّ بمشيّتنا و اذا شئنا نفاذه كان لحكم و مصالح راجعة اليك [وَ يَقُولُونَ مَتَىٰ هَـٰذَا ٱلْوَعْدُ] وعد العذاب او وعد القيامة او الرّجعة.

[إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ] استبطؤا العذاب او السّاعة استهزاء بقرينة ردف لكم بعض الّذى تستعجلون او سألوا عن وقتها استهزاء [قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم] قرب منكم او تبعكم.

[بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ] من العذاب، قيل: هذا البعض عبارة عن القتل والاسر يوم بدر او العذاب عند الموت او الّذى فى البرازخ [وَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ] فلذلك يمهلهم لعلّهم يتوبون وينعم عليهم بأنواع النّعم الظّاهرة والباطنة لعلّهم يشكرون.

[وَ لَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ] لا يشعرون بالنّعم لأنّهم كالانعام

فـ[لَا يَشْكُرُونَ وَ إِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ] ممّا يخفونه من غيرهم من النّيّات والعزمات والارادات والاخلاق والاحوال والخيالات والخطرات، او يعلم ماتكنّ صدورهم من انفسهم من المكمونات الّتى لاشعور لهم بها.

[وَمَا يُعْلِنُونَ] من الاقوال والافعال او مايعلنون على غيرهم وعلى انفسهم حتّى يكون الخيالات والخطرات فيما يعلنون [وَ مَا مِنْ غَآئِبَةٍ] مصدر او اسم مصدر بمعنى ماغاب او اسم خالص بمعناه او وصف بمعنى خصلة او ذرّة غائبة.

[فِى ٱلسَّمَآءِ وَ ٱلْأَرْضِ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ] ظاهر بنفسه او ظاهر مافيه او مظهر مافيه، و هذا من قبيل التّعميم يعنى بعلم ماتكنّ صدورهم ومايعلنون بل جميع الذّرّات الغائبة عن جميع الخلق فى السّموات والارض.

[إِنَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ] كلام منقطع عن سابقه لفظاً ومعنىً او جوابٌ لسؤالٍ مقدّر عن علّة الحكم ولذلك لم يأت باداة الوصل [أَكْثَرَ ٱلَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ] من الجنّة واوصافها، والجحيم وءالامها، والخلود وعدمه، والتّشبيه والتّنزيه، وسائر الاوصاف الرّبوبيّة والنّبيّ الموعود الّذي بشّر به موسى عليه السلام وسائر الانبياء عليهم السلام واحكام التّوراة الّتي يخفونا كثرها واختلفوا فيها.

[وَإِنَّهُۥ لَهُدًى] ذو هدىً اوهادٍ او سبب هدايةٍ، او حمله على القرءان للمبالغة [وَرَحْمَةٌ] سبب رحمةٍ [لِّلْمُؤْمِنِينَ] فانّ غيرهم لاينتفعون به او يكون ضلالة ونقمةً عليهم [إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي] جواب سؤالٍ مقدّرٍ.

كأنّه قيل: مايفعل الله بهم فى اختلافهم؟

فقال: يقضى [بَيْنَهُم بِحُكْمِهِۦ] الّذى يكون لاثقاً بهم لابحكمهم الّذى اخترعوه من عند انفسهم [وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ] الّذى لايمنع من نفاذ حكمه [ٱلْعَلِيمُ] الّذى يعلم دقائق استحقاقهم.

[فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ] يعنى فانظر الى قضائه النّافذ فيهم وتصريفه التّامّ لهم على مايشاء واسترح من تعب النّظر الى افعالهم وتوكّل على الله فى امورك وجملة افعالهم واقوالهم.

[إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ] فلا تشكّ فيما انت فيه فيزول توكّلك، وهذا تسليةٌ له صلى الله عليه وآله ولامّته ومنعٌ لهم عن الارتياب [إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ] جواب سؤال مقدّرٍ كأنّه قال: افلا اقول شيئاً؟

فقال: لاتقل لهم شيئاً لانّهم موتى وانّك لاتسمع الموتى [وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ] يعنى انت لاتقدر على اسماعهم لانّهم

موتى عن الانسانيّة و هم لايقدرون على سماع نداء الانسان لانّهم صمّ عن نداء الانسان، و قرئ لاتسمع بالخطاب و الصّمّ بالنّصب.

[إِذَا وَلَّوْاْ مُدْبِرِينَ] فلا يفهمون الاشارة ايضاً و مدبرين حالٌ تأكيديٌّ او غيرتأكيديّ [وَ مَآ أَنتَ بِهَـٰدِي ٱلْعُمْيِ عَن ضَلَـٰلَتِهِمْ] لعجزهم عن رؤية الطّريق كلّما اريتهم الطّريق.

[إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا] اى من يشرف على الايمان او من يصدّق ويذعن بآياتناالتّكوينيّة الحاصلة فى الأفاق او فى الانفس خصوصاً الانبياء والاولياءعليهم السلام اوالتّدوينيّة او يؤمن بالبيعة العامّة او الخاصّة.

[فَهُم مُّسْلِمُونَ] بالبيعة العامّة او منقادون للاستماع [وَ إِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ] اى قول ظهور القائم عجّل الله فرجه فى العالم الصّغير والعالم الكبير وفسّر بنزول العذاب بهم عند اقتراب السّاعة.

[أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ] و هذه من علامات ظهور القائمعليه السلام ويكون عند طلوع الشّمس من مغربها .

و فسّر الدّابّة بأميرالمؤمنينعليه السلام و انّه يخرجه الله فى احسن صورة و معه ميسمٌ يسم به اعداءه(۱).

وعنهعليه السلام: وانّى لصاحب العصاوالميسم والدّابّة الّتى تكلّم النّاس(۲).

وعنهعليه السلام فى حديثٍ: معها اى الدّابّة خاتم سليمانعليه السلام وعصا موسىعليه السلام

---

۱. الصّافى ج۴ ص۷۴

۲. الكافى ج۱ ص ۱۹۸(كتاب الحجّة باب انالائمة اركان الارض)

تضع الخاتم على وجه كلّ مؤمن فينطبع فيه: هذا مؤمنٍ حقّاً، و تضع العصا على وجه كلّ كافرٍ فيكتب: هذاكافر حقّاً[۱].

[وَ يَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا] يعنى يوم الرّجعة ويوم ظهور القائمعليه السلام فى الصّغير او فى الكبير، ويجوز ان يراد يوم القيامة و هو عطف على اذا او مقدّر باذكر [مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَـٰتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ] يحبس اوّلهم على ءاخرهم حتّى يتلاحقوا.

[حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَـٰتِى وَ لَمْ تُحِيطُواْ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ وَ وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم] اى العذاب الموعود [بِمَا ظَـلَمُواْ] الأيات اى ءال محمّدصلى الله عليه وآله [فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ] باعتذار لعدم امكان النّطق لشدّة العذاب او لعدم الاذن لهم فى النّطق.

فى خبرٍ عن الصّادقعليه السلام: الأيات اميرالمؤمنينعليه السلام و الائمّةعليهم السلام فقال الرّجل: انّ العامّة تزعم انّ عزّ وجلّ: ويوم نحشر من كلّ امّةٍ فوجاً عنى يوم القيامة فقال:فيشحر الله عزّ وجلّ يوم القيامة من كلّ امّةٍ فوجاً و يدع الباقين؟ لا؛ و لكنّه فى الرّجعة، وامّا ءاية القيامة فهى وحشرناهم فلم نغادر منهم احداً[۲].

[أَلَمْ يَرَوْاْ] جواب لسؤالٍ مقدّرٍ كأنّه قيل: هل يكون ذلك؟ فقال: انّه سيكون فانّه لم يدعكم فى الدّنيا مهملين مع انّها مقدّمة للآخرة وهيّأ لكم جميع ماتحتاجون اليه فى تعيّشكم فلا يدعكم فى الأخرة مهملين الم يروا.

[أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُواْ فِيهِ] بالنّوم وسكون القوى عن هيجانها، والرّوح عن انتشارها، والنّفس عن خيالاتها [وَ ٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا]

---

۱. الصّافى ج۴ ص ۷۵
۲. تفسير القمّى ج۲ ص ۱۳۰

مجاز عقلىّ او بمعنى سبب ابصار او بمعنى الجاعل بصيراً.

[إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَـٰتٍ] عديدة دالّة على علمه تعالى وقدرته و حكمته و رأفته بعباده وتربيته لهم بأحسن مايكون وعدم اهماله لهم فى الدّنيا الّتى هى مقدّمة لدار ءاخرتهم وقنطرة للعبور الى منازلهم فلايهملهم فى الاُخرة من غير حساب وثوابٍ وعقابٍ او من غير بقاءٍ وحيوةٍ.

[لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ] بالله وبالاُخرة [وَ يَوْمَ يُنفَخُ] عطف على يوم نحشر [فِي ٱلصُّورِ] هو كما مضى جمع الصّورة سواء كان مخفّف الصّور بضمّ الصّاد وفتح الواو او كان بنفسه جمعاً، او هو قرن من حديد ينفخ فيه النّفخة الاولى لاماتة الاشياء، والنّفخة الثّانية لاحيائها وبعثها، ويحتمل ان يراد النّفخة الاولى.

و يكون قوله [فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ] فزع الموت.

و قيل: ينفخ ثلاث نفخاتٍ؛ نفخة الفزع، ونفخة الاماتة، و نفخة الاحياء[1] و يجوز ان يراد نفخة الاحياء فيكون المراد بالفزع الحيوة بعدالموت.

[إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ] ان لايفزعوا او لايموتوا، وهم الملائكة الّذين هم باقون ببقاء الله لاببقاء انفسهم، موجودون بوجود الله لابوجود انفسهم.

وكذلك الانبياء عليهم السلام الّذين كانوا على تلك الحال، وقيل: هم جبرائيل و ميكائيل و اسرافيل و عزرائيل عليهم السلام[2].

و قيل: روى فى خبرٍ: انّ المراد بهم الشّهداء فانّهم لايفزعون فى ذلك

---

١. مجمع‌البيان ج٧-٨ ص٢٣٦
٢. مجمع‌البيان ج٧-٨ ص٢٣٦

اليوم[1] و المراد بالأمنين من جاء بالحسنة فانّه تعالى قل: وهم من فزع يومئذٍ ءامنون كما يجيء.

[وَكُلٌّ] من الفزعين [أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ] وان كان المراد بالفزع فزع الموت كان المراد به انّ كلّهم بعد احيائهم يأتونه صاغرين [وَتَرَى ٱلْجِبَالَ]الخطاب لمحمّدٍ ﷺ او عامّ.

و ان كان الخطاب لمحمّدٍ ﷺ كان المراد انّك ترى الجبال ببصرك البشريّ او كان الكلام على ايّاك اعنى واسمعى يا جارة [تَحْسَبُهَا جَامِدَةً] اى واقفة ساكنة فى امكنتهما فانّ الجمود قد يستعمل فى الوقوف عن الحركة كما يستعمل مقابل السّيلان.

[وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ] اى تسير نحو سير السّحاب فى سرعة الحركة وقطع المسافة، و هذا يجوز ان يكون اشارة الى تجدّد الامثال بنحو الاتّصال و يكون الانعدام و الانوجاد بنحو الاتّصال غير محسوس بالانظار كما انّ الدّائرة المحسوسة الحاصلة من الحركة التّوسّطيّة الّتى تكون للشّعلة الجوّالة غير موجودة فى نفس الامر ولكن بواسطة اتّصال الانعدامات والانوجادات ترى بالابصار دائرة.

و عليه العرفاء الكاملون وبتلك الأية يستشهدون، ويجوز ان يكون اشارةً الى حركة الارض دون الشّمس؛ وعليه الطّبيعيّون من الافرنج وعليه بناء هيئتهم الجديدة، وان يكون اشارةً الى انحلال الابدان و اغتذائها ببدل مايتحلّل منها، و ان يكون اشارةً الى تبدّل انانيّة النّفس بانانيّة الله و انانيّة العقل او تبدّل انانيّة العقل بانانيّة الشّيطان، وان يكون اشارة الى سير النّفوس

---

۱. نورالثّقلين ج۴ ص۱۰۱ ح ۱۱۸

الكاملة فانّ سيرهم يكون كلّ ءانٍ الى عرش ربّهم.

واليه اشار المولوىّ قدّس سرّه:

سـير زاهد هر مهى تا پيشگاه
سير عارف هر دمى تا تخت شاه

وان يكون اشارةً الى القيامة ووقت ان يكون الجبال كالعهن المنفوش فانّها حينئذٍ تكون فى الحركة السّريعة لايدرك بالابصار حركتها لبعد اطرافها وعدم احاطة النّظر باطرافها؛ لكنّ قوله تعالى [صُنْعَ ٱللَّهِ] فى مقام مدحه يدلّ على المعانى السّابقة [ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ] بحيث لايدرك مافيه من الاوصاف و يدرك على خلاف ماله من الاوصاف.

[إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ] تعليل لقوله: ترى الجبال تحسبها جامدةً؛ باعتبار لازم الحكم الّذى هو العلم برؤيتها و حسبانها كذلك او هو بمنزلة النّتيجة لقوله: اتقن كلّ شيءٍ فانّه اذا اتقن كلّ شىء أتقن كلّ نفسٍ و تعلّقها ببدنها و تصرّفها فى حركاتها وسكناتها فهو خبير بما تفعلون من الخير والشّرّ وهو وعدٌ و وعيدٌ.

و لذلك عقّبه بقوله [مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا] الى العشرة الى ماشاء الله، او له خيرٌ ناشٍ من تلك الحسنة.

[وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ] والمرادبالحسنة الجنس او الحسنة المعهودة الّتى هى ولاية علىٍّ عليه السلام الحاصلة للانسان بالبيعة الخاصّة الولويّة وبالتّوبة والتّقلين فانّه اذالم يبايع الانسان مع ولىّ امره لم يحصل له لبّ كما اذالم يؤبّر النّخلة لم يحصل لها ثمرٌ.

واذا حصل له لبٌّ بالولاية ولم يستتر فعليّته الحاصلة بالولاية بأغشية الأهوية والأمال يكون ءامناً من جميع مايفزع غيره يوم القيامة.

و هذا هو المراد بقرينة قرينة الّذى هو قوله تعالى [وَ مَن جَآءَ بِالسَّيِّئَةِ] فانّه اذا اريد بالسّيّئة الجنس لزم ان يكبّ صاحبها فى النّار و ليس كذلك و أذا اريد بالسّيّئة محبّة اعداء اهل البيت و ولايتهم صحّ ان يقال [فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ] مقولاً لهم [هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ]وقد فسّر الحسنة و السّيّئة فى اخبارٍ عديدةٍ بولاية اهل البيت عليهم السلام وبغضهم[۱] قل لهم [إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَـٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ]يعنى مكّة فانّها شريفة عندكم وربّها يستحقّ العبادة [ٱلَّذِى حَرَّمَهَا] جعلها حراماً هتكها [وَ لَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ]تعميم بعد تخصيص [وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ]المنقادين.

[وَ أَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ] عليكم و ادعوكم بتلاوته و لاابالى بردّكم و قبولكم.

[فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ] لالى [وَ مَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ] لامن الهادين حتّى احزن على ضلالكم.

[وَ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ] على ماانعم علىّ و على ماامرت و لم يكلّفنى مالم اطلقه من دعوة القوم وهدايتهم، او على جعله الولاية ءايته العظمى [سَيُرِيكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ] عند مشاهدتها حال الاحتضار او فى القيامة وخصوصاً الأيات العظمى [فَتَعْرِفُونَهَا] من حيث كونها ءاياتٍ.

[وَ مَا رَبُّكَ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ] تهديد لهم واضافة الرّبّ الى محمّدٍ صلى الله عليه وآله بالخطاب، وجمع تعملون اشارة الى لطيفةٍ هى عدم لياقتهم لاضافة الرّبّ اليهم.

---

۱. البرهان ج۳ ص۲۱۳

سورة القصص

مكّيّة وثمانٍ وثمانون ءاية



[طسٓمٓ تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱلْكِتَـٰبِ ٱلْمُبِينِ] اى الظّاهر او المظهر الّذى هو عبارة عن القلم الاعلى او عن اللّوح المحفوظ او القرءان التّدوينىّ [نَتْلُواْ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَ فِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ] اى لانتفاعهم فانّ غيرهم لا ينتفعون به.

[إِنَّ فِرْعَوْنَ] جواب سؤالٍ مقدّرٍ كأنّه قيل: ماذلك النّبأ [عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ] اى ارضِ مصر.

[وَ جَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا] بان جعل القبطىّ مكرماً بانواع الكرامة والسّبطىّ مهاناً بانواع الاهانة او جعل السّبطىّ فرقاً متفرّقةً فى الاستبعاد و الاعمال الشّاقّة؛ فانّهم كانوا اهل مصر واحقّ بها؛ لكن قوله تعالى [يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ] يدلّ على المعنى الاوّل [يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ] بدل من يستضعف [وَ يَسْتَحْيِى نِسَآءَهُمْ] يعنى يستبقى البنات او يتجسّس حياء النّساء لطلب الحمل او لطلب العيب.

[إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ] فى الارض بمنع اهلها من طلب كمالهم والوصول الى رسولٍ او امامٍ، او بالقتل والاستعباد من غير استحقاقٍ.

[وَ نُرِيدُ] كان المناسب ان يقول واردنا لكنّه عدل الى المضارع للاشارة الى استمرار هذه الارادة ماضياً ومستقبلاً. والى جهة التّأويل فانّ فرعون عالم الصّغير عالٍ فى ارضه ويريد الله ان يمنّ على موسى هذا

منّةٌ تعالى على المستضعفين بالامامة و الوراثة

العالم و قومه.

و الى تسلية الرّسول صلى الله عليه وآله فانّه بعد مااطّلع على ماسيقع باهل بيته حزن عليه فقال تعالى نريد على سبيل الاستمرار [أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِى ٱلْأَرْضِ] فلا تحزن فانّ استضعاف اهل بيتك سببٌ لمنّتنا عليهم [وَ نَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً] يقتدى بهم [وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ]للارض بظهور القائم عجّل الله فرجه و لارض عالمهم الصّغير بخلاصها من يد فرعون و قومه.

[وَ نُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ] فى العالم الكبير فى جملة الارض او فى ارض مصر او فى ارض وجودهم [وَ نُرِىَ فِرْعَوْنَ وَ هَـٰمَـٰنَ وَ جُنُودَهُمَا] اى فرعون موسى عليه السلام او فرعون اهل البيت او فرعون العالم الصّغير [مِنْهُم] من المستضعفين [مَّا كَانُواْ يَحْذَرُونَ]منهم من ذهاب ملكهم على يد رجل من بنى اسرائيل.

قيل: عاش فرعون اربعمائة سنةٍ وكان قصيراً دميماً و هو اوّل من خضب بالسّواد، و عاش موسى عليه السلام مائة وعشرين سنةً[١].

[وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ] بعد ماولدت موسى عليه السلام [أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ] من القتل واطّلاع الحرّس.

[فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَ لَا تَخَافِى] عليه من الغرق والضّياع والقتل [وَ لَا تَحْزَنِىٓ] على فراقه [إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ] سالماً لتقرّ عينك ويكون انساً لك [وَ جَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ] قيل: حملت امّ موسى عليه السلام ولم يظهر حملها ولم تكن عليها موكّلة من فرعون فولدته و لم يعلم به احد و ارضعته ثلاثة

---

١. مجمع البيان ج٨-٧ ص٢٣٩

اشهرٍ لا يبكى و لا يتحرّك.

فلمّا خافت عليه عملت له تابو تاً مطبقاً ثمّ ألتقته فى البحر باذن الله فانّها كانت اوحل اليها من الله فى ذلك بتوسّط ملكٍ او فى رؤيا او بالهام قلبٍ [۱].

و قيل: كان فرعون وكلّ بها امرأةً لتعرف حملها وكانت لم تظهر حملها عليها وولدت موسى عليه السلام فلمّا رأته الموكّلة رأت بين عينيه نوراً فأحبّته حبّاً شديداً.

و قالت: احفظى ولدك فانّى احبّه حبّاً شديداً اظنّ انّه الّذى يكون هلاك القبطىّ بيده فلمّا خرجت القابلة من عندها ابصرها العيون فجاؤا ليدخلوا لى امّ موسى عليه السلام.

فقالت اخته: يا امّاه هذه الحرّس بالباب فلفّته فى خرقةٍ فوضعته فى تنوّرٍ مسجورٍ فدخلوا او تجسّسوا ولم يجدوا منه اثراً و انطلقت امّ موسى عليه السلام اليه وقدجعل الله النّار عليه برداً وسلاماً.

فلمّا رأت الحاح فرعون فى الطّلب وضعته بوحيٍ من الله فى التّابوت و ألتقته فى اليمّ.

[فَالْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ] وكان لفرعون قصورٌ على شطّ النّيل فلمّا ألقته فى النّيل و ضرب به الماء نظر فرعون من قصره ومعه ءاسية امرأته الى سوادٍ فى النّيل ترفعه الامواج والرّياح تضربه حتّى جاءت به الى باب قصر فرعون فامر فرعون بأخذه فأخذو رفع اليه، فلمّا فتحه وجد فيه صبيّاً.

فقال: هذا اسرائيلىٌّ فألق الله فى قلب فرعون لموسى عليه السلام محبّة شديدةً و كذلك فى قلب ءاسية واراد فرعون ان يقتله فقالت ءاسية: لاتقتلوه كما

---

۱. مجمع البيان ج۸–۷ ص ۲۴۰ – ۲۴۱ و تفسير البيضاوى ج۲ ص۱۸۷

سيجيء[1].

[لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَ حَزَنًا] اللاّم للعاقبة او للغاية لكنّه اتى بها ليكون تهكّماً بهم [اِنَّ فِرْعَوْنَ] تعليل للسّابق [وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ] اى عاصين لربّهم [وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَ لَكَ].

قيل: قال فرعون قرّة عينٍ لك لالى [لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا] قالت ذلك لأنّها لم‌يكن لها ولد و لالفرعون [وَ هُمْ لَا يَشْعُرُونَ]انّه موسى عليه السلام الّذى خراب ملكهم بيده.

[وَ أَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَـٰرِغًا] خالياً من العقل لغلبة الدّهشة او خالياً من كلّ شيءٍ الاّ من ذكر موسى عليه السلام او من الحزن لاتّكالها على وعد الله او فارغاً من تذكّر الوحى الّذى اوحته الله تعالى اليه بنسيانها الوحى.

و قرئ فزعاً بالفاء و الزاء المعجمة و العين المهملة، و قرعاً بالقاف و الرّاء و العين المهملتين، و فرغاً بالفاء والرّاء المهملة او الغين المعجمة، و الكلّ مناسب ههنا.

[إِن كَادَتْ] انّها كادت [لَتُبْدِى] غمّها [بِهِۦ] اولتبدى بخبره على ان يكون الباء للتّعدية دون الهمزة.

و قيل: انّها كادت تبدى امرها عند مادعاها فرعون للرّضاع سروراً به.

[لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا] حتّى لاينزعجّ ولايضطرب فى فراغه لفراق موسى عليه السلام [لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ] المصدّقين بالوحى و صدّق الوعد او من المؤمنين بالله.

---

۱. البرهان ج۳ ص۲۳۱

[وَ قَالَتْ لِأُخْتِهِۦ] بعد ماالقته فى البحر و مضى عليه ثلاثة ايّام كما فى الخبر [قُصِّيهِ] تجسّسى اثره حتّى ترى ماحاله و مافعل به فذهبت الى قصر فرعون [فَبَصُرَتْ بِهِۦ] ابصرته [عَن جُنُبٍ] عن بعيدٍ [وَ هُمْ لَا يَشْعُرُونَ] انّها اخته اولا يشعرون بنظرها اليه.

[وَ حَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ] اى قبل مجيء اخته بثلاثة ايّام كما مضى وكان فرعون اغتمّ لذلك غمّاً شديداً [فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَ هُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ] فقالوا نعم؛ فجاءت بامّها فلمّا اخذته بحجرها والقمته ثديها التقمة وشرب ففرح فرعون واهله واكرموا امّه فقال فرعون لها: ربّيه لنا فانّا نفعل بك ونفعل.

[فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَ لَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ] بردّه اليها [وَ لَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ] اى اكثر الخلق او اكثر قوم فرعون [لَا يَعْلَمُونَ] انّ وعد الله حقّ او ليس لهم علم.

[وَ لَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ] قدمضى فى سورة الانعام بيان الاشدّ [وَٱسْتَوَىٰٓ].

قيل: المراد ببلوغ الاشدّ بلوغ ثلاث وثلاثين سنة، وبالاستواء بلوغ الاربعين [1].

او المرادببلوغ الاشدّ شدّة تمام القوى والاعضاء كما ينبغى واوّله زمان بلوغ ثمان عشرة سنة.

[ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا] دقّة فى العمل بحيث يعجز عن مثل عمله امثاله [وَ عِلْمًا] عظيماً التّنوين للتّفخيم.

---

١. مجمع البيان ج٨-٧ ص٢۴٣

[وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ] يعنى بعد ماساستوى و ذلك انّ بنى‌اسرائيل كانوا فى الشّدّة و البلاء و كانوا يستريحون الى اخبارهم بمجيء موسى عليه السلام و هلاك فرعون فخرجوا ذات ليلة مقمرة الى شيخ لهم عنده علم فقالوا: كنّا نستريح الى الاحاديث فحتّى متى نحن فى هذا البلاء؟!

قال: واللّه انّكم لاتزالون فيه حتّى يجيء اللّه بغلامٍ عن ولد لاوى بن يعقوب اسمه موسى عليه السلام بن عمران، غلام طوال جعد، فبيناهم كذلك اذا قبل موسى عليه السلام يسير على بغلةٍ حتّى وقف عليهم فرفع الشّيخ رأسه فعرفه بالصّفة فقال له: ماسمك؟

قال: موسى عليه السلام، قال: ابن من؟ ـ قال: ابن عمران، فوثب اليه الشّيخ فأخذ بيده فقبّلها و ثاروا الى رجله فقبّلوها فعرفهم و عرفوه و اتّخذ شيعةً كذلك ماشاء اللّه و قدظنّ قوم فرعون به ودخل المدينة اى مصر او مدينةً اخرى من ارض مصر.

[عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا] قيل: حين‌القيلولة، او بين المغرب و العشاء، او كان يوم عيدٍ لهم وقداشتغلوا بلعبهم و انّما دخل على حين الغفلة لانّ موسى عليه السلام بعد كبره يركب فى موكب فرعون وجاء ذات يومٍ ليركب قيل له: انّ فرعون ركب فركب فى اثره فلمّا كان وقت القائلة دخل المدينة ليقبل.

و قيل: انّ بنى‌اسرائيل كانوا يجتمعون الى موسى عليه السلام و يستمعون كلامه فاشتهر ذلك منه و اخافوه وكان لايدخل مصر الاّ حين غفلة اهلها.

و قيل: انّ فرعون بعد ماشتهر ذلك منه امر باخراجه من البلد[۱].

[فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ] اى يختصمان [هَٰذَا مِن

۱. مجمع‌البيان ج۸-۷ ص۲۴۳

شِيعَتِهِۦ وَهَـٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ فَٱسْتَغَـٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ] بجمع كفّه او بعصاه كما قيل [فَقَضَىٰ عَلَيْهِ] فقتله.

[قَالَ] موسى عليه السلام [هَـٰذَا] الاقتتال او تعجيل قتله او هذا الكافر [مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ]لبنىءادم [مُّضِلٌّ مُّبِينٌ] لكن قوله تعالى.

[قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَـلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ] يدلّ على انّ مقصودة انّ هذا القتل الصّادر منّى من عمل الشّيطان؛ و هذا لاينافى ماعليه الشّيعة من عصمة الانبياء فانّ الانبياء عليهم السلام معصومون من المعاصى لامن ترك الاولى.

و بعبارةٍ اخرى انّهم معصومون من الذّنوب الّتى هى ذنوب بالنّسبة الى غيرهم لامن الذّنوب الّتى هى ذنوب بالنّسبة اليهم فانّ حسنات الابرار سيّئات المقرّبين، و توبة الانبياء عليهم السلام من الالتفات الى غير الله فلا غير و ان يكون موسى عليه السلام عدّ فعله يعنى تعجيله فى قتل من استحقّ القتل من دون ملاحظة المفاسد الّتى تترتّب عليه دنياً له و استغفر منه و نسب الظّلم الى نفسه مع انّه كان مستحقّاً للقتل، وبعد مافرغ من استغفاره لترك الاولى نظر الى قوّته.

و [قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ] من القوّة الّتى اقدر بها على القتل بوكزٍ [فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ] كما صارت ظهيراً فى هذه الكرّة.

[فَأَصْبَحَ] موسى عليه السلام فى يوم الثّانى [فِى ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا] من فرعون و قوم لشياع خبر اجتماع السّبطىّ عليه و شياع قتله القبطىّ [يَتَرَقَّبُ] الاخبار من فرعون وقومه فى حقّه.

[فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ قَالَ لَهُۥ

مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ] قاتلت بالامس رجلاً و تقاتل اليوم الأخر.

[فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِالَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَـٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ] قيل: لمّاقال موسى عليه السلام انّك لغويٌّ مبينٌ همّ ان يؤذيه.

و قال: لاوذينّك فلمّا اراد ان يبطش بالقبطيّ ظنّ السّبطيّ انّه اراد ان يبطشه فقال الاسرائيليّ: اتريد ان تقتلنى [الى ءاخره) .

و قيل: قال القبطيّ ذلك [١].

[إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَ مَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ وَ جَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ]ءاخرها [يَسْعَىٰ] يسرع فى السّير و ذلك انّ خبر قتل القبطيّ وصل الى فرعون فتشاوروا فأمر فرعون بقتل موسى عليه السلام وبعث فى طلبه وكان الرّجل ابن عمّ فرعون او ابن عمّ موسى عليه السلام وهو مؤمن ءال فرعون كان مؤمناً وكاتماً لايمانه ستّمائة سنة وكان خازناً لفرعون وكان اسمه حزقيل.

و قيل: شمعون وقيل: سمعان [٢].

[قَالَ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ]يتشاورون فى اخذك و قتلك [لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ] من ارض مصر [إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّـٰصِحِينَ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ وَ لَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يَهْدِيَنِى سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ] فى دينى ودنياى، ومدين لم يكن فى سلطان فرعون وسمّى

---

١. الصّافى ج۴ ص ۸۵-۸۴ و كمال الدّين و تمام النّعمة ج١ ص١۴٩ ح١٢

٢. مجمع البيان ج٨-٧ ص٢۴۶

باسم مدين بن ابراهيم.

قيل: كان بينه و بين مدين مسيرة ثلاثة ايّامٍ.

و قيل: مسيرة ثمانية ايّامٍ و لم‌يكن موسى عليه السلام يعرف الطّريق و لذلك قال: عسى ربّى ان يهدينى سواء السّبيل و لعلّه كان طالباً لشعيب عليه السلام و اراد مدين لملاقاء شعيب.

و قيل: انّه لم‌يقصد موضعاً بعينه لكنّه وقع على طريق مدين، و قيل: دلّه ملك على طريق مدين[1].

[وَ لَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ] و هو بئر كانت لهم [وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ] لمواشيهم من البئر [وَ وَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ] تمنعان غنمها عن الماء.

[قَالَ مَا خَطْبُكُمَا] ماشأنكما تذودان اغنامكما عن الورود [قَالَتَا لَا نَسْقِى] اغنامنا عند مزاحمة النّاس [حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ] قرئ من باب الافعال و من الثّلاثىّ المجرّد و ننتظر فضول الماء فنسق به و لانقدر نحن على السّق من البئر.

[وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ] لايقدر على ان يتولّى السّق بنفسه [فَسَقَىٰ] اغنامهما [لَهُمَا].

قيل: رفع حجراً كان على بئرٍ كان لايقدر على رفع ذلك الحجر عنها الاّ عشرة رجالٍ و سألهم ان يعطوه دلواً فناولوه دلواً.

و قالوا له: انزح ان امكنك وكان لاينزحها الاّ عشرة فنزحها وحده و سق لهما بدلوٍ واحدة و كان لم‌يأكل منذ ثلاثة ايّامٍ[2].

---

۱. مجمع‌البيان ج۸-۷ ص۲۴۷

۲. مجمع‌البيان ج۸-۷ ص۲۴۸

[ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ] و هو جائع [فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ]هو الجوع الّذی به يطلب الانسان الغذاء و بالغذاء يكون بقاؤه و تعيّشه و لولاالجوع لايطلب الغذاء فلايتيسّر له التّعيّش والعبادة و يكون مريضاً محتاجاً الى المعالجة.

[فَقِيرٌ]ای محتاج الی الغذاء.

قيل: سأل نبيّ اللهعليه‌السلام فلق خبزٍ يقيم به صلبه [۱].

و عن علیّعليه‌السلام: ماسأله الاّ خبزاً يأ كله لانّه كان يأ كل بقلة الارض لقد كانت خضرة البقل ترى من شفيف صفاق بطنه لهزالة و تشذّب لحمه [۲]فأجابه الله حيث سأل شعيبعليه‌السلام عن بنتيه بعد عودهما سبب سرعة عودهما فقصّتا له القصّة .

فقال لاحديهما: ادعيه فذهبت اليه كما قال تعالى [فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ] بحيث لايمكنه الكلام ولاالمشى على ماينبغى بين يدى الرّجال [قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا]فلمّا قالت اجر ماسقيت لنا كره ذلك موسیعليه‌السلام و اراد ان لايتبعها ولكن لم يجد بدّاً من متابعتها لجوعه وخوفه.

فخرج معها و كانت الرّيح تضرب ثوبها فتبين لموسیعليه‌السلام عجزها، فجعل يعرض عنها مرّة ويغضّ مرّةً فناداها يا امّه الله كونى خلفى و اريني الطّريق بحصاةٍ فانا من قومٍ لاينظرون من ادبار النّساء فلمّا دخل على شعيبٍعليه‌السلام اذا هو بالعشاء مهيّاً.

---

۱. مجمع‌البيان ج۸-۷ ص۲۴۸

۲. تفسيرالقمّى ج۲ ص۱۳۷ نهج‌البلاغه ص ۲۲۶ خطبه ۱۶۰

فقال له شعيب: اجلس يا شابّ فتعشّ فقال له موسىعليه السلام: اعوذ بالله، قال شعيبعليه السلام: و لم ذاك الست بجائع؟

قال: بلى و لكن اخاف ان يكون هذا عوضاً لماسقيت لهما و انا من اهل بيت لانبيع شيئاً من عمل الاٰخرة بملأ الارض ذهباً.

فقال له شعيبعليه السلام: لا والله يا شابّ ولكنّها عادتى و عادة ءابائى نقرى الضّيف و نطعم الطّعام، فجعل يأكل ثمّ قصّ قصّته كما قال تعالى.

[فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَ قَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ] شعيب [لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ] لانّ ارضنا ليست فى مملكته [قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَـٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ] لرعى الغنم [إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ] هذا [ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ] اتى باسم الظّاهر مقام الضّمير للدّلالة على وصفيه الّذين هما سبب استيجاره قال شعيبعليه السلام امّا قوّته فقد عرفته برفع الحجر الّذى لايرفعه الاّ عشرة و باستقاء الدّلو الّتى لايستقيها الاّ عشرة فمن اين عرفت امانته؟

قالت: انّى كنت قدّامه فقال: كونى فى خلفى و دلّينى على الطّريق بالحصاه فاتا من قومٍ لاينظرون فى اعجاز النّساء فمن هذا عرفت امانته.

فلمّا قالت ذلك زاده ذلك رغبةً فيه و [قَالَ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَـٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى ثَمَـٰنِىَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَ مَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِى وَ بَيْنَكَ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَىَّ وَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ] يعنى لااجعل السّنتين جزء الصّداق بل اجعلهما تفضّلاً منك.

قيل: لم يجعل ذلك مهراً بل انكحها على مهرٍ وجعل ذلك شرطاً.

و قيل: بل جعل ذلك مهراً، و ما فى اخبارنا يدلّ على انّه جعل ذلك مهراً.

فعن الصّادقعليه السلام انّ عليّاً قال: لايحلّ النّكاح اليوم فى الاسلام باجارة بان يقول: اعمل عندك كذا وكذا سنةً على ان تزوّجنى اختك او ابنتك قال: هو حرام انّه ثمن رقتها وهى احقّ بمهرها[1].

و بهذا المعنى اخبارٌ اخر كثيرة، وورد فى اخبارنا انّ المنكوحة كانت صغراهما و هى الّتى قالت انّ ابى يدعوك و قالت: يا ابت استاجره و انّ موسىعليه السلام قضى او فى الاجلين[2].

[فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ] فى حديث قال موسىعليه السلام لشعيبعليه السلام بعد مارعى له عشر سنين: لابدّلى ان ارجع الى وطنى وامّى و اهل بيتى فمالى عندك؟

فقال شعيبعليه السلام: ماوضعت اغنامى فى هذه السّنة من غنم يلق فهو لك فعمد موسىعليه السلام عند ماراد ان يرسل الفحل على الغنم الى عصاه فقشر منها بعضها وترك بعضها وغزّزها فى وسط مر بعض الغنم و القى عليها كساء ابلق ثمّ ارسل الفحل على الغنم فلم تضع الغنم فى التلك السّنة الا ابلقا فلمّا حال على الحول حمل موسىعليه السلام امرأته وزوّده شعيبعليه السلام من عنده و ساق غنمه.

فلمّا اراد الخروج قال لشعيبعليه السلام: ابغى عصاً تكون معى وكانت عصىّ الانبياءعليهم السلام عنده قدورثها مجموعة فى بيتٍ فقال له شعيبعليه السلام: ادخل هذا البيت وخذ عصا من بين العصىّ فدخل فوثبت اليه عصا نوح ابراهيمعليه السلام وصارت فى كفّه فأخرجها ونظر اليها شعيبعليه السلام.

فقال: ردّها وخذ غيرها، فردّها ليأخذ غيرها فوثبت اليه تلك بعينها،

---

۱. الصّافى ج۴ ص۸۸ و من لا يحضره‌الفقيه ج۳ ص۴۲۳ ح۴۴۷۱ ۲. الصّافى ج۴ ص۸۷

فردّها حتّى فع ذلك ثلاث مرّاتٍ، فلمّا رأى شعيبعليه السلام ذلك قال له: اذهب فقد خصّك الله عزّ وجلّ بها فساق غنمه فخرج يريد مصر فلمّا صار فى مفازة ومعه اهله اصابهم برد شديد وريحٌ وظلمة وجهنّم اللّيل.

فنظر موسىعليه السلام الى نارٍ قدظهرت كما قال الله تعالى فلمّا قضى موسى الاجل (الآية).

[وَ سَارَ بِأَهْلِهِۦٓ] وجهنّم اللّيل وتفرّقت ماشيته واصابهم برد وريح وابتليت زوجته بالطّلق كما قيل[1].

[ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا].

اعلم، انّ الله اذا اراد بعبدٍ خيراً ابتلاه اوّلاً بشدائد سدّت جهات حيله وقطعت طرق رجاء خياله من غير الله حتّى اضطرّ الى التّوجّه الى الله وسأله بلسان حاله او قاله فيجيبه تعالى على حسب استعداده و استحقاقه، لانّه يجيب المضطرّ اذا دعا بحاله اوقاله، كما اراد مقام الرّسالة لموسىعليه السلام فابتلاه بظلمة اللّيل والسّحاب وبالثّلج والبرد وتفرّق الماشية و وضع حمل الاهل وعدم ظهور النّار من زناده حتّى انقطع جهات حيل خياله وطرق رجائه فاضطرّ الى التّوجّه الى جهة غيبه.

فانّ موسىعليه السلام لمّااضطرّ الى التّوجّه الى جهة غيبه ظهر له من جانب طور النّفس الّذى هو البقعة المباركة والجانب الايمن من النّفس نور بصورة النّار الظّاهرة من الشّجرة وقدظهرت تلك النّار وتلك الشّجرة فى جبلٍ كان يسمّى بالطّور او سمّى بعد ذلك بالطّور، وقدمضى الاختلاف فى محلٍ ذلك الجبل فلمّا ءانس من جانب الطّور ناراً توجّه اليه واطمئنّ من استيحاشه ولمّااطمئنّ من

---

١. الصّافى ج۴ ص۸۷ و تفسيرالقمّى ج۲ ص۱۳۹

استيحاشه.

[قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا] تسلية لها و تسكيناً لفزعها و وحشتها.

[لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ] اى بخبر الطّريق او خبر النّار وصاحبها او خبر من نأنس به او خبر المعمورة.

[أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ] فى الجذوه ثلاث لغات؛ بتثليث الجيم وقرئ بها وهى القطعة المشتعلة من النّار او الجمرة او الجذمة الّتى هى قطعة خشب متوقّدة بالنّار بعضها يكون ناراً وبضعها خشباً غير مشتعل.

[لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ فَلَمَّآ أَتَـٰهَا نُودِىَ مِن شَـٰطِىِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ] اى ايمن موسىعليه السلام او ايمن النّفس او هو وصف من اليمن بمعنى البركة [فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَـٰرَكَةِ] كثيرة الخير لانّها من الشّام وبركة اراضى الشّام ظاهرة؛ و كذا بركات طور النّفس .

عن الصّادقعليه السلام شاطئ الوادى الايمن الّذى ذكره الله تعالى فى القرءان هو الفرات، والبقعة المباركة هى كربلاء[1].

[مِنَ ٱلشَّجَرَةِ] قيل: كانت نابتة على الشّاطئ؛ [أَن يَـٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ] ذكر فى الحديث: انّه اقبل نحو النّار يقتبس منها فاذا شجرة ونار تلتهب عليها، فلمّا ذهب نحو النّار يقتبس منها اهوت اليه ففزع وعدا او رجعت النّار الى الشّجرة.

فالتفت اليها و قدرجعت الى الشّجرة، فرجع الثّانية ليقتبس فأهوت نحوه فعدا او تركها، ثمّ التفت وقدرجعت الى الشّجرة فرجع اليها الثّالثة فأهوت اليها

---

۱. الصّافى ج۴ ص۸۹ و تهذيب الاحكام ج۶ ص۳۸ ح۲۴

فعدا و لم‌يعقّب الى لم‌يرجع فناداه الله عزّ وجلّ ان يا موسى عليه السلام انّى انا الله ربّ العالمين قال موسى: فماالدّليل على ذلك؟

قال الله عزّ وجلّ: مافى يمينك يا موسى؟

قال: هى عصاى، قال: القها يا موسى فالقيها فاذا هى حيّة تسعى، ففزع منها موسى وعدا؛ فناده الله عزّ وجلّ: خذها ولاتخف انّك من الأمنين، وقدمضى وجه تكرار هذه القصّة اكثر من سائر القصص، و وجه اختلاف الالفاظ المكرّرات لكون الحكايات ترجماتٍ للمحكىّ، و التّرجمة تؤدّى بالفاظٍ مختلفةٍ او لكثرة السّؤال والجواب والاقوال فى المحكىّ وقدنقل فى كلّماذكر القصّة بعض من المحكىّ.

[وَ أَنْ أَلْقِ] عطف على ان يا موسى [عَصَاكَ] فألقيها فصارت حيّةً حيّةً متحرّكة.

[فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ] هى الحيّة الّتى تكون كحلاء العينين لاتوذى [وَلَّىٰ مُدْبِرًا] ولم‌يكن خوفه عليه السلام من النّار وعدوه منها ولاخوفه من الحيّة نقصاً، بل الخوف منه فى مثل تلك الحال الّتى انسلخ فيها من كلّ الكثرات ورجع الى مقام الوحدة يدلّ على كماله و قوّة نفسه فى مقام بشريّته لعدم زوال كثراته وعدم فنائه عن اهل مملكته فى مثل تلك الحال الّتى يفنى كلّ من حصلت له عن جميع كثراته و عن جميع اهل مملكته ولايحفظ حقّ شيءٍ من كثراته.

و حقّ البشريّة الخوف والفرار من النّار المحرقة ومن الحيّة الموذية وحفظ حقوق الكثرات فى مثل تلك الحال من اتمّ الدّلائل على الكمال، وهكذا الحال فى طلب الدّليل بعد سماع انّى انا الله من الشجّرة.

[وَ لَمْ يُعَقِّبْ] لم‌يلتفت الى عقبه او لم‌يرجع على عقبه بخلاف حال

فراره من النّار [يَـٰمُوسَىٰٓ] قيل او نودى يا موسى [أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ ٱلْأَمِنِينَ] من المخاوف.

[ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ] يعنى من غير علّة البرص فادخلها فى جيبه واخرجها منه فاضاءت له الدّنيا [وَ ٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ] من اجل الرّهب حتّى يسكن خوفك فانّ وضع اليد والعضد على القلب يعين على سكونه عن اضطرابه.

[فَذَٰنِّكَ] قرئ بتخفيف النّون والتّشديدها [بُرْهَـٰنَانِ] اى احياء العصا وابيضاض اليد ناشئان.

[مِن رَّبِّكَ] منتهيان [إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَ مَلَإِيْهِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ] لمّااستفاد موسى عليه السلام انّ انتهاء البرهانين الى فرعون وملائه ليس الاّ على يده.

[قَالَ] فى الجواب استعفاءً او طلباً للمظاهرة بهارون على مامضى عند قوله فأرسل الى هارون [1] من سورة الشّعراء انّ الظّاهر انّ موسى عليه السلام استعفى اوّلاً وبعد ردعه من استغفائه طلب المظاهرة بأخيه.

[رَبِّ إِنِّى قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ وَ أَخِى هَـٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا] الرّدء العون والمادّة والعدل الثّقيل، وقرئ رداً بتخفيف الهمزة.

[يُصَدِّقُنِىٓ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ] ولاينطلق لسانى فى ردّهم وردعهم وان اتيت بحجّة فى جوابهم بلسانٍ غير طلقٍ لايقبلوا منّى لقتلى منهم نفساً وغيظهم علىّ.

---

۱. سورةالشّعراء ءاية ۱۳

[قَالَ] اجابةً لمسؤله [سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَ نَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَـٰنًا] اجابة من مسؤله و تفضّل عليه بالزّيادة على مسؤله اعنى وعد النّصر لهما وعدم وصول الضّرر منهم اليهما.

[فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا] بضررٍ [بِـَٔايَـٰتِنَآ] الباْ سببيّة والظّرف متعلّق بلا يصلون اوبالغالبون [أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَـٰلِبُونَ] فاطمأنّ موسىعليه السلام بوعده تعالى وذهب الى فرعون.

[فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا بَيِّنَـٰتٍ] البـاء للتّعدية او للمصاحبة.

و المراد بالاٰيات العصا واليد البيضاء وجمعها لانّ فى كلٍّ كان دلالات على صدقه فى رسالته و توحيد الله، او المراد هاتان مع الحجج الدّالّة على صدقه.

[قَالُواْ] جهلاً وعناداً [مَا هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ] الّذى ادّعاه من توحيد الاٰله [مُّفْتَرًى وَ مَا سَمِعْنَا بِهَـٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ وَ قَالَ] وقرئ بغير واوٍ [مُوسَىٰ] بعد ماانكروه وانكروا رسالته ولم يقبلوا معجزاته وحججه مستشهداً بالله و علمه.

[رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَن جَآءَ بِالْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِۦ وَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَـٰقِبَةُ ٱلدَّارِ] يعنى العاقبة المحمودة كانّ العاقبة الغير المحمودة ليست بعاقبة عرّض بنفسه كأنّه قال ربّى اعلم بانّى جئت بالهدى وانّ لى العاقبة المحمودة فلا ابالى بردّكم وانكاركم.

[إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّـٰلِمُونَ]حقّ العبارة ان يقول وبمن لايجيء بالهدى ولايكون له عاقبة الدّار لكنّه عدل اليه تعريضاً بهم واثباتاً لظلمهم ونفياً للهدى وحسن العاقبة عنهم بالبرهان .

كأنّه قال: انّه يفلح الظّالمون بالهدى وحسن العاقبة وانتم ظالمون بانكار الله الّذى هو خالق الخلق و عبادة غيره وانكار رسالتى.

[وَ قَالَ فِرْعَوْنُ]بعد ماعجز من الحجّة وخاف عن المعارضة لاجل الحيّة مقبلاً على قومه تخليطاً عليهم وتسكيناً لنفسه عن الخوف [يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرِى] هذا الكلام منه يدلّ على عجزه عن الحجّة وغاية خوفه من موسىعليه‌السلام وعصاه حيث لم يدّع الألهة لنفسه صريحاً ونفى علمنه بالأله الّذى ادّعى موسى واظهر شكّه الّذى هو الاقرار بالعجز عن الحجّة وهى كلمته الاولى الّتى اخذه الله تعالى عليه وكلمته الأخرة قوله: انّا ربّكم الاعلى وكان بين الاولى والأخرة اربعون سنةً ؛ كما نسب الى الخبر و لمّاظهر عجزه عن الحجّة و خوفه من موسىعليه‌السلام اراد التّموية على قومه بانّ الا له الّذى ادّعاه موسىعليه‌السلام ان كان حقّاً كان مثلى فى جهة و مكان و كان يمكن لى الوصول اليه.

فقال: [فَأَوْقِدْلِى] اى للبناء لى [يَـٰهَـٰمَـٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ] لتحجير الطّين.

قيل: انّه كان اوّل من عمل الأجرّ[1] [فَاجْعَل لِّى صَرْحًا] قصراً عالياً الى عنان السّماء [لَّعَلِّىٓ أَطَّـلِعُ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِ مُوسَىٰ] ولو لم يكن مقصوده التّمويه ماتكلّم بمثل هذا الكلام.

فانّه كان حكيماً عالماً بانّه لايمكن بناء قصرٍ يمكن الوصول منه الى السّماء.

[وَ إِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ]

۱. مجمع‌البيان ج۸-۷ ص۲۵۵

فی الحدیث فبنی هامان فی الهواء صرحاً حتّی بلغ مکاناً فی الهواء لا یتمکّن الانسان ان یقوم علیه من الرّیاح القائمة فی لهواء فقال لفرعون: لانقدر ان نزید علی هذا فبعث الله عزّ وجلّ ریاحاً فرمت به فاتّخذ فرعون وهامان عند ذلك التّابوت علی التّفصیل الّذی ذکر فی الاخبار.

[وَ ٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَ جُنُودُهُۥ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ] مطلقاً او بعد رجوعه من الهواء زائداً علی استکباره سابقاً، والاستکبار بغیر الحقّ مالم یکن بکبریاء الله او بأمر الله مثل التّکبّر مع المتکبّر.

[وَ ظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ] بالبعث [فَأَخَذْنَـٰهُ وَ جُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَـٰهُمْ فِي ٱلْيَمِّ] کما مرّ تفصیله وفیه تحقیر لهم وتفخیم لشأن الأخذ لانّ الله تعالی جعلهم مع کثرتهم مثل شيءٍ یؤخذ بالکفّ وینبذو جعل اخذ الأخذ فی السّعة والعظمة بالنّسبة الی کثرة جنوده مثل اخذ مایؤخذ بکفٍّ.

[فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلظَّـٰلِمِينَ] تعریض بالامّة وظالمیهم [وَ جَعَلْنَـٰهُمْ أَئِمَّةً] قدوة لجمیعٍ کثیرٍ والمعنی جعنا جمیعهم ائمّة متبوعین لاهالی ممالکهم او جعلنا متبوعیهم ائمّة.

[يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ] عن الصّادق علیه السلام انّ الائمّة فی کتاب الله امامان قال الله تبارك وتعالی: وجعلناهم ائمّة یهدون بأمرنا لابأمر النّاس یقدّمون امر الله قبل امرهم و حکم الله قبل حکمهم قال: [وَ جَعَلْنَا أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ] یقدّمون امرهم قبل امر الله وحکمهم قبل حکم الله ویأخذون باهوائهم خلاف مافی کتاب الله عزّ وجلّ[1].

و المقصود من نقل هذا الخبر تنبیه نفسی و جملة الغافلین و تذکرة اخوانی

---

۱. الکافی ج ۱ ص ۲۱۶ (کتاب الحجّة باب انّ الائمّة فی کتاب الله)

و جملة الطّالبين بانّ تقديم امر الله على امر النّاس يعنى على امر نفس العامل ؛ فانّه من جملة امر النّاس لااختصاص له بائمّة الهدى فقط.

بل كلّ فرد من افراد النّاس امام لأهل مملكته و كلّ فعل يصدر منه امّا المنظور فيه امر الله و حكمه قبل النّظر الى امر نفسه و حكمها او المنظور فيه امر نفسه و حكم نفسه قبل النّظر الى امر الله و حكمه.

فان كان الاوّل كان اماماً يهدى بأمر الله لاهل مملكته قبل أمر نفسه، و ان كان الثّانى اماماً يدعو اهل مملكته الى النّار، مثلاً اذا كان لك شريك فى قصعة ثريد و كنت جائعاً و لم يكن الثّريد كافياً لك و لشريكك او كان فى القصعة شيءٌ لذيذ و لم يكن اللّذيذ كافياً لكما و كان ارادتك ان لاتأ كل ازيد من شريكك بل تريد ان تأ كل مساوياً له او اقلّ بان تؤ ثره على نفسك و لم يكن مقصودك المراثاة او التّمدّح او غير ذلك من اغراض النّفس كنت من القسم الاوّل.

و ان لم تكن كذلك كنت من القسم الثّانى، فاوصيكم اخوانى و نفسى بعدم الغفلة عن ذ كر الله عند فعالكم فانّكم ان تكونوا متذكّرين لله عند الفعال امكن لكم تذكّر امر الله و نهيه عند كلّ فعلٍ و تركٍ.

[وَ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ] لانّ النّصر حينئذٍ محصور فى الله و هؤلاء لااتّصال لهم بالله بتوسّط خلفائه لانكارهم الله و خلفاءه [وَ أَتْبَعْنَـٰهُمْ فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً] اللّعنة الطّرد من الرّحمة او قول: اللّهمّ العنهم، وقوله تعالى فى هذه الحيوة الدّنيا ان كان حالاً من المفعول كان المعنى اتبعناهم طرداً من الرّحمة او لعن اللاّعنين حالكونهم فى هذه الحيوة الدّنيا وهذه اوفق بمقابلة مايأتى وان كان متعلّقاً باتبعناهم اوباللّعنة او حالاً من اللّعنة كان المعنى اتبعناهم لعنة من غير تعرّضٍ بكونهم فى الدّنيا او فى الاُخرة.

[وَ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ]كناية عن عدم شمول

رحمته تعالى لهم ونزول نقمته بهم يوم القيامة [وَ لَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ] النّبوّة والرّسالة واحكامها او التّوراة [مِن بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ] مثل قوم نوح وهودٍ وصالحٍ وابراهيم وشعيب عليه السلام او المراد بالقرون قوم فرعون فانّهم كانوا امماً عديدةً اهلكوا بالغرق.

[بَصَآئِرَ] جمع البصيرة بمعنى الحجّة فانّها مابه يبصر القلب، وبصائر حال او بدل من الكتاب.

[لِلنَّاسِ وَ هُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ]نسب الى النّبيّ صلّى الله عليه وآله انّه قال: ماأهلك الله قوماً ولاقرناً ولاامّة ولااهل قرية بعذاب من السّماء منذ انزل التّوراة على وجه الارض غير اهل القرية الّتي مسخوا قردة الم تر انّ الله تعالى وقال: ولقد ءاتينا موسى الكتاب (الأية)[1].

[وَ مَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ] اى بجانب الجبل الّذى هو الطّور او الوادى الّذى فيه الطّور الغربيّ منك او من موسى عليه السلام فانّ الجبل على قول انّه كان فى الشّام كان غربيّاًبالنّسبة الى مكّة والمدينةوبالنّسبة الى مصر و مدين، او المعنى وما كنت بجانب الطّرف الغربيّ من الطّور.

[إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ] انهينا اليه امر النّبوّة حين استنبئناه بعد الرّجوع الى مصر اوامر التّوراة والواحها حين اعطيناه فى الطّور اوامر نور الولاية حين اندكّ الجبل وخرّ موسى عليه السلام صعقاً واهلك قومه السّبعين فانّ الكلّ من الاخبار مغيبات الّتى لاتعلم الاّ بطريق الوحى او اخبار من شاهدها.

[وَ مَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّـٰهِدِينَ] لهـا حـتّى تـعلمها بـالشّهود [وَ لَـٰكِنَّـآ أَنشَأْنَا] اى لكنّا اوحيناها اليك فنعلمها كما هو وليس من

---

۱. مجمع البيان ج۸-۷ ص۲۵۶

شهودك و لامن السّماع ممّن يشهدنا ولامن اخبار من يخبرها صحيحاً لانّا انشأنا.

[قُرُونًا] اماً كثيرة متتابعة [فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ] فلم يبق ممّن شهدها احد و لم يبق ممّن اطّلع عليها من طريق الاخبار الصّحيحة احد حتّى يخبرك بها.

و لم يبق الاخبار على صحّتها بل تغيّرت وانحرفت فلم يكن علمك بها صحيحاً الاّ من طريق الوحى فالمستدرك فى الحقيقة هو وحى تلك الاخبار فحذف وادخل اداة الاستدراك على علّة اثبات الوحى.

[وَ مَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ] قرية شعيب عليه السلام [تَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِنَا] الجملة صفة ثاوياً او مستأنفة وعلى الاستيناف فالضّمير المجرور لاهل مدين او لاهل مكّة والمعنى انّك لم تكن فى اهل مدين حتّى يكون اخبارك عنهم عن شهودٍ وليس يخبرك احد بأخبارهم الصّحيحة لتطاول الازمنة واندراس الاخبار وتحريفها فليس اخبارك عنهم الاّ بالوحى الّذى ليس الاّ للرّسول.

[وَ لَـٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ] لك فاخبارك يكون بوحيٍ منّا و المستدرك ههنا ايضاً هو الوحى لكنّه ادخل اداة الاستدراك على الارسال لانّه المقصودة من الايحاء اليه.

[وَ مَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا] موسى عليه السلام بنداء انّى انا الله او بالنّداء الّذى سمعه اصحابه السّبعون او نادينا امّتك وهم فى اصلاب الرّجال وارحام النّساء كما يأتى.

[وَلَـٰكِن] اخبرك ربّك بذلك [رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ] بذلك الخبر او ليكون دليلاً على رسالتك فتنذر بعد ثبوت رسالتك.

[قَوْمًا مَّآ أَتَـٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ] لوقوعهم فى زمان

الفترة واندراس ءاثار الانبياءعليهم السلام السّالفة [لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ] بمبدئهم معادهم و ثوابهم و عقابهم.

عن النّبىّ صلى الله عليه وآله لمّابعث الله عزّ وجلّ موسى بن عمران و اصطفاه نجيّاً و فلق له البحر و نجّى بنى اسرائيل و اعطاه التّوراة و الالواح رأى مكانه من ربّه عزّ وجلّ.

فقال: ربّ لقدا كرمتنى بكرامةٍ لم تكرم بها احداً من قبل فقال الله جلّ جلاله: يا موسى اما علمت انّ محمّداً صلى الله عليه وآله افضل عندى من جميع ملائكتى و جميع خلقى.

قال موسى عليه السلام: يا ربّ فان كان محمّد صلى الله عليه وآله اكرم عندك من جميع خلقك فهل فى ءال الانبياء اكرم من ءالى؟

قال الله جلّ جلاله: يا موسى عليه السلام اما علمت انّ فضل ءال محمّد صلى الله عليه وآله على جميع ءال النّبيّين كفضل محمّد صلى الله عليه وآله على جميع المرسلين ، فقال موسى عليه السلام: يا ربّ فان كان ءال محمّدٍ صلى الله عليه وآله كذلك فهل فى امم الانبياء عليهم السلام افضل عندك من امّتى؟ ظلّلت عليهم الغمام، و انزلت عليهم المنّ والسّلوى، و فلقت لهم البحر؟ فقال الله جلّ جلاله: يا موسى اما علمت انّ فضل امّة محمّدٍ صلى الله عليه وآله على جميع الامم كفضله على جميع خلقى قال موسى عليه السلام: يا ربّ ليتنى كنت اراهم فأوحى الله عزّ وجلّ اليه: يا موسى لن تراهم و ليس اوان ظهورهم ولكن سوف تراهم فى الجنان جنّات عدنٍ و الفردوس بحضرة محمّدٍ صلى الله عليه وآله فى نعيمها يتقلّبون و فى خيراتها تبجّحون.

افتحبّ ان اسمعك كلامهم؟ قال: نعم ءالهى، قال الله جلّ جلاله: قوم بين يدىّ و اشدد مئزرك قيام العبد الذّليل بين يدى الملك الجليل؛ ففعل ذلك موسى عليه السلام فنادى ربّنا عزّ وجلّ: يا امّة محمّدٍ صلى الله عليه وآله؟

فأجابوا كلّهم وهم فى اصلاب ءابائهم وارحام امّهاتهم: لبّيك لبّيك لاشريك لك لبّيك انّ الحمد والنّعمة والملك لك، لاشريك لك، قال: فجعل الله عزّ وجلّ تلك الاجابة شعار الحاجّ، ثمّ نادى ربّنا عزّوجلّ: يا امّة محمّدٍ صلى الله عليه وآله انّ قضائى عليكم انّ رحمتى سبقت غضبى، و عفوى قبل عقابى.

فقداستجبت لكم قبل ان تدعونى، واعطيتكم من قبل ان تسألونى، من لقينى بشهادة ان لاءاله الاّ الله وحده لاشريك له و انّ محمّداً صلى الله عليه وآله عبده و رسوله صادق فى اقواله محقّ فى افعاله، وانّ علىّ بن ابى طالب عليه السلام اخوه و وصيّه من بعده و وليّه و يلتزم طاعته كما يلتزم طاعة محمّدٍ صلى الله عليه وآله وانّ اولياءه المصطفين الطّاهرين المطهّرين المثابين بعجائب ءايات الله ودلائل حجج الله من بعدهما اولياءه ادخله جنّتى وان كانت ذنوبه مثل زبد البحر.

قال: فلمّا بعث الله محمّداً صلى الله عليه وآله قال: يا محمّدوما كنت بجانب الطّور اذ نادينا امّتك بهذه الكرامة ثمّ قال عزّ وجلّ لمحمّدٍ صلى الله عليه وآله قل: الحمد لله ربّ العالمين على مااختصّنى به من هذه الفضيلة؛ و قال لامّته: قولوا: الحمد لله ربّ العالمين على مااختصّنا به من هذه الفضائل[1].

[وَ لَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةُۢ] اى لولا كراهة ان تصيبهم مصيبة [بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ] بجهالتهم.

[فَيَقُولُوا۟] بعد ذلك اعتراضاً علينا واعتذاراً عن جهالتهم [رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا] فنعلم انّ لك ءاياتٍ [فَنَتَّبِعَ ءَايَـٰتِكَ وَ نَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ] فلم تصبنا تلك المصيبة بجهالتنا مارسلناك اليهم لعدم استعدادهم واستحقاقهم لرسول مثلك.

---

١. عيون اخبار الرّضا عليه السلام ج ١ ص ٢٢٠ ح ٣٠

[فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا] ای الرّسول او رسالته او کتابه او معجزاته تأنّفوا عنه واستکبروا عن قبول رسالته .

و [قَالُواْ] ردّاً لرسالته: [لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ] من المعجزات الظّاهرة من الید و العصا وفلق البحر او من الکتابة جملة [أَ] قبلوا من موسیعليه السلام .

[وَ لَمْ يَكْفُرُواْ بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ] یعنی لیس سؤالهم من محمّدٍصلى الله عليه وآله مثل ماأوتی موسیعليه السلام عن صدق نیّةٍ وطلب دلیلٍ بل کان ذلك منهم محض تعنّتٍ واستکبارٍ عن القبول .

فانّ اسلافهم لم‌یقبلوا من موسیعليه السلام و هؤلاء اسناخهم فلو اتی بمثل ماأوتی موسیعليه السلام لم‌یقبلوا، او المعنی یکفر هؤلاء الموجودون من کفّار قریش بما اوتی موسیعليه السلام .

[قَالُواْ] ای الاسلاف [سَٰحِرَانِ] یعنی موسی وهارونعليهما السلام، وقرئ سِحْران علی المبالغة، او قال الموجودون محمّدصلى الله عليه وآله وموسی ساحران او کتابهما سحران [تَظَٰهَرَا] تعاونا او تطابقا.

[وَ قَالُوٓاْ إِنَّا بِكُلٍّ] منهما او بکلٍّ من الانبیاء [كَٰفِرُونَ قُلْ] هؤلاء الّذین هم اسناخ اسلافهم او هؤلاء الموجودین: من کفّار قریش [فَأْتُواْ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ] من کتابی وکتاب موسی [أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ] فی انّ موسی وهارونعليهما السلام او محمّداًصلى الله عليه وآله وموسیعليه السلام ساحران او کتابی وکتابه سحران.

[فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ فَاعْلَمْ] هذا من قبیل ایّاك اعنی واسمعی یا جاره والاّ فهو عالم بدون ذلك.

[أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ] ولیس لهم صدق نیّة فی سؤالهم و

لا برهان لهم فى انكارهم [وَ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ] يعنى لا اضلّ منه؛ فانّ العبارة و ان كان اعمّ من هذا المعنى لكنّه لا يستعمل الاّ فيه فان كان لا اضلّ منه فلا محاجّة معه.

[بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ] الباء للسّببيّة او للمصاحبة و الظّرف بيان لاتّباع الهوى و انّه لايكون الاّ بغير هدىً، او تقييد بمعنى انّ اتّباع الهوى قديكون مسبّباً من الهدى وامر الله وامر خلفائه و مصاحباً له، و قديكون مسبّباً عن غير امر الله و امر خلفائه و مصاحباً لغير امر الله.

فانّ كلّ الافعال الموافقة لمقتضيات النّفوس يكون صاحبوها بوجه متّبعين لأهوية انفسهم فان كانوا فى هذا الاتّباع ناظرين الى امر الله و امر خلفائه كانوا متّبعين لأهوية انفسهم بهدى من الله والاّ كانوا متّبعين لأهويتهم بغير هدىً فالحذر الحذر اخوانى من الغفلة عن الامر الالٰهىّ عند فعالكم حتّى لاتكونوا مصاديق قوله تعالى: ومن اضلّ ممّن اتّبع هواه بغير هدىً من الله.

عن الكاظم عليه السلام فى هذه الاٰية يعنى من اتّخذ دينه رأيه بغير امامٍ من ائمّة الهدى [1]، و عن الصّادق عليه السلام مثله [2].

[إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ] تعليل لكون المتّبع للهوى اضلّ النّاس، او لاتّباع الهوى بغير هدىً من الله.

[وَ لَقَدْ وَصَّلْنَا] جملة حاليّة واستدراك لمّاتوهّم من قوله انّ الله لايهدى القوم الظّالمين انّه تعالى اهملهم ولم يأت لهم باسباب الهداية يعنى انّا

---

۱. الصّافى ج۴ ص۹۴ و الكافى ج۱ ص۳۷۴ ح۱

۲. الصّافى ج۴ ص۹۴ و بصائرالدّرجات ص۳۳ باب۸ ح۱

لانهديهم لعدم قابليّتهم وقبولهم والاّ فنحن لم نهملهم و وصّلنا.

[لَهُمُ ٱلْقَوْلَ] فى الاحكام والمواعظ والنّصائح والعبر و المواعيد بل وصّلنا لهم الاقوال الحقيقيّة الّذين هم خلفاؤنا فى الارض و قد فسّر فى الاخبار بامامٍ بعد امامٍ.

[لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ] مالهم و ماعليهم فلا يتّبعون الهوى بغير هدىً من الله [ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِهِۦ]اى من قبل محمّدٍ ﷺ او من قبل القرءان [هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ] لاشك انّ جميع اهل الكتاب ماءامنوا به ولاشكّ انّ اكثر من ءامن به لم يكونوا بالاوصاف الأتية؛ فالمراد بهم الكاملون من مؤمنيهم فانّهم الّذين ءاتاهم الله الكتاب حقيقة كأنّ غيرهم كان الكتاب فهم عاريّةً او المراد بهم الكاملون من امّة محمّدٍ ﷺ فانّهم ءاتاهم الله كتاب النّبوّة واحكامها ومعرفة المعروف والمنكر من قبل قبول رسالة محمّد ﷺ تكويناً.

او المراد بهم الائمّة عليهم السلام كما فى الاخبار فانّهم الكاملون فى ان ءاتاهم الله الكتاب تكويناً من اوّل صباوتهم [وَإِذَا يُتْلَىٰ]الكتاب اى احكام النّبوّة او اذا يتلى القرءان [عَلَيْهِمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ] لمانعرفه تكويناً من وجودنا [إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ] اى من قبل قبول رسالة محمّدٍ ﷺ او من قبل القرءان ونزوله او من قبل المتلوّ و تلاوته.

[مُسْلِمِينَ أُوْلَـٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُواْ]

الصّبر حبس النّفس على ما لم تصبر عليه من البلاء و المعصية و الطّاعة و المؤمن اذا ءامن كان له اجرٌ و اذا حبس نفسه على كتمه و عدم اذاعته فى وقتٍ يكون الاذاعة شيناً عليه او على صاحبه او على اخوته، او يكون الاذاعة سبباً للصّيت والمراياة كان له اجر اخر.

[وَ يَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ] يعنى بحسنات اقوالهم و افعالهم و اخلاقهم و عقائدهم سيّئاتها؛ او بالحسنة بالنّسبة الى المسيء سيّئة المسيء او بالتّقيّة سيّئة الكفّار بالنّسبه اليهم او الى صاحبهم او اخوانهم او بالتّقيّة الاذاعة و بالمداراة التّبرّز بالمعارضة مع الخلق، او بالحلم جهل الجاهل او بالحسنة من افعالهم البلايا الّتى قدّر عليه او على غيرهم فانّهم فى الخلق امان لهم من البلايا؛و فى الاخبار اشارة الى كلّ ذلك[1].

[وَ مِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ] قدمرّ فى اوّل البقرة تفصيل تامّ لهذه الكلمة [وَ إِذَا سَمِعُوا ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ] اللّغو كلّما لم يكن له غاية عقلانيّة دنيويّة او اخرويّة و العاقل لايركن الى مالاغاية له عقلانيّة.

[وَ قَالُوا لَنَآ أَعْمَـٰلُنَا وَ لَكُمْ أَعْمَـٰلُكُمْ] يعنى لايتعرّضون لهم بالرّدّ و الانكار.

[سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ] سلام مودّعٍ متتاركٍ [لَا نَبْتَغِى ٱلْجَـٰهِلِينَ] و صحبتهم لانّهم كانوا اضداداً للجاهلين فهم بحالهم و قالهم يقولون: لانبتغى مجالسة الجاهلين.

[إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ] هدايته او من كان محبوباً لك فكيف بغيره و الجملة جواب سؤالٍ ناشٍ من سابقه كأنّه صلّى الله عليه و آله قال: هل يكون هداية هؤلاء بسعيى و انا اهديهم؟

او قال صلّى الله عليه و آله: هل ابالغ فى هداية ارحامى و احبابى؟

او جواب لسؤاله عليه السلام و جهده فى هداية ارحامه خصوصاً على مانقل من العامّة انّه نزل فى ابى طالب عليه السلام و مبالغة محمّدٍ صلّى الله عليه و آله فى ايمانه و عدم قبوله[2].

---

۱. الكافى ج ۲ ص ۲۱۷ ح ۱ ۲. تفسير القمّى ج ۲ ص ۱۴۳

[وَ لَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ] هدايته او من كان محبوباً له [وَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ] اى المستحقّين للهداية و انت لاتعلمهم، او لست اعلم منه بهم او هو اعلم بمن اتّصف بالهدى حقيقةً وبمن قبل رسالتك عارية.

فى اسلام ابى طالبعليه السلام

اعلم، انّه نقل بطريق العامّة انّ الأية نزلت فى ابى طالبعليه السلام و ذكروا اخباراً عديدة فى حقّه مشعرة بذمّه و عدم اسلامه و ذكر بعض الخاصّة ايضاً بعضاً من اخبارهم الّتى لا يليق بشأنه.

فانّ جلالة شأنهعليه السلام اجلّ و امنع من ان يبلغها عقول الرّجال فكيف بأصحاب البحث و الجدال و ارباب الظّن الخيال؟! لانّه كما استفيد من الاخبار انور نوراً و افخم قدراً بعد الانوار الاربعة عشر من جميع الانبياء و الاولياءعليهم السلام .

وانّه كان مستودعاً لودائع الوصاية من جميع الانبياء و الاولياءعليهم السلام الّتى ينبغى ان تسلّم الى محمّدصلى الله عليه وآله الّذى كان خاتم كلّ الانبياءعليهم السلام و حامل و دائعه ينبغى ان يكون سنخاً له، و فى مرتبة الشّرافة مناسباً له.

وانّه كان مربّياً لمحمّدصلى الله عليه وآله من اوّل صباه بل كان مرضعاً له من ثدى نفسه مدّة وانّه اخبر كثيراً قبل ولادته وبعدها بولادته و نبوّته و شرافته و انّه كان من اوصياء عيسىعليه السلام وانّ كلّ الاوصياء ينبغى ان يكونوا راجعين اليه وءاخذين منه.

روى فى الكتب المعتبرة عن الكاظمعليه السلام انّه سئل: اكان رسول اللهصلى الله عليه وآله محجوباً بابى طالبعليه السلام ؟

فقال: لا؛ ولكنّه كان مستودعاً للوصايا فدفعها اليه.

قيل: فدفع اليه الوصايا على انّه محجوج به؟ فقال: لو كان محجوجاً به مادفع اليه الوصيّة، و قيل: فما كان حال ابى طالبعليه‌السلام؟

قال: اقرّ بالنّبىّ صلى‌الله‌عليه‌وآله وبما جاء به و دفع اليه الوصايا و مات من يومه[۱].

و لو لم يكن فى حقّهعليه‌السلام سوى هذا الخبر لكفى فى الدّلالة على جلالة شأنه و فخامة قدره لدلالته على انّه كان مستودعاً للوصايا الّتى ينبغى ان تدفع الى محمّد صلى‌الله‌عليه‌وآله وانّه كان ادّاها اليه و مات من يومه.

و روى انّ اميرالمؤمنينعليه‌السلام كان ذات يوم جالساً بالرّحبة والنّاس مجتمعون اليه فقام اليه رجل فقال: يا اميرالمؤمنينعليه‌السلام انّك بالمكان الّذى انزلك الله به وابوك يعذّب بالنّار..!

فقال له: معه، فضّ الله فاك والّذى بعث محمّداً صلى‌الله‌عليه‌وآله بالحقّ نبيّاً لو شفع ابى فى كلّ مذنبٍ على وجه الارض لشفّعه الله تعالى فيهم، لابى يعذّب بالنّار وابنه قسيم النّار؟

ثمّ قال: والّذى بعث محمّداً صلى‌الله‌عليه‌وآله بالحقّ انّ نور ابى طالبعليه‌السلام يوم القيامة ليطفئ انوار الخلق الاّ خمسة انوارٍ؛ نور محمّدٍ صلى‌الله‌عليه‌وآله ونورى ونور فاطمةعليها‌السلام ونور الحسن ونور الحسينعليه‌السلام ومن ولّده من الائمّةعليهم‌السلام لانّ نوره من نورنا الّذى خلقه الله عزّ وجلّ من قبل خلق ءادمعليه‌السلام بألفى عامٍ[۲].

[وَ قَالُوٓاْ] عطف على قوله: قالوا انّا بكلّ كافرون يعنى قال قريش او عشيرتك او ابوطالبعليه‌السلام على قوله العامّة [إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ] اى رسالتك [نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ].

روى عن اميرالمؤمنينعليه‌السلام انّها نزلت فى قريشٍ حين دعاهم

---

۱. الصّافى ج۴ ص۹۶ و بشارة المصطفى ص۲۰۲

۲. الصّافى ج۴ ص۹۷

رسول‌الله ﷺ الی الاسلام والی الهجرة[1].

و عن النّبیّ ﷺ انّه قال: والّذی نفسی بیده لادعونّ الی هـذا الامـر الابیض والاسود ومن علی رؤس الجبال ومن فی لجج البحار، ولادعونّ الیه فارس و الرّوم فجبرت قریش واستکبرت و قالت لابی طالب: اما تسمع الی ابن اخیك مایقول والله لوسعت بهذا فارس و الرّوم لاختطفتنا مـن ارضـنا ولقلعت‌الکعبة حجراً حجراً؛ فأنزل الله تعالی هذه الأیة[2].

[أَوَ لَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ] ای الم نرزقهم فی حال کفرهم من کلّ مایرزق مع انّ مکانهم وادٍ غیر ذی زرعٍ ولم نجعل لهم [حَرَمًا ءَامِنًا] ذاامنٍ او ءامـناً ساکنوه مکاناً و محلّاً لساکنهم فکیف یکون حالهم اذا کانوا موحّدین مستحقّین لکرامتنا.

[يُجْبَىٰٓ] ای یجمع [إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيْءٍ] لم یقل کلّ نباتٍ لقصد تعمیم الّثمرات لکلّ خیرٍ و مالٍ فانّه لااختصاص لجمع الاشیاء الیه بالفواکه بل یجبی الیه کلّ مایحصل من النّباتات والاشجار و الانعام و الصّـنائع و انـفس الانعام بل یجبی الیه ثمرات القلوب و خیرات الأخرة و لذلك قال تعالی.

[رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا] یعنی انّ الّثمرات الدّنـیویّة وان کـانت رزقاً مـن الارض لکن ثمرات الأخرة والقلوب من ارزاقنا اللدّنیّة، وکذلك برکات ثمرات الارض وما کان منها رزقاً للارواح.

[وَ لَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ] انّ ذلك لهم من فضلنا و حکمتنا و قدرتنا و ینسبون ذلك الی انفسهم او اکثرهم لاعلم لهم.

---

۱. تفسیرالقمّی ج ۲ ص۱۴۲

۲. الصّافی ج۴ ص۹۷ و روضةالواعظین للنیسابوری ج۱ ص۵۴

[وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ] عطف على قوله او لم نمكنّ و جمع بين الوعد و الوعيد و التّرغيب و التّرهيب [بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا] بطر اهلها لسعة معيشتها.

[فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلاً] من سوء افعالهم فاتّقوا يا اهل مكّة مثل افعالهم [وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ] لمساكنهم واموالهم واجسادهم وارواحهم.

[وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ] اى ما كان فى سجيّته ان يهلك القرى من دون تنبيهٍ لهم وتذكيرٍ فلايهلكها.

[حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا] قريتهاالعظيمة الّتى كان رجوع الكلّ اليها [رَسُولًا] وهذا على الاغلب والاّ فقد بعث الله بعض الرّسل عليهم السلام من الرّساتيق وكانوا لايخرجون منها ويكون رجوع القرى العظيمة اليها، او على الاشارة الى التّأويل.

فانّ الرّسل عليهم السلام اينما كانوا واينما بعثوا كانوا اصل القرى الانسانيّة ومرجعها ومعظمها وكان الرّسول الّذى هو اللّطيفة الانسانيّة الّتى اتّصفت بصفات الرّوحانيّين يبعث اوّلاً فى تلك القرية العظيمة الّتى هى مملكة وجود الرّسول عليه السلام ثمّ يبعث منها الى سائر القرى الانسانيّة.

[يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا] التّدوينيّة والآفاقيّة واحكامنا الّتى هى لوازم الرّسالة [وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ] بتكذيب الرّسل عليهم السلام وسائر انواع الظّلم والكفر واصل الكلّ انكار الرّسل عليهم السلام.

[وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا] هذا جمع بين التّزهيد والتّشويق كما انّ الاوّل كان جمعاً بين الانذار والتّبشير

[وَ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ] ممّا اوتيتم يعنى ان كان ماأوتيتم خيراً باعتقادكم فما عند الله خيرٌ منه، او لفظ الخير مجرّد عن معنى التّفضيل والاّفلانسبة بين ما عند الله وماعندكم [وَ أَبْقَىٰٓ] ممّا عندكم على اعتقادكم [أَفَلَا تَعْقِلُونَ] ذلك او لايكون عقل فتتركون ماعند الله وتأخذون ماعندكم.

[أَفَمَن وَعَدْنَـٰهُ وَعْدًا حَسَنًا] تأكيد للتّزهيد والتّشويق [فَهُوَ لَـٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَـٰهُ مَتَـٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا] الّذى لابقاء له ويكون لذّته مشوباً بالالم وراحته بالتّعب وغناه بالحاجة ويكون عاقبته الحسرة والنّدامة.

[ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ] للحساب او العقاب [وَ يَوْمَ يُنَادِيهِمْ] عطف على يوم القيامة او بتقدير اذكر او ذكّر او متعلّق بقوله: قَالَ الَّذين حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ.

[فَيَقُولُ] للمشركين [أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ] انّهم شركائى من الاصنام والكواكب و الاهوية و الوسائل و شركاء الولاية فى كلّ عصرٍ و زمانٍ.

[قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ] من مدّعى الرّبوبيّة ومن مدّعى الولاية والرّسالة و ممّن جعلهم المشركون شركاء الله او شركاء الولاية لكنّ المنظور شركاء الولاية.

[رَبَّنَا هَـٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ] اشارة الى المشركون والاتباع [أَغْوَيْنَـٰهُمْ] بصرفهم عنك او عن ولىّ امرهم [كَمَا غَوَيْنَا] بأنفسنا [تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ] منهم فانّهم كانوا اعداءلنا وكنّا نظنّهم احباباً.

[مَا كَانُوٓا۟ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ] بل كان معبودهم ومطاعهم اهويتهم [وَ قِيلَ] للاتبّاع [ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ] فى الولاية والطّاعة او فى الرّبوبيّة [فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ] لعجزهم عن الجواب او اشتغالهم

بانفسهم.

[وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُواْ يَهْتَدُونَ] استيناف بصورة التّمنّى و اظهار انّه ينبغى ان يتحسّر عليهم، او حال بتقدير القول اى مقولاً فيهم او انّهم كانوا يهتدون الى الولاية لما كانوا فى العذاب.

[وَ يَوْمَ يُنَادِيهِمْ] عطف على سابقه [فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ] فى دعائهم ايّاكم الى الله والى قبول رسالتهم و المراد بالمرسلين اعمّ من الرّسل و خلفائهم.

[فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ] من المعامى والاعماء الاراضى الّتى لااثر لها و لاعلامة فى الاذهان و لاعمارة فيها، شبّه الاخبار بالاراضى وانمحائها عن قلوبهم بعدم العلامة وعدم العمارة فيها، او هو مقلوب عموا عن الاخبار للاشعار الى انقلاب احوالهم كأنّهم لايميّزون بين ان يقال عموا عن الاخبار او عميت عليهم و لايهام انّ عماهم لشدّته سرى الى الاخبار.

[يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ] لانّ التّساؤل لايكون الاّ بعد بروز ءاثار الاخبار فى الاذهان [فَأَمَّا مَن تَابَ] عن شركه بالرّبوبيّة او عن شركه بالولاية و تاب على يد ولىّ امره.

[وَ ءَامَنَ] بقبول ولايته فى ضمن بيعته فانّ الفلاح محصور على من قبل ولاية علىّ عليه السلام بالتّوبة على يده او يد خلفائه والبيعة معه [وَ عَمِلَ صَٰلِحًا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ] الاتيان باداة التّرجّى على عادة الكبار و قدمضى مكرّراً انّ التّرجّى من الله واجب، او المعنى عسى من تاب ان يكون من المفلحين فانّ التّائب ليس من قبله الاّ رجاء الفلاح

[وَ رَبُّكَ] لاغيره.

فانّ التّقديم للحصر [يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ] لانّ غيره عاجز عن حفظ

نفسه بعد ماخلقه‌الله فكيف يخلق غيره و حفظه [وَ يَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ] اى الاختيار او المختار فانّ الخيرة اسم مصدر تستعمل فى المختار ايضاً لانّ غيره جاهل بما هو خيرٌ له لايتميّز خيره عن شرّه عنده و لايعلم مآل حاله و مختاره فلايمكنه اختيار ما هو خيرٌ له والأيات تعريض بالامّة واشراكهم بعلىٍّ فى الولاية واختيارهم بآرائهم اماماً لانفسهم وان كان نزوله فى غيرهم، واعراب قوله وربّك يخلق (الأية).

انّ الواو حاليّة و الجملة حال من الجمل السّابقة و يختار امّا عطف على يشاء و حينئذٍ يكون لفظة ما نافية او موصولة بدلاً من مايشاء، او عطف على يخلق و ما نافيةٌ او موصولةٌ.

[سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ] انشاء تسبيحٍ او اخبار تنزيهٍ اوكلمة تعجّبٍ وتعجيب وعلى ايّ تقديرٍ فالمقصود انّ الله فى مظهره الّذى هو علىّ عليه السلام منزّه [وَ تَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ] فى الولاية والخلافة و ما فى عمّا يشركون مصدريّة اوموصولة وفى الاخبار اشارات الى هذاالتّعريض و التّأويل من اراد الاطّلاع فليرجع الى المفصّلات من كتب التّفاسير و الاخبار.

[وَ رَبُّكَ] لاغيره [يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَ مَا يُعْلِنُونَ] قدتكرّر فيما مضى انّ مكنونات الصّدور تصدق على الارادات والعزمات و الخيالات و الخطرات ولكنّ المكنونات حقيقة هى القوى المكمونة فى النّفوس الّتى لم‌يطّلع عليها صاحبوها ولم‌يعلم الاّالله والاّ من كان من الله.

وامّاما كان من قبيل الخطرات والخيالات فهو معلن لصاحبه وللملائكة الموكّلة به وهذه الجملة عطف فى معنى التّعليل فانّ اختيار الخيرة لايتأتّى الاّ ممّن يعلم القوى المكمونة الّتى لاظهور لها لالصاحبها و لالغيره.

[وَ هُوَ ٱللَّهُ] عطف وكالنّتيجة لسابقه فانّ الّذى كان محصوراً فيه

خلق مايشاء واختيار الخيرة لكلّ مخلوقٍ وعلم الجليّات والخفيّات كان محصوراً فيه الألهة.

واستحقاق العبادة وجميع اضافات المبدئيّة وجميع الصّفات المحمودة لكلّ محمودٍ فى الدّنيا والأخرة لكونه مبدءً لها وكون فاعل الشّيء اولى به من قابله فكأنّه قال فهو الله.

[لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ] فى الدّار الاولى والدّار الأخرة او فى النّظرة الاولى الّتى لانظر فيها الاّ الى المخلوق لانّ الخالق هو الّذى يكون ظاهراً فى المخلوق بصورته فما ينسب الى المخلوق فى النّظرة الاولى فهو منسوب الى الخالق وفى النّظرة الأخرة الّتى يفنى فيها كلّ تعيّن و مهيّة ويبقى فيها الخالق بخالقيّته.

[وَ لَهُ ٱلْحُكْمُ] فيهما [وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ] بعد العود او فى نظر البصير لانّ الكلّ فى نظره يرجع بوجوده وافعاله واوصافه الى الله بمعنى انّ البصيريرى وجود الكلّ وجوداً لله ظاهراً بصورته وكذا افعاله و اوصافه.

[قُلْ أَرَءَيْتُمْ] قدمضى فى سورة الانعام بيان لهذه الكلمة عند قوله تعالى: قل ارأيتكم ان اتاكم عذاب الله [إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا] دائماً طويلاً.

[إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ] لمّا كان المقصود من النّهار الضّياء الّذى به يبصرون ويتعيّشون اتى موضع النّهار بالضّياء [أَفَلَا تَسْمَعُونَ] ولمّا كان الضّياء بنفسه مطلوباً ونافعاً ويكون طلب المكاسب والمعايش بسبب الانتفاع به لم يأت بوصفٍ للضّياء مثل قرينه.

[قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ

[أَفَلَا تُبْصِرُونَ] لمّا كان العنوان فى القرين الاوّل اللّيل وكان المناسب لعنوان اللّيل السّماع دون الابصار اتى هناك بقوله افلا تسمعون توبيخاً او تقريراً لسماعهم بخلاف القرين الثّانى فانّ العنوان فيه النّهار والمناسب له الابصار وايضاً لمّا كان السّماع اشارة الى مقام التّقليد و الابصار الى مقام التّحقيق.

كما قال تعالى: انّ فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب اى بصيرة قلبيّة بها يبصر الاشياء كما هى.

او ألقى السّمع يعنى فى مقام التّقليد والمتابعة كان المناسب للّيل السّماع المشار به لى مقام التّقليد وللنّهار الّذى هو محلّ الابصار وسبب الشّهود الّذى هو التّحقيق الابصار الّذى هو سبب التّحقيق.

[وَ مِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَ ٱلنَّهَارَ] عطف على ارأيتم ونتيجة لسابقه [لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَ لِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ] لفّ ونشر مرتّب [وَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ] اى لعلّكم تتنبّهون نعمه العديدة المندرجة فى اختلاف اللّيل والنّهار وانّ فى احتلافهما حيوة كلّ ذى حيوةٍ وبقاءه ونماء كلّ ذى نماءٍ وكماله.

وانّه لولا اختلافهما لماوجد من المواليد شيءٌ فتشكروا تلك النّعم المندرجة فى اختلافهما،وتشكروا نفس تلك النّعمة الّتى هى اللّيل و النّهار.

[وَ يَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ] لمّا كان المقصود من هذه الأية التّعريض بالامّة واشراكهم بالولاية و كان اصل الدّين والتّوحيد توحيد الولاية واصل الالحاد والكفر و الاشراك الكفر و الاشراك بالولاية كرّرها بالفاظها وبغير الفاظها.

[وَ نَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا] ولمّا كان المقصود التّعريض بالامّة فسّروا هذه الأية بفرق امّة محمّدٍ ﷺ وبامامهم الّذى هو من ءال محمّدٍ ﷺ وهو

شهيدٌ عليهم.

[فَقُلْنَا هَاتُوا۟] ايّها الامم المشركة بولاية امامكم والكافرة بها [بُرْهَـٰنَكُمْ] على اشراككم [فَعَلِمُوٓا۟ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ] فى مظاهره الّذين هم شهداؤه عليهم.

[وَ ضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ] من ائمّتهم الباطلة والاتيان بالافعال المذكورة ماضياتٍ للاشارة الى تحقّق وقوعها

[إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ] استيناف جواب لسؤالٍ ناش من سابقه من حيث تعريضه كأنّه قيل: الا ينفعهم ايمانهم محمّد ﷺ بعد انكارهم لعلىٍّ عليه السلام؟

فقال تعالى: بغيهم على علىٍّ عليه السلام ذهب بايمانهم وبما عملوا فى ايمانهم لانّ قارون كان من قوم موسى عليه السلام

[فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ] ولم ينفعه كونه من قوم موسى عليه السلام وخسف به الارض ببغيه [وَءَاتَيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ] جمع المفتح بالكسر بمعنى المفتاح او جمع المفتح كمخزن بمعنى الخزانة والكنز.

[لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ] ناء بالحمل نهض به مثقلاً وناء به الحمل اثقله والعصبة بالضمّ من الرّجال و الخيل و الطّير مابين العشرة الى الاربعين.

وقيل: مابين العشرة الى خمسة عشر؛ و قيل: اربعون رجلاً، وقيل: مابين ثلاثة الى العشرة، وقيل: الجماعة المطلقة عن تعيين العدد.

[أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ] و هذا ايضاً تعريض بالامّة ومترفيها ومن يفرح بما ءاتاه الله ويتأنّف عن خلفائه عليهم السلام يظنّ انّ النّعمة له باستحقاقه من دون ظنّ الاستدراج بها.

[إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ] متعلّق بقوله بغى عليهم او بآتيناه

[لَا تَفْرَحْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ وَ ٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَـٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْأَخِرَةَ] بانفاقها على مستحقّيها وفى سائر مصارف البرّ.

[وَ لَا تَنسَ نَصِيبَكَ] الاخروىّ [مِنَ ٱلدُّنْيَا] اى ممّا ءاتاك الله فى الدّنيا او من امتعة الدّنيا من الاموال والقوى والمدارك والصّحّة والفراغ و الشّباب و غير ذلك بان تأخذ من جميع ذلك ماينبغى ان يؤخذ للآخرة او المعنى لاتنس نصيبك الّذى انت محتاج اليه فى دنياك بان تنفق كلّ ماءاتاك الله من الدّنيا فيكون على المعنى الاوّل تأكيداً لقوله: وابتغ (الأية) وعلى الثّانى يكون تأسيساً وامراً بالتّوسّط بين التّبذير والتّقتير.

[وَ أَحْسِن] الى العباد او فى اعمالك او احسن النّعمة بالشّكر لها وصرفها فيما خلقت لها اوصر حسناً [كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ] بتوفير نعمه [وَ لَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ].

عن الصّادق عليه السلام: فساد الظّاهر من فساد الباطن، ومن اصلح سريرته اصلح الله علانيته، ومن خان الله فى السّرّ هتك الله ستره فى العلانية، و اعظم الفساد ان يرضى العبد بالغفلة عن الله تعالى، وهذا الفساد يتولّد من طول الامل والحرص والكبر كما أخبر الله تعالى فى قصّة قارون فى قوله: ولا تبغ الفساد فى الارض انّ الله لايحبّ المفسدين وكانت هذه الخصال من صنع قارون واعتقاده، واصلها من حبّ الدّنيا و جمعها و متابعة النّفس و هواها، واقامة شهواتها وحبّ المحمّدة صلى الله عليه وآله و موافقة الشّيطان واتّباع خطواته، وكلّ ذلك مجتمع تحت الغفلة عن الله ونسيان منّته[1].

و المقصود من نقل هذا الخبر تنبيه نفسى وجميع اخوانى، فانّا قلّما ننفكّ

---

۱. الصّافى ج۴ ص۱۰۳ مصباح الشّريعة ص۱۰۷

عن الغفلة الّتی هی اصل کلّ فسادٍ ومنبع کلّ شرٍّ، وفّقنا الله وجمیع المؤمنین لذکره و عدم الغفلة عنه.

[قَالَ]استنکافاً عن قبول قولهم واعجاباً بنفسه [إِنَّمَآ أُوتِیتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِیٓ] یعنی اورده الله علی علم وکمال عندی فلم لاافرح به وابذله علی من لم‌یکن له هذا الکمال؟!

او المعنی اوتیته حالکونی مشتملاً علی عندی خاصّ بی وهو العلم بوجوه المکاسب وتحصیل الارباح، او حالکونی مشتملاً علی علم خاصّ بی هو علم الکیمیا کما قیل.

وقیل: انّ موسی علیه السلام علّم قارون شیئاً من الکیمیا وعلم ابنه شیئاً وعلّم یوشع علیه السلام شیئاً فخدعهما قارون وتعلّم منهما ماعلمّهما موسی علیه السلام من ذلك.

[أَوَ لَمْ یَعْلَمْ]تعریض بالامّة وبطرهم واعتمادهم علی الحیوة الدّنیا ومتاعها یعنی الم یعلم انّ حیوته ووجوده لیس باختیاره فکیف باعراضه الدّنیویّة الّتی لانسبة بینه وبینها الاّ محض الاعتبار الّذی اعتبره العرف او الشّرع، و الم یعلم .

[أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَ أَكْثَرُ جَمْعًا]للمال والاولاد والقوی والخدم والحشم [وَ] لکن [لَا یُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ]یعنی انّ الله اذا اراد ان یذنب العبد بسبب سوء استحقاقه اعماه عمّا یبصر قبح ذنبه وسوء عاقبته فاوقعه فی الذّنب فلا یسأل عن سبب ذنبه لانّ الله اوقعه علیه بسبب سوء استعداده الّذی لایعلم هو به.

او المعنی لایسأل المجرمون عن ذنوبهم حتّی یعتذروا عنها و یجیبوا مثل قوله تعالی: فیومئذٍ لایسأل عن ذنبه انسٌ ولاجانٌّ او المعنی لایسأل المجرمون الماضون عن ذنوب هؤلاء الحاضرین کما قیل.

ولمّا کان الاعراض الدّنیویّة لارباب النّفوس واهویتها مورثة للاستکبار

والاعجاب بالنّفس وتحقير العباد صار قارون المبتلا باهوية النّفس معجباً بنفسه متكبّراً على غيره.

[فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ]قيل: انّ خرج على بغلة شهباء عليه الارجوان وعليها سرج من ذهب ومعه اربعة ءالافٍ على زيّه.

[قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَـٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَـٰرُونُ] كما هو عادة اهل الدّنيا فى كلّ زمان [إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ] كان ماهو فيه فى نظرهم من اعظم النّعم لغفلتهم عن انّه مستعقب للزّوالٍ والعقاب وحرمان مااعدّه الله لعباده فى الاٰخرة.

[وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ] بالدّنيا واعراضها وءافاتها والاٰخرة و عقابها و ثوابها و درجاتها.

[وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ]فى الدّنيا بحصول الالتذاذ بمناجاته والفراغ من الاشتغال بمتاعب الدّنيا و حرصها و ءامالها و فى الاٰخرة بما اعدّه لعباده.

[خَيْرٌ] ممّا ترونه على قارون من زينة الدّنيا فانّه معرض للزّوال وصاحبه محلّ للآفات والبلايا والمكاره والغموم.

[لِّمَنْ ءَامَنَ]بالتّوبة والبيعة على ايدى خلفائه عليهم السلام ايماناً عامّاً او ايماناً خاصّاً بالبيعة الخاصّة الولويّة [وَعَمِلَ صَـٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ] اى هذه الموعظة او هذه الكلمة [إِلَّا ٱلصَّـٰبِرُونَ]عن الدّنيا وءامالها فانّ المبتلى بالدّنيا وءامالها يكون اصمّ من النّصائح والمواعظ الاخرويّة.

[فَخَسَفْنَا] بشوم عمله و سوء اعجابه بنفسه [بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ] روى انّ موسى عليه السلام باهله بأخيه هارون عليه السلام وبنيه فخسف به وبأهله وماله ومن وازره من قومه.

وقيل: دعا قارون امرأةً من بنى اسرائيل بغيّاً فقال لها: انّى أعطيك

الفين على ان تجيئ غداً اذا اجتمعت بنواسرائيل عندى فتقول: قد راودنى موسى عليه السلام فأعطاها خريطتين عليهما خاتمة فلمّا جاءت بيتها ندمت و قالت: مابقى لى الاّ ان افترى على نبى الله عليه السلام ؟!

فلمّا اصبحت وهذه دراهمه عليها خاتمه، فغضب موسى عليه السلام فدعا الله عليه فخسف به وبداره الارض [١].

و قيل: كان قارون ممّن يحبّه موسى عليه السلام، وكان يقرء التّوراة مع القوم فى التّيه، وكان احسن صوتاً منهم، فلمّا طال التّيه على القوم و دخلوا فى التّوبة و البكاء امتنع قارون من الدّخول معهم فى التّوبة فدخل عليه موسى عليه السلام .

فقال له: يا قارون قومك فى التّوبة وانت قاعد ههنا؟!

ادخل معهم والاّ ينزل بك العذاب فاستهان به فخرج موسى عليه السلام غضباً شديداً و كان فى كتفه شعرات كان اذا غضب خرجت من ثيابه وقطر منها الدّم.

فقال موسى عليه السلام: يا ربّ ان لم تغضب لى فلست لك بنبيٍّ فأوحى الله عزّ وجلّ اليه: قدامرت الارض ان تطيعك فمرها بما شئت، وقدكان قارون قدامر ان يغلق باب القصر .

فأقبل موسى عليه السلام فأومى الى الابواب فانفرجت ودخل عليه فلمّا نظر اليه قارون علم انّه قداوتى بالعذاب فقال: يا موسى اسألك بالرّحم الّذى بين وبينك فقال له موسى عليه السلام: يا ابن لاوى لاتزدنى من كلامك، يا ارض خذيه فدخل القصر بما فيه فى الارض و دخل قارون فى الارض الى ركبتيه؛ فبكى و حلّفه بالرّحم، فقال له موسى عليه السلام ياابن لاوى لا تزدنى من كلامك يا ارض خذيه فابتليه بقصره و خزائنه، و هذا ماقال موسى عليه السلام لقارون يوم اهلكه الله عزّ وجلّ

---

١. تفسير البيضاوى ج٢ ص٢٠٢

فعيّره الله عزّ وجلّ بما قاله لقارون فعلم موسىعليه السلام انّ الله تبارك وتعالى قدعيّره بذلك.

فقال: يا ربّ انّ قارون دعانى بغيرك ولو دعانى بك لاجبته فقال الله عزّ وجلّ: يا ابن لاوى لاتزدنى من كلامك، فقال موسىعليه السلام: يا ربّ لو علمت انّ ذلك لك رضاً لاجبته فقال الله: يا موسى وعزّتى وجلالى وجودى و مجدى و علوّ مكانى لو انّ قارون كما دعاك دعانى لاجبته ولكنّه لمّادعاك وكلته اليك.

و عن الباقرعليه السلام انّ يونسعليه السلام لمّا ءاذاه قومه الى ان قال: فألقى نفسه فى اليمّ فالتقمه الحوت فطاف به البحار السّبعة حتّى صار الى البحر المسجور وبه يعذّب قارون فسمع قارون دوّياً* فسأل الملك عن ذلك فأخبره انّه يونس انّ الله حبسه فى بطن الحوت فقال له قارون: اتأذن لى انا كلّمه؟

فأذن له فسأله عن موسىعليه السلام: فأخبره انّه مات فبكى ثمّ سأله عن هارونعليه السلام فأخبره انّه قدمات فبكى وجزع جزعاً شديداً، وسأله عن أخته كلثم وكانت مسمّاة له فأخبره انّها ماتت فبكى وجزع جزعاً شديداً؛ قال فأوحى الله الى الملك الموكّل به ان: ارفع عنه العذاب بقيّة ايّام الدّنيا لرقّته على قرابته[1].

[فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَ مَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ]بنفسه فاحذروا يا امّة محمّدصلى الله عليه وآله من البغى على من نصبه الله اماماً للعباد و احذروا من الاستكبار و الاختيال بما ءاتاكم الله من الاموال و الجاه و احذروا من الاختيال بالزّينة و الثّياب الفاخرة.

و فى خبر: ونهى ان يختال الرّجل فى مشيته، ومن لبس ثوباً فاختال

---

* - دوىّ الرّعد ـ الصّوت.

۱. تفسير الصّافى ج۴ ص۱۰۶

فيه خسف الله به من شفير جهنّم وكان قرين قارون لانّه اوّل من اختال فخسف الله به بداره الارض.

[وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ] بعد خسفه [وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ] وى كلمة تعجّب مثل ويك ويستعمل ايضاً بمعنى الويل و تدخل على كان مخفّفة و مشدّدة فههنا يحتمل ان يكون ويكأنّ مركّبة من وى وكأنّ وان يكون مركّبة من ويك وانّ بمعنى التّعجّب وان يكون من وى وكاف الخطاب وانّ.

و ان يكون من ويك مخفّف ويلك وانّ، واذا كان انّ منفصلاً فليقدّر مثل اعلم قبلها حتّى يكون عاملها [يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ] وليس بسط الرّزق وتقديره بمشيّة العباد كما قال قارون ولا لهوان او كرامة من الله.

[لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا] بعدم اعطائنا مثل ماعطى قارون كما كنّا نتمنّاه [لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ] مثل قارون.

[تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ] جواب لسؤالٍ ناشٍ من السّابق كأنّه قيل: فمن ينجى من العذاب؟ و من يدخل الجنّات؟

فقال: تلك الدّار الأخرة [نَجْعَلُهَا] مقرّاً [لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ] لانّ المستعلى فى الارض منازع لى، والمنازع لى لايدخل دارى [وَلَا فَسَادًا] لانّ المفسد موذٍ لعبادى و خلق [وَٱلْعَـٰقِبَةُ] الحسنى.

[لِلْمُتَّقِينَ] من ذلك او لمن كان شيمته التّقوى عن جميع ماينبغى ان يتّقى منه.

[مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا] جواب لسؤالٍ ءاخر كأنّه قيل: فما حال من جاء بالحسنة ولم‌يكن من المتّقين؟ ومن جاء بالسّيّئة و لم‌يكن

من المريدين للعلوّ و الفاسد؟

[وَ مَن جَآءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَاكَانُواْ يَعْمَلُونَ] اى نفس ما كانوا يعملون على تجسّم الاعمال او جزاء ما كانوا يعملون [إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ] اى عيّن عليك او فرض او سنّ عليك العمل بما فيه من اعماله واخلاقه.

[لَرَءادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ] اى الى مكّة فانّ المعاد هو المحلّ الّذى كنت فيه ثمّ خرجت منه واردت العود اليه.

اعلم، انّ القرءان اسم لمقام الجمع و لمّا كان كتاب محمّد صلى الله عليه وآله مصدره مقام الجمع الّذى هو مقام المشيّة الّتى هو مقام الجمع المطلق والبرزخ بين الوجوب و الامكان و مجمع بحرى الوجوب و الامكان سمّاه الله تعالى بالقرءان.

و فرض القرءان على محمّدٍ صلى الله عليه وآله عبارة عن ايصاله الى ذلك المقام الّذى لم يصل اليه احد من الانبياء عليهم السلام، و لمّا كان محمّد صلى الله عليه وآله مبدء نزوله؛ هذا المقام يصدق على هذا المقام انّه معاد محمّد صلى الله عليه وآله.

و لمّا كان محمّد صلى الله عليه وآله محيطاً بالكلّ و له مقام فى الدّنيا و مقام فى نفوس العباد فاذا خرج من الدّنيا صحّ ان يقال ذا عاد اليها، انّها معاده و كذا نفوس العباد فصحّ التّفسير بانّ الّذى فرض عليك العمل بالقرءان لرادّك الى مكّة.

و صحّ التّفسير بانّ الّذى عيّن واثبت عليك مقام الجمع لرادّك الى ذلك المقام او الى الدّنيا او الى نفوس العباد حين احتضارهم او حين حسابهم كما اشير اليها فى الاخبار والاقوال.

و عن السّجّاد عليه السلام انّه قال: يرجع اليكم نبيّكم صلى الله عليه وآله و اميرالمؤمنين عليه السلام [(۱)].

---

۱. الصّافى ج۴ ص۱۰۷ و تفسير القمّى ج۲ ص۱۴۷

[قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِالْهُدَىٰ] مايهدى به الى الجنّة و نعيمها او الى الله وقربه من الاعمال الحسنة او من جاء بوصف الاهتداء الى الدّين و هذا جوابٌ لادّعاءٍ كان مذكوراً فانّهم كثيراً كانوا ينسبون محمّداً ﷺ الى الضّلال او جوابٌ لسؤالٍ ناشٍ من قوله: من جاء بالحسنة فله غير منها (الاٰية).

كأنّه قيل: من الّذى يجيء بالحسنة؟ ومن الّذى يجيء بالسّيّئة؟

[وَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ] وخالف بين الفقرتين لايهام انّ الضالّ واقف فى جهنّم نفسه، و المهتدى مهاجر من دار شركه الى ربّه.

[وَ مَا كُنتَ]عطف باعتبار المعنى فانّ المقصود من قوله: قل ربّى اعلم [الاٰية).

تسليته كأنّه قال: انت على الهدى وما كنت [تَرْجُوٓا۟ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبُ] يعنى النّبوّة والقرءان.

[إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ]استثناء مفرّغ فى موضع التّعليل او منصوب بنزع الخافض اى الاّ برحمةٍ من ربّك او استثناء منقطع والمعنى لكن اعطيت الكتاب رحمةً من ربّك.

[فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَـٰفِرِينَ] فانّ الكتاب نعمة و النّبوّة نعمة عظيمة فلاتصرفها فى اعداء المعطى.

وهذه مابعدها خطاب له ﷺ على ايّاك اعنى واسمعى يا جاره [وَ لَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ]التّكوينيّة من احكام الرّسالة و غرائب الاٰخرة بان لاتعمل بها و تنسيها وعن ءاياته التّدوينيّة بان لاتعمل بها و تتركها.

[بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ وَ ٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ]بالقول بتذكير الاٰيات

و بالافعال و الاخلاق و الاحوال بالعمل بالأيات، او المعنى ولا يصدّنّك عن ءايات الله النّازلة فى علىٍّ عليه السلام وادع الى علىٍّ.

[وَ لَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ] بولاية علىٍّ عليه السلام [وَ لَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ] من الاصنام والكواكب و الاهوية، او لاتدع مع علىٍّ عليه السلام فى ولايته وليّاً ءاخر وهذه تأكيد لقوله: ولاتكوننّ من المشركين.

[لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ] تعليل لنّهيين السّابقين [كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ] تعليل لقومه تعالى: لااله الاّ هو [إِلَّا وَجْهَهُۥ] اى الاّ وجه الله او وجه ذلك الشيء وان كان رجوع الضّمير الى الله جاز ان يكون المراد وجه الله الّذى به يتوجّه الى الاشياء و ان يكون وجه الشّيء الّذى به يتوجّه الى الله يعنى كلّ شيءٍ هالك الاّ وجه ذلك الشيء الّذى به يتوجه الى الله فيكون الاضافة الادنى ملابسة.

اعلم، انّ الوجه اسم لمايتوجّه به و لااختصاص له بوجه بدن الانسان و انّ فى كلّ شيءٍ لطيفةً غيبيّة ءالهيّةً هى مقوّمة لذلك الشّيء.

ومبقية ومشخصّة له، و هى فاعليّته تعالى وقضاءه و علمه، و تلك اللّطيفة هى تحفظه وتربّيه وتبلّغه الى كماله الخاصّ به ان لميعق عائق، و الى تلك اللّطيفة اشار من قال بالفارسيّة:

يكى ميل است با هر ذرّه رقّاص　　　كشاند ذرّه را تا مقصد خاص

دواند گلخنى را تا به گلخن　　　رساند گلشنى را تا بگلشن

واليها اشار الأخر بقوله:

گـــر ز چـــاهی عکس مـــاهی وانـــمود
ســـر بـــچه در کـــرد و ءانـــرا مـــی‌ستود
در حـــــقيقت مـــــادح مـــــاه است او
گـــر چـــه جـــهل او بـــعکسش کـــرد رو
مـــدح اومـــه راست نـــی آن عکس را
کـــفر شـــد آن چـــون غـــلط شـــد مـــاجرا

و هذه اللّطيفة هي الّتي بها يتوجّه الاشياء الى غاياتها وكمالاتها الخاصّة بها، وبها يتوجّه الانسان الى الأخرة والى الله تعالى والى خلفائه عليهم السلام ، وبها يتوجّه الله الى الاشياء والى الانسان فتلك اللّطيفة بوجهٍ وجه الاشياء وبوجهٍ وجه الله.

و لمّا كانت تلك اللّطيفة هي المسمّاة بالولاية التّكوينيّة المعبّر عنها بالحبل من الله و هي مابها توجّه الاشياء تكويناً، وللانسان توجّه ءاخر تكليفيٌّ وذلك التّوجّه لايكون التّكليفيّ لايكون الاّ بالولاية التّكليفيّة المعبّر عنها بالحبل من النّاس.

لانّها لاتحصل الاّ بتوسّط المظاهر البشريّة بالبيعة الخاصّة الولويّة وبها يدخل الايمان فى القلب و يحصل نسبة الابوّة والنّبوّة بين المظاهر وبايعيهم صحّ تفسير الوجه فى الأية بالدّين اى الولاية التّكليفيّة او الحاصل بالولاية التّكليفيّة وبالانبياء والاولياء عليهم السلام وبكلّ مطيعٍ لله ولرسوله صلى الله عليه وآله.

و قدفسّر وجه الله فى اخبارٍ كثيرٍ بالانبياء و الائمّة عليهم السلام وبدين الله وبمن اطاع الله و رسوله صلى الله عليه وآله، اذا عرفت هذا فاعلم انّ الحدود والتّعيّنات اعتباريّات محضة لاوجود لها حقيقةً وانّما الوجود والبقاء لتلك اللّطيفة.

و لذلك قيل: الاعيان الثّابتة ماشمّت رائحة الوجود ابداً وانّما هى باقية على ماهى عليه من انّها ليست موجودةً من ذواتها وانّما الوجود لتلك اللّطيفة بالّذات ولها بالعرض فهى الى الاشياء المتكثّرة الممتازة الّتى هى عين تلك الحدود هالكة

اى غير موجودٍ من الابد الى الازل وتلك اللّطيفة موجودة من الابد الى الازل فالباقى من كلّ شيءٍ هو تلك اللّطيفة، والهالك كلّ ماسواها من الحدود والاعتبارات.

[لَهُ ٱلْحُكْمُ]لالغيره لانّ غيره هالك [وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ] لاالى غيره و الضّمير ان المجرور ان صحّ رجوعهما الى الوجه والى الله لانّ تلك اللّطيفة هى الحاكمة فى الاشياء وعلى الاشياء واليها يرجع وجود كلّ شيءٍ بعد ملاحظة فناء جميع حدوده.

(٢٩) سُورَةُ ٱلْعَنكَبُوتِ

مكّيّة كلّها، وقيل: مدنيّة كلّها؛ وقيل مكّيّة الاّ عشر ءايات من اوّلها[١].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[الٓمٓ] قد مضى فى اوّل البقرة تفصيل تامٌّ لجملة فواتح السّور [أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ] استفهام انكارى توبيخىّ [أَن يُتْرَكُوٓاْ] قائم مقام المفعولين لحسب.

[أَن يَقُولُوٓاْ] لان يقولوا، او بان يقولوا، او فى ان يقولوا او هو بدل من ان يتركوا بدل الاشتمال [ءَامَنَّا وَ هُمْ لَا يُفْتَنُونَ] لا يبتلون ولا يمتحنون حتّى يظهر لطيفة ايمانهم و يخلص حقيقة ولا يتهم و هذا لا يكون فلا ينبغى هذا الحسبان بل ينبغى لمن ءامن بقبول الرّسالة او الولاية ان يوطنّ نفسه على الامتحان كالمريض الّذى يسلّم بدنه الى الحجّام و الفصّاد للشرط و جرح الفصد، و هذا الامتحان قد يكون بالتّكاليف البدنيّة و الماليّة.

و قد يكون بالمصائب فى الانفس و الاموال و قد يكون باذى الخلق شتماً و ضرباً و اجلاءً و قتلاً.

[وَ لَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ] ممّن ادعى الايمان العامّ بالبيعة العامّة النّبويّة او الايمان الخاصّ بالبيعة الخاصّة الولوية و الجملة الحاليّة و اللام لام القسم.

[فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ] الفاء سببيّة اى فتنّاهم بسبب انّه ينبغى ان يعلم الله [ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ] و العلم هيهنا بمعنى العرفان و متعدّ الى مفعول

---

١. مجمع البيان ج٨-٧ ص ٢٧١

واحـــد، او المـــفعول الثّـــانى مـــحذوف ؛ و التّـــقدير ليـعلمنّ الله الّـذين صدقوا صادقين او متميّزين من غيرهم.

[وَ لَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَـٰذِبِينَ]و قرىء و ليعلمنّ المنافقين وقرىء فى كليهما بضمّ الياء وكسر اللّام من اعلم بمعنى جعله ذا علامة، او من العلم بمعنى العرفان، او من العلم المتعدّى الى المفعولين.

[أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَا] الاية الاولى تسلية للمؤمنين و هذه تخويف للمسيئين [سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ] اى يرغب و يطلب او يخاف و يهرب فانّ الرّجاء قد يستعمل بمعنى الخوف فيكون تهديداً و ترغيباً.

[فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأَتٍ]فـليلبثت الرّاغب عـلى رغـبته وليـزعج الخائف عمّا يخوفه [وَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ]لاقوالكم القاليّة و الحاليّة [ٱلْعَلِيمُ] بجميع اعمالكم و نيّاتكم فليحذر المسىء وليرغب المـحسن و هـذه الجـملة جوابٌ لسؤالٍ مقدّر كانّه قيل: هل يقع لقاءالله؟

[وَ مَن جَـٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَـٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ]جملة حاليّة او معطوفة لاستدراك توهّم نشأ من ترغيبه تعالى فى العمل و تخويفه من المعصية؛ فانّه يتوهّم منه ان الله ينتفع بالطّاعة و يستضرّ بالمعصية!!

[إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ]لا ينتفع بطاعتهم و لا يسـتضرّ بمعصيتهم [وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَ عَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ] عطف على من جاهد (الاية) نحو عطف التفصيل على الاجمال و رفع لتوهّم نشأ من قـوله: فانّما يجاهد لنفسه كان متوهّماً توهّم انّ المجاهد ينتفع بـمجاهدته مـن دون التفات من الله و فعل منه بالنسبة اليه و لم يذكر المقابل لقوله: و من جاهد فانّما يجاهد لنفسه فانّ الموافق للمقابلة و المقصود ان يقال: من تقاعد فانّما يتقاعد

على نفسه و لم يذكر المقابل هيهنا ايضاً.

فانّ المنظور بحسب اقتضاء المقام ان يقول: والّذين كفروا و عملوا السّيّئات لنجزينّهم جهنّم لعدم الاعتناء بهم و بذكرهم و لانّ حكمهم يعلم بالمقايسة و المقابلة و لاكتفائه عن ذكرهم فى مقابل المؤمنين بقوله: و من النّاس من يقول (الاية) و بقوله: و قال الّذين كفروا (الاية) كأنّه اجلّ شأن المؤمنين من ان يذكر المنافقين و الكفّار فى مقابلهم و مقارنين لهم [لَنُكَفِّرَنَّ] اى لنزيلنّ [عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ] كلّها.

[وَ لَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ] قدمضى تحقيق هذه الاية فى اواخر سورة التّوبة.

[وَ وَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا] قد مضى فى سورتى البقرة و النّساء بيان للوالدين و تعميم لهما و بيان للاحسان اليهما، و لمّا كان الاهتمام بتعظيم الوالدين و لاسيّما الرّوحانيّين بعد تعظيم الله و توحيده اكثر من سائر الطّاعات بل لايصدق الطّاعة على عمل لم يكن فيه تعظيم الوالدين الرّوحانيين بعد تعظيم الله.

كرّر الله تعالى التّوصية باحسان الوالدين و قرنه بتوحيده و نهى الاشراك به فى كثير من مواضع الكتاب، و لمّا ذكر حال الّذين ءامنوا و عملوا الصّالحات و لم يكن يحصل الايمان الّا بالبيعة العامّة النّبويّة او البيعة الخاصّة الولويّة و بكلّ منهما يحصل الابوّة و البنوّة الرّوحانيتان و لم يكن فى الاعمال الصّالحة عمل اصلح من الاحسان الى الوالدين الرّوحانيّين عطف عليه التّوصية باحسان الوالدين.

و لمّا كان الوالدان الجسمانيان بعد الوالدين الرّوحانيين اعظم حقّاً من ذى حقّ لم يكن فى الاعمال الصّالحة اصلح من الاحسان اليهما بعد الاحسان الى

اتلوالدين الرّوحانيّين.

[وَ إِن جَـٰهَدَاكَ]اى الوالدان الرّوحانيّان على ما ورد فى الخبر فيكون الضّمير راجعاً الى الوالدين الرّوحانيّين السّفليّين بطريق الاستخدام و هما الشّيطان و النّفس و اظلالهما، او الوالدان الجسمانيّان.

[لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ]و نذكر بعض الاخبار فى سورة لقمان فى ذيل هذه الاية ان شاءالله تعالى.

[إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ] فى موضع تعليل للسّابق [وَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَ عَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِى ٱلصَّـٰلِحِينَ]كرره اهتماماً بشأنهم [وَ مِنَ ٱلنَّاسِ]فى موضع والّذين قالوا ءامنّا و لم تؤمن قلوبهم.

[مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ]يعنى اذا اوذى حالكونه فى طاعةالله، او اذا اوذى فى حقّ‌الله و فى الايمان به بان ءاذاه انسان او اصابه ضرّ فى بدنه و ماله جعل فتنة النّاس مثل عذاب‌الله و انصرف عن طاعةالله والايمان به و هذا هو عين النّفاق.

[وَ لَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ]بالفتح والغنيمة [لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ]كما هو ديدن طالبى الدّنيا كلّما وجدوا اضراراً بدنياهم انصرفوا واذا ظنّوا انتفاعاً فى دنياهم اقبلوا.

[أَ]ليس الله يعلم نيّاتهم و لايعذّبهم عليها.

[وَ لَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَـٰلَمِينَ وَ لَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَ لَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ]ليظهر علمه بهم اوليميّزهم كرّر هذا ايضاً اهتماماً بالتّرغيب والتّرهيب.

[وَ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ] هذا فى موضع والّذين كفروا [لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا وَ لْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ] قيل: كان الكفّار يقولون للمؤمنين: كونوا معنا فانّ الّذى تخافون انتم منه ليس بشىء، فان كان حقّاً نتحمّل نحن ذنوبكم فيعذبهم الله عزّوجلّ مرّتين ؛ مرّة غيرهم [١].

[وَ مَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ وَ لَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ] اثقال ذنوبهم [وَ أَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ] من غير ان ينقص من اثقال المفترين شىءٌ.

[وَ لَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ] اى ليواخذنّ، فانّ السؤال كثيراً مايستعمل فى المؤاخذة والعقوبة. [عَمَّا كَانُواْ] عن كونهم او عن الّذى كانوا او عن شىء كانوا [يَفْتَرُونَ] من الشّركاء فى الوجوب او فى العبادة او فى الطّاعة او فى الولاية او من الاقوال و الافعال الّتى يفترونها على الله.

[وَ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ] لمّا ذكر حال المؤمنين والمنافقين والكافرين بنحو كلّى اراد ان يبيّن حالهم بامثلة جزئية و بدأ بنوح عليه السلام والمؤمنين به والكافرين به لانّه اوّل نبىٍّ كان حكاية رسالته و انكار قومه و هلاكهم معروفة عندهم.

[فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا]

عن الباقر عليه السلام انّه كان يدعوهم سرّاً و علانيّةً فلمّا ابوا و عتوا، قال: ربّ انّى مغلوب فانتصر [٢].

[فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَ هُمْ ظَٰلِمُونَ فَأَنجَيْنَٰهُ

---

١. الصّافى ج۴ ص١١٢

٢. تفسير الصّافى ج۴ ص١١٣ و الكافى ج٨ ص ٢٨٢ ح۴٢۴

وَ أَصْحَـٰبَ ٱلسَّفِينَةِ]اى الّذين ءامنوا معه، او دخلوا فى الفلك معه.

[وَ جَعَلْنَـٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ]اى جعلنا السّفينة من حيث صنعها من غير بحر و ماء و من حيث انجائها و انجاء اهلها ءايةً للعالمين بحيث بقى ءاثارها فى الافواه و الاخبار و انتشرت فى العالم.

[وَ إِبْرَٰهِيمَ]عطف على نوحاً او بتقدير اذكر او ذكّرهم [إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَ ٱتَّقُوهُ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ]من تقليد الاباء و اخذ الدّين بالرّسم و العادة و عبادةالاصنام من غير حجّة، و خير امّا خال من معنى التّفضيل او الاتيان بصيغة التّفضيل لاعتقادهم بانّ ذلك خيرٌ.

[إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَـٰنًا وَ تَخْلُقُونَ]من عند انفسكم من دون برهان [إِفْكًا]اى كذباً فى ادّعاء انّها الهة، او معبودات، او شفعاء و هذا ابتداء كلام من الله او هو قول ابراهيم عليه السلام.

[إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا]فاذا كانوا لا يملكون لكم رزقاً [فَٱبْتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ]لانّه هو الّذى يملك رزق كلّ مرزوق، و هذا ايضاً يحتمل كونه من قول ابراهيم عليه السلام او من قول الله تعالى.

[وَ ٱعْبُدُوهُ]لاستحقاقه بمالكيّة الرّزق [وَ ٱشْكُرُواْ لَهُۥٓ]لانّه مالك للنّعم كلّها و معطيها [إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ]تعليل لسابقه [وَ إِن تُكَذِّبُواْ]يجوز فيه الوجهان ايضاً، و يجوز ان يكون هذا ابتداء كلام و خطاب من الله تعالى لامّة محمّد صلى الله عليه و آله و معترضة بين حكايات قول ابراهيم عليه السلام يعنى ان تكذّبوا فلا غرو فيه ؛ فانّ هذا ديدن اسناخكم من القديم.

[فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَ مَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَـٰغُ]اى تبليغ رسالته [ٱلْمُبِينُ]و ليس عليه حفظكم من التّكذيب و

سائر المعاصى [أَوَ لَمْ يَرَوْاْ]قرىء بالغيبة على تقدير القول او على كونه ابتداء كلام من الله معترض بين الحكاية و قرىء بالخطاب على انّه من الحكاية و موافق لسابقه، او على انّه ابتداء كلام من الله معترض.

[كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ]يعنى كيف يبدء الله الخلق من العناصر او من عالم الارواح ثمّ يعيده الى العناصر او ثمّ يعيده اليه و رؤيتهم لذلك برؤية انّهم لم يكونوا فى اوّل خلقتهم على شىءٍ من صفات الاخرويّين و يتدرّجون فى صفات الكمال و يستكملون بصفات الرّوحانيّين، او المعنى على التّوبيخ يعنى ينبغى لهم ان يستكملوا نفوسهم حتّى يشاهدوا اعادة الله ايّاهم.

[إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ قُلْ]خطاب لابراهيم او ابتداء كلام خطابٌ لمحمّد ﷺ [سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ]ارض الطّبع،او ارض القرءان والاخبار، او ارض سيرالامم الماضية، او ارض وجودكم، حتّى تشاهدوا احال المكذّبين و المصدّقين، او تعلموا حالهم من مشاهدة ءاثارهم، او تشاهدوا ابدائاالخلق و اعادته.

[فَٱنظُرُواْ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأَخِرَةَ]يعنى حتّى تعلموا انّ الله ينشىء النّشأة الاخرة فانّ شهود الابداء يؤدّى الى العلم بالنّشاة الاخرة كما قال: لقد علمتم النّشاة الاولى فلو لا تذكّرون.

[إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ]فما لهم ينكرون الاعادة مع انّها مشهودة لهم [يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ]حالية او مستأنفة جواب لسؤال مقدّر [وَ يَرْحَمُ مَن يَشَآءُ وَ إِلَيْهِ تُقْلَبُونَ وَ مَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ]الله عن ادراككم و عذابكم [فِى ٱلْأَرْضِ]حال لكونهم فى الارض او هو ظرف لمعجزين.

[وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ]لو كنتم فى السّماء او هو كناية عن الاخرة.

[وَ مَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَ لَا نَصِيرٍ]لافى الدّنيا و لا فى الاخرة فمالكم تعبدون غيره و تتوسّلون بغيره؛ وقد مضى مكرّراً بيان الولى والنّصير و انّ النّبىّ بنبوّته وخليفته بخلافة النبوّة نصير، و الولىّ بولايته و خليفته بخلافة الولاية ولىّ يتولّى اصلاح العبد و تربيته.

[وَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَ لِقَآئِهِۦٓ]من حيث انّها ءايات من الايات التكوينيّة فى الافاق والانفس و اعظمها الايات العظمى من الانبياء و الاولياء ﷺ والايات التّدوينيّة من الكتب السّماوية و احكام النّبوة والرّسالة، و هذا ابتداء كلام من الله ان لم يكن سابقه من الله.

[أُوْلَـٰٓئِكَ يَئِسُواْ مِن رَّحْمَتِي]هذا مقابل لقوله: الّذين ءامنوا و عملوا الصّالحات (الاية) لكن مقابلته له فى اللّفظ و عطفه عليه بعيد بحسب اللّفظ، و قوله: اولئك يئسوا من رحمتى دعاءٌ عليهم او اخبار بانّه ينبغى ان يئسوا، او اخبار بانّهم يائسون بالفعل من رحمته.

[وَأُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ]قوم ابراهيم [إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ]كماسبق قصّته فاجمعوا ان يحرّقوه؛ فجمعوا الحطب اكثر ما يكون ثمّ اسقطوه فيها [فَأَنجَـٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ]على ما سبق تفصيله.

[إِنَّ فِي ذَٰلِكَ]الانجاء [لَأَيَـٰتٍ]دالّات على مبدء عليم حكيم قادر محيط [لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ]باحدى البيعتين او لقوم يذعنون بالله و ملائكته و كتبه و رسله ﷺ واليوم الاخر.

[وَ قَالَ]ابراهيم ؑ او قال الله [إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَـٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا]قرىء مودّة بينكم بالنّصب و

الاضافة و بالرّفع و الاضافة و بالنّصب منوّنة و بـنصب بـينكم يـعنى اتّـخاذ الاوثان ءالهة ليس عن اعتقاد دينىّ و طلب شفيعٍ اخروىٍّ وخوف عقاب الهىٍّ بل محض المودّة الدّنيويّة و ان يحبّكم اقرانكم ورؤساكم مثل اكثر المتزهّدين فى دين الاسلام يتجشّمون مرارة الزّهد و تعب منع النّفس عن لذائذها محض المرايـاة والصّـيت وان يـقولوا فـى حقّه: [ثُمَّ يَـوْمَ ٱلْـقِيَـٰمَةِ يَكْـفُرُ بَعْضُكُم]بعض العابدين [بِـبَعْضٍ]ءاخـر مـنهم، او بـعض العـابدين و المعبودين ببعض ءاخر منهم او يكفر العابدون بالمعبودين.

[وَ يَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا]او يكـفر كـلّ بـعض مـن العـابدين والمعبودين بكلّ بعض و يلعن كلّ بعض كلّ بعض؛ فانّ العابدين لمّا كان عبادتهم للاصنام مودّة بينهم فى الحيوة الدّنيا و لم يكن فى عبادتهم جهة الهيّة بل كان عبادتهم لها سائرة للجهة الالهيّة و يظهر يوم القيامة انّ توادّهم و عـبادتهم كانت مانعة لهم عن موائدهم الاخروية و مؤدّية لهم الى العذاب الاليم كانت تورث بغض كلّ للاخر والمعبودون ينكرون عبادتهم لهـم و يـنسبونهم الى الاهوية و الجِنّة ويلعنونهم لانّهم يلعنهم اللاّعنون.

[وَ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَ مَا لَكُم مِّن نَّـٰصِرِينَ]الاقتصار هيهنا على النّاصر لانّ فى النّار ليس الاّ النّصرة و ان كانوا ينصرون و امّا الولاية فانّها بعد الخروج من النّار.

[فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ وَ قَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ]من وطنى مع ابراهيم عليه السلام الى الشّام و من مـوطن نـفسى بـايمانى عـلى يـد ابـراهـيم عليه السلام [إِلَىٰ رَبِّىٓ]فى الولاية و هو مقام القلب و العقل.

[إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ وَ وَهَبْنَا لَهُۥٓ]بعد هجرته الى الشّام و مكثه بها مدّة طويلةً [إِسْحَـٰقَ وَ يَعْقُوبَ]بعد اسحاق عليه السلام [وَ جَعَلْنَا فِى

ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَ ٱلْكِتَـٰبَ]اى الرّسالة او جنس الكتاب السّماوى.

[وَ ءَاتَيْنَـٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا]بـان صـار عـزيزاً فـى الدّنـيا و اعطيناه اموالاً كثيراً من اموال الدّنيا و جعلناله لسان صدق فى الدنيا بانّه ليس احد الاّ و هو يمدحه.

[وَ إِنَّهُۥ فِى ٱلْأَخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ]الّذين لم يـبق عـليهم شوب فسادٍ [وَ]ارسلنا [لُوطًا إِذْ قَـالَ لِـقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُـمْ لَـتَأْتُونَ ٱلْفَـٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ أَءِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَ تَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ]بتعرّضكم للمارّة لاجل الفاحشة فـيمتنون عن السّفر عن بلادكم او تقطعون سبيل الولد او تقطعون السبيل بنهب امـوال المارّة.

قيل: كانوا يرمون ابن السبيل بالخزف فايّهم اصابه كـان اولى بـه و يأخذون ماله و ينكحونه و يغرمونه ثلاثة دراهم و كان لهم قاض يقضى بذلك.

[وَ تَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ]عن الرّضاعليه‌السلام كانوا يـتضارطون فى مجالسهم من غير حشمة و لا حياءٍ.

و قيل: المراد به جملة القبائح فانّه كان مجالسهم تشتمل على انـواع القبائح مثل الشتم و الصفح و القمار و ضرب المخراق و حذف الاحجار على من مرّبهم و ضرب المزامير و كشف العورات و اللّواط، و قـيل انّـهم كـانوا يأتون الرّجال فى مجالسهم[1].

[فَمَـا كَـانَ جَـوَابَ قَـوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَـالُواْ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ]تهكّماً به [إِن كُـنتَ مِـنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ قَـالَ رَبِّ

۱. مجمع‌البيان ج۸-۷ ص ۲۸۰

ٱنصُرْنِى عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ وَ لَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ]بالولد بعد اليأس منه [قَالُوٓاْ]لابراهيم عليه السلام بعد التّفصيل الّذى وقع بينهم كما سبق:

[إِنَّا مُهْلِكُوٓاْ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ]قرية لوط [إِنَّ أَهْلَهَا كَانُواْ ظَٰلِمِينَ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا]بعد ما جادلهم فى عدم اهلاكهم و بعد ما قال لهم ان كان فيها واحد من المؤمنين اهلكتموهم؟ و قالوا له: لا، قال انّ فيها لوطاً؟!

[قَالُواْ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ وَ لَمَّآ أَن جَآءَتْ]زاد ان هيهنا لتأكيد لصوق الجزاء بالشّرط بخلاف حكاية الرّسل مع ابراهيم عليه السلام ؛ فانّ التّأكيد لم يكن هناك مطلوباً و لم يكن اخبارهم باهلاك قوم لوط الاّ بعد مدّة من ورودهم عليه.

[رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ]ورد عليه المسائة بسبب مجيئهم لما كان يعلم من حال قومه و تفضيحهم للمارّة.

[وَ ضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا]كناية عن ضيق الخلق و عدم الطّاقة، فانّ طويل اليد يسع من الاعمال مالا يسعه قصيرها.

[وَ قَالُواْ]بعد ما رأوا مسائته [لَا تَخَفْ وَ لَا تَحْزَنْ]ممّا تخاف و تحزن عليه [إِنَّا مُنَجُّوكَ]من هذه القرية او من العذاب الّذى جئناله [وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ]الاتيان بالماضى لتحقّق وقوعه.

[إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ]عذاباً منها [بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ وَ لَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةَۢ بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ]هى منزل لوط بقى عبرة للسّيّارة او اثر تقليب القرى و

خرابها.

[وَ إِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ]فى المعاشرة و القبيلة [شُعَيْبًا فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَ ٱرْجُواْ ٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ وَ لَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ]الزّلزلةالشدّيدة فيها الصيحة [فَأَصْبَحُواْ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ وَ عَادًا وَ ثَمُودَاْ]اى اذكر، اوذكّرهما، او ارسلنا اليهما فحذف حرف الجرّ و نصباً [وَ قَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ]بعض مساكنهم عند المرور عليها او تبيّن لكم من مساكنهم ما فعلنالهم.

[وَ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ]الّذى ينبغى ان يسلكه الانسانو هو سبيل الاخرة و سبيل الولاية [وَكَانُواْ مُسْتَبْصِرِينَ]قادرين على الابصار او ذوى فطانة و بصيرة باطنيّة.

[وَ قَٰرُونَ وَ فِرْعَوْنَ وَ هَٰمَٰنَ]اى ذكّرهم اواذكر او ارسلنا اليهم [وَ لَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱسْتَكْبَرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَ مَا كَانُواْ سَٰبِقِينَ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا]الحاصب الرّيح للّتى تجمدالتّراب او المراد من الحاصب من يسقط الحصباء فان كان المراد به الرّيح كان المراد قوم هود فانّه تعالى اهلكهم بريح صرصر عاتية وان المراد به المعنى الثّانى كان المقصود قوم لوط.

[وَ مِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ]كاهل مدين و قوم صالح [وَ مِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ]كقارون [وَ مِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا] كقوم نوح و فرعون و قومه.

[وَ مَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَ لَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ

يَظْلِمُونَ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ] متعلّق باتّخذوا او حال من قوله تعالى: [أَوْلِيَآءَ] اى اتّخذوا اولياء بعضاً من غير الله.

[كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ] و لمّا كانت الولاية تطلق على ولاية المعاشرة و هى المحابّة بين الخلق و المؤالفة و تطلق على قبول السّلطنة و الحكومة الحاصلة بالبيعة العامّة او الخاصّة و كلٌّ منهما يعتمد الصّاحب فيه على الصّاحب الّذى تولاّه و يجعله ظهراً لنفسه و حصناً لوقت حاجته، كانت قد تمثّل بالبيت و قد تمثّل بالحبل و قد تمثّل بالحصن.

و قد يقال لها الظهر و الوليجة و المعتمد و الاستن و غير ذلك و اذا كانت الولاية بالبيعة الالهية حصل من الوالى فى الموالّى عليه صورة ملكوتيّة هى ما بها الاتّصال بين الوالى و المولّى عليه و هى حافظته من كلّ ءافة و هى حصنة المانع من تصرّف الشّيطان نحو تصرّف يخرجه من تلك الولاية و بتلك الاعتبارات تسمّى بالحبل و البيت و الحصن و غيرذلك و اذا لم تكن ءالهيّة او لم تكن حاصلة بالبيعة كان اعتماد المولّى عليه على الوالى و اتّصاله به و تحفّظه من الافات بولايته من محض تخيّل المولّى عليه لا من امر حاصل من الوالى فيه.

و ما كان محض تخيّل المولّى عليه لم يكن له اثر فيه فى نفس الامر و كان كالعنكبوت الّتى تتخذ من ريقها بيتاً ليحفظها عن الحرّ و البرد و من سائر الافات الواردة عليه من سائر الحشرات و من الرّياح و غيرها و الحال انّه لا يحفظها من شىء من ذلك.

[لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ] انّ تلك الولاية ليست الاّ محض التّخيّل من غير امر حاصل منها فى نفس الامر لامتنعوا منها.

او لفظة لو للتّمنّى او المعنى لو كانوا من اهل العلم لعلموا انّ كلّ ما يدعونه ليس غيرالله و انّماهو بحسب مداركهم الجزئيّة يتراءى غيرالله.

[إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ]ما نافية و ما تدعون منقطع عن سابقه او متّصل به و يعلم معلّق عن العمل فيه و هذا اوفق بالمعنى الاخير لقوله لوكانوا يعلمون يعنى انّ كلّما تدعونه تتخيّلون انّه غيرالله ليس غيرالله بل الظّاهر فيه هو الله و الباطن فيه ايضاً هوالله، لكنّكم لتقيّدكم و تحدّدكم بالمدارك الجزئيّة الّتى لاتدرك الاّالكثرات المتغايرات المتّحدات لاتدركون منهاالواحد لاحد المقوّم لها و تدعونها من حيث انّها متغايرات كلّ من الاخر و الكلّ مع الله و الله يعلم ذلك و يعلم انّ المقوّم للكلّ و الظّاهر فيه هوالله، وانّ كلّ ما يدعونه كانوا فى تلك الدّعوة داعين لله لا غيره و لمّا كان العبادة بنيّة العابد والنّية لا تكون الاّ بالعلم بالمنوىّ و هؤلاء لايعلمون ذلك حتّى ينووا عبادةالله فى تلك العبادة كانوا مؤاخذين فى تلك الدّعوة و العبادة لامأجورين.

و قد مضى فى سورة البقرة عند قوله تعالى **ولكنّ الله يفعل ما يريد** ما يبيّن هذا المطلب و يحقّقه و قد قيل بالفارسيّة بياناً لهذا المطلب:

اگر مؤمن بدانستى كه بت چيست
يقين كردى كه دين در بت پرستيست
اگر كافر زبت آگاه بودى
چرا در دين خود گمراه بودى

او لفظة ما موصولة و المعنى ظاهر، او مصدريّة و من شىء بيان للمصدر و الشىء عبارة عن الدّعاء اليسير او ما استفهاميّة مفعول تدعون.

[وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ] الغالب الّذى لا يغلبه شىء حتّى يكون معبوداً من دونه [ٱلْحَكِيمُ]الّذى صنع المخلوقات بنحو لاتكون خالية منه و مع ذلك لا

يدركه الاّ قليل من عباده فيها للطفه فى صنعه و هذاالمعنى يناسب كون ما نافية.

[وَ تِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ] اى مثل العنكبوت و نظائره، او مثل العنكبوت و امثال الامم الماضية و انبيائهم عليهم السلام [نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ] لتنبيههم و تذكيرهم.

[وَ مَا يَعْقِلُهَآ] اى ما يدركها من جهة المقصود منها و النّظر الى غاياتها [إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ] الّذين فتح الله عليهم باب العلم بولاية على عليه السلام الحاصلة لهم بالبيعة الخاصّة الولويّة، و امّا غيرهم فلايدركون من امثال والاسمار والحكايات الاّ ظواهرها الّتى هى مبعدة لهم عن المقصود و مدركة بالخيال دون العقل.

عن النّبى صلى الله عليه وآله انّه تلا هذه الاية فقال: العالم الّذى عقل عن الله فعمل بطاعته و اجتنب سخطه.

[خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَ ٱلْأَرْضَ بِالْحَقِّ] قد مضى مكرّراً هذه الاية [إِنَّ فِى ذَٰلِكَ] اى فى خلق السّموات والارض بحيث يتمّ بخلقهما امر المواليد واستمرار الفيض من الواهب الفيّاض بحيث لولاهما لما استتمّ امر المواليد و لما استمرّ الفيض و لما وجد غاية الايجاد و هو الانسان او فى خلق السّموات و الارض متلبّسات بالغايات الحقّة او بالتّنضيدات الحقّة الّتى لاشوب باطل فيها.

[لَأَيَةً] عظيمة او المراد بها الجنس اى آيات عديدة [لِّلْمُؤْمِنِينَ] بالبيعة العامّة او الخاصّة او للمذعنين بالله والاخرة.

[ٱتْلُ] جواب لسؤال مقدّر كما انّ قوله تعالى خلق الله السّموات (الاية) كان جواباً لسؤال مقدّر كأنّه قيل: هل لتعقّل الامثال

ءاية و منبّه؟ فقال جواباً: خلق الله السّموات والارض بالحقّ و فى خلقهماءايات عديدة منبّهة على تعقّل الامثال كما انّ فيها ءايات عديدة دالة على مبدء عليم حكيم قدير مريد رحيم رؤف و كانّه قيل بعد ذلك: هل لنا منبّه على تذكّر الايات المودعة فى خلق السموات والارض؟

فقال تعالى خطاباً لمحمّد ﷺ على ايّاك اعنى و اسمعى يا جاره او خطاباً عامّاً [مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ]بتوسّط جبرئيل او ما اوحى اليك بسبب محمّد ﷺ [مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ]حتّى تستعدّ لتذكّر الايات و تمتّع من الملاهى الّتى تحجبك عن تذكّر الايات.

[إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ]قد مضى فى اوّل البقرة و سورة النّساء عند قوله: لاتقربوا الصلوة و انتم السكارى تفصيل لمعانى الصلوة و مراتبها و اقامتها، و لمّا كانت الصلوة القالبيّة بالمواضعة الالهيّة مانعة من الاشتغال بغيرها ولو كان مباحاً كانت ناهية عن الفحشاء والمنكر القالبىّ بالمواضعة.

والصّلوة القلبيّة المأخوذة من صاحب الاجازة الالهيّة تكون مانعة عن الفحشاء والمنكر فى مرتبة القلب و كذلك الصلوة الصّدرية الّتى هى السّكينة القلبيّة المسمّاة بالفكر والحضور عندهم و هى ملكوت ولى الامر و اوّل مقام معرفة على عليه السلام بالنّورانيّة تنهى حالاً او باللسان عن جملة الفحشاء والمنكر.

والصلوة المصلّى الّذى هو مستغرق فى شهود جمال الوحدة ناهية له عن الالتفات الى غيرالله و هذا الالتفات هو منكره فى ذلك المقام، والصلوة الّتى هى عبارة عن الرّسول ﷺ او الامام عليه السلام تنهى عن الفحشاء و المنكر اللّذين هما مقابلان لهما من اصناف البشر و قد فسّر الصّلوة بكلّ و فسّر

الفحشاء و المنكر باعداء الرسول ﷺ و الامام علیه‌السلام .

نقل: انّها مالم تنه الصلوة عن الفحشاء و المنكر لم تزدد من الله عزّوجلّ الاّ بعداً[1].

و روى انّ فتى من الانصار كان يصلّى الصّلوات مع رسول‌الله و يرتكب الفواحش، فوصف ذلك لرسول‌الله ﷺ فقال: انّ الصّلوته تنهاه يوماً فلم يلبث ان تاب[2].

و على هذا كان معنى الاية انّ الصّلوة تنهى فى المستقبل صاحبها عن الفحشاء و المنكر.

[وَ لَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ]ان اريد بالصّلوة الصّلوة القالبيّة كان المراد بذكرالله ذكرالله للعبد، او الذّكر القلبىّ او الذكر الّذى هو الفكر، اوذكر اوامره و نواهيه عند كلّ فعال الّذى يحمل العبد على الامتثال و الانتهاء، و ان كان المراد الصّلوة القلبيّة كان المراد بذكرالله ذكرالله للعبد او واحد ممّا ذكر بعد الذّكر القلبىّ و هكذا الحال فى سائر مراتب الصّلوة، وان كان المراد بالصّلوة الرّسول ﷺ او الامام علیه‌السلام كان المراد بذكرالله ذكرالله للعبد او مقام نورانيّتهما فانّه ذكرالله حقيقة [وَ ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ]

فيعلم صلوتكم و ذكركم لله و يجازيكم على حسبهما على انّهما ينبّهانكم على تذكّرالايات و الجملة حاليّة.

[وَ لَا تُجَـٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى]بالمجادلة الّتى [هِىَ أَحْسَنُ]من المجادلات او بالطّريقة الّتى هى احسن، اوبالكلمة الّتى هى احسن والجدل و الجدال بمعنى القتل فانّ المجادل يريد ان يقتل المجادل له

---

۱. تفسیرالقمّی ج ۲ ص ۱۵۰   ۲. مجمع‌البیان ج۸-۷ ص۲۸۵

الى مذهبه و ذلك يتصوّر بالسيف والضّرب والحبس والمكالمة بالشّتم والخشونة و ابطال الحقّ و اثبات الباطل و لكنّه خصّ فى العرف بصرف الخصم عن مذهبه بالمباحثة و المكالمة العلميّة.

والمراد باهل الكتاب كلّ من ءامن بنبىّ و كلّ من انتحل ملّة الهيّة فيشمل اهل ملّة الاسلام و منتحليها كما يشمل الزردشتين و المهاباديّين، او المراد المعروفون بهذا الاسم و هم اليهود والنّصارى لكن يشمل الحكم اهل الاسلام بطريق التّعريض او بطريق القياس الاولوىّ، ولمّا كان اهل الملّة الالهيّة و منتحلوها بواسطة نسبتهم الى نبى او انتحالهم النّسبة اليه ذوى حرمة فى الجملة خصّهم بالذّكر من بين اقسام الكفّار اشعاراً بانّ المشركين لا حرمة لهم و لا مداراة معهم.

والمجادلة الحسنة ان لا يظهر باطلاً و لا يبطل باطلاً بباطل و لا يقول ما يغيظ المجادل و لا ينعته و لا يزجره و لا يقول مالا يتحمّله، و ينصف فى حقّ اظهره خصمه و لا يردّه و لا يتكلّم بما يخجله و لا يكون همّه الغلبة عليه بل يكون همّته اصلاحه و لو كان ذلك بان يجعل نفسه مغلوبة ان رأى صلاحه و لينه فى ذلك.

[إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَـلَمُواْ مِنْهُمْ] فى المجادلة او ظلموكم بالمقاتلة او ظلموا انفسهم باللّجاج و عدم الاستماع الى حقّكم.

و هذا ترخيص فى المجادلة بغير الاحسن مع الظّالمين منهم مثل قوله: لا يحبّ الله الجهر بالسّوء من القول الاّ من ظلم لكن لا ينبغى الخروج من الحقّ او الدّخول فى باطل.

[وَ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِالَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ] بالاقرار بحقّيّة كتابهم و دينهم حتّى تكسر سورة لجاجهم.

[وَ إِلَـٰهُنَا وَ إِلَـٰهُكُمْ وَٰحِدٌ]باظهار الاتّحاد معهم غفى المبدأ و المعبود حتّى يدلّ ذلك على انّكم متّحدون معهم غير مغايرين لهم فيرغّبهم ذلك فى مخالطتكم و موادّتهم لكم [وَ نَحْنُ لَهُۥ]اى لالهكم الّذى هو الهنا [مُسْلِمُونَ]لالغيره حتّى تعادونا بذلك و قد سبق فى سورة النّحل عند قوله: جادلهم بالّتى هى احسن شطر من بيان الاية.

[وَ كَذَٰلِكَ]اى مثل انزال الكتاب اليهم، او مثل انزال الامر بالمجادلد بالّتى هى احسن او مثل انزال الامر بان تقولوا ءامنّا بالّذى انزل اليكم (الى اخرالاية).

[أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ]اى كتاب النّبوّة او القرءان [فَالَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ]اى القرءان وهم ءالمحمّد ﷺ او فالّذين ءاتيناهم احكام النّبوّة بقبول الرّسالة بالبيعة العامّة او بقبول الولاية بالبيعة الخاصّة، او فالّذين ءاتيناهم الكتاب اى الانتعاش او الاستعداد لامور الاخرة تكويناً.

[يُؤْمِنُونَ بِهِۦ]اى يذعنون او يؤمنون بالبيعة العامّة او الخاصّة بالقرءان او بمحمّد ﷺ او بكتاب النّبوّة او بعلى عليه السلام فانّه المنظور من كلّ منظور.

[وَ مِنْ هَـٰٓؤُلَآءِ]يعنى اهل الكتاب و هم اليهود والنصارى او من هؤلاء المشركين او هؤلاء الّذين ءاتيناهم القرءان و ءامنوا به بالبيعة.

[مَن يُؤْمِنُ بِهِۦ]اى يومن باحدى البيعتين او يذعن قلباً بمحمّد ﷺ او بالقرءان او باحكام النّبوّة او بعلى عليه السلام [وَ مَا يَجْحَدُ بِـَٔايَـٰتِنَآ]الّتى اعظمها على عليه السلام [إِلَّا ٱلْكَـٰفِرُونَ].

و هذا تعريض بمنافقى الامّة الّذين جحدوا علياً عليه السلام [وَ مَا كُنتَ تَتْلُواْ]جملة حاليّة او معطوفة ورد لمن زعم او قال انّه اخذه من غيره او

التقطه من كتب السّابقين [مِن قَبْلِهِۦ]اى من قبل القرءان.

[مِن كِتَـٰبٍ وَ لَا تَخُطُّهُۥ]اى القرءان او الكتاب المطلق [بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ]يعنى لكان ارتيابهم فى موقعه والاّ فهم كانوا مرتابين و من اعظم ءايات صدقه فى دعواه.

انّه ﷺ كان يتيماً فقيراً راعياً لم يختلف الى معلّم و لم يختلط مع عالم و لم يتعلّم الخطّ و لم يكن فى كتاب و قد جاء بكتاب و شريعة قد حار فى درك دقائقها الحكماء و عجز عن استقصاء العلوم المندرجة فيهما العلماء و استحصر عن بلوغ لطائفهما العرفاء، واعترف ببراعة كتابه فى البلاغة البلغاء.

و عن مولانا و مقتدانا علىّ بن موسى الرّضا عليه السلام : و من ءاياته انّه كان يتيماً فقيراً راعياً اجيراً لم يتعلّم كتاباً و لم يختلف الى معلّم ثمّ جاء بالقرءان الّذى فيه قصص الانبياء عليهم السلام و اخبارهم حرفاً بحرف، و اخبار من مضى و من بقى الى يوم القيامة [1].

[بَلْ هُوَ]اى كتاب النّبوّة او كتاب الولاية والقرءان صورتهما و هو اضراب عن قوله تعالى: فالّذين ءاتيناهم الكتاب (الاية) فانّه لا يدلّ على ازيد من الايمان التّقليدى و هذا يدلّ على الايمان التّحقيقى بالكتاب بل على التّحقّق بالكتاب على طريقة اتّحاد العاقل والمعقول يعنى هو بنفسه.

[ءَايَـٰتٌۢ]دالاّت على المبدء وصفاته و على الرّسالة و احكامها و صدق الاتى، او المراد انّ صاحب الرّسالة و صاحب الولاية بولايتهما و نورانيّتهما ءايات.

* [بَيِّنَـٰتٌ]واضحات او موضحات [فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ

---

۱. تفسير الصّافى ج۴ ص۱۱۹ و عيون اخبار الرّضا عليه السلام ج۱ ص۱۳۶ ح۱

أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ]لم يقل فى صدور الّذين كسبوا العلم اشعاراً بانّ العلم نور يقذفه‌الله فى قلب من يشاء و ليس يحصل بكسب، نعم‌الكسب يعدّالرّجل لقذف هذاالعلم، و اتى بالفعل مبنياً للمفعول للاشارة الى انّ الفاعل لا يحتمل ان يكون غيرالله تعالى والمراد بمن اوتوا العلم هم‌الاوصياء عليهم السلام كما فى اخبار كثيرة عنهم عليهم السلام.

[وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّـٰلِمُونَ]كرّر هذا للاهتمام بالتّعريض بالامّة و اشعاراً بانّ الجاحد كما انّه كافر ظالم ايضاً.

[وَقَالُواْ]عطف بلحاظ المعنى كانّه قال جحد الظّالمون الايات و قالوا: [لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَـٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ قُلْ]لهم بالتّنزيل عن مقامك الولوىّ و باظهار العجز بحسب مقامك البشرىّ [إِنَّمَا ٱلْأَيَـٰتُ عِندَ ٱللَّهِ]و ليس شىء منها عندى حتّى ءاتى بمقترحكم.

[وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ] ظاهر او مظهر لانذارى و صحّته و قدمضى انّ الرّسول صلّى الله عليه و آله لابدّ ان يكون ذاشأنين: شأن الانذار برسالته و شأن التّبشير بولايته، لكنّه لمّا كان شأن الرسالة فيه غالباً كان قد يتكلّم بشأن الرّسالة و يحصر شؤنه فيه كما انّه حصر جملة شؤنه هيهنا فى الانذار الّذى هو شأن الرّسالة لاالولاية.

[أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ]انّك كنت يتيماً غير مختلف الى احد و لم يكفهم فى الدّلالة على صدقك حتّى يقترحوا ءاية اخرى.

[أَنَّآ]لاغيرنا [أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ]احكام‌الرّسالة او صورة‌القرءان مع انّك كنت امّياً و كتابك كان مشتملاً على دقائق الحكم بحيث يعجز عن ادراكها العقلاء والحكماء حالكونهم [يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ] و ليس مخفيّاً عليهم.

[إِنَّ فِي ذَٰلِكَ]الانزال او فى ذلك الكتاب او فى ذلك المذكور من استمرار تلاوةالكتاب [لَرَحْمَةً] من حيث دلالته على صدق رسالتك [وَ ذِكْرَىٰ]لحقّيّتك اى دلالة حقّيّتك [لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ]باحدى البيعتين او لقوم يذعنون بالله و ملائكته و كتبه و رسله و اليوم الاخر.

و اللاّم لتبيين مفعول الرّحمة و الذّكرى يعنى غير المؤمنين لكونهم غير متوجّهين الى الاخرة و غير مهتمّين بالله و بمن يدعو الى الله لايتأمّلون فيه ولايتفكّرون فى دلالته فيستمعونه استماع الاسمار فلاينتفعون به و لايتذكّرون.

روى انّ اناساً من المسلمين اتوا رسول الله ﷺ بكتف كتب فيها بعض ما يقوله اليهود فقال: كفى بها ضلالة قوم ان يرغبوا عمّا جاء به نبيّهم الى ما جاء به غير نبيّهم فنزلت الاية [۱].

[قُلْ]لهم بعد ما ينفع فيهم هذه الايات اظهاراً لاعراضك عنهم و التجائك الى ربّك حتّى يكسر لجاجهم فانّ الاصرار على الدّعوة مع اللّجوج يزيد فى لجاجته.

[كَفَىٰ بِاللَّهِ بَيْنِي وَ بَيْنَكُمْ شَهِيدًا]فان كنت كاذباً يعلم كذبى و يعذّبنى عليه، و ان كنتم انتم كاذبين يعلمه و يعذّبكم عليه [يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَ ٱلْأَرْضِ]فاحذروا من العناد معه و مع رسوله.

[وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْبَٰطِلِ وَكَفَرُواْ بِاللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ]جملة حاليّة او معطوفة وبمنزلة النّتيجة.

[وَ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ]بمثل ما قالوا عند توعيدك بالعذاب فائتنابما تعدنا او بقولهم ان كان هذا هو الحقّ من عندك فامطر علينا حجارة

۱. تفسيرالصّافى ج۴ ص ۱۲۰

من‌السّماء.

[وَ لَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَآءَهُمُ ٱلْعَذَابُ]یعنی عدم اتیان العذاب لیس لما قالوا من انّه لیس ما قلت حقّاً و لالکرامتهم علینا بل لانّ لکلّ امر وقتاً لایتجاوزه.

[وَ لَيَأْتِيَنَّهُم]فی‌الدّنیا و فی حال بقائهم مثل اتیان العذاب ببدر و غیرها و مثل البلایا فی الاموال والانفس او فی حال احتضارهم علی ایدی الملائکة او فی الاخرة فی البرازخ او فی القیامة [بَغْتَةً]من غیر تقدّم‌الامارةله او من غیر استشعار منهم بامارته‌لانهماکهم فی الملاهی.

[وَ هُمْ لَا يَشْعُرُونَ]بمجیئه حین اتیانه، اولایشعرون فی الحال بانّه یأتیهم بعد و الاّلماسألوه.

[يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ]کرّر هذا القول للاشعار بانّ الاوّل کان بحسب عذاب‌الدّنیا والثّانی بحسب عذاب الاخرة او لانّ الاوّل کان مقدّمة للتّهدید باتیان العذاب و الثّانی للتّهدید باحاطته بهم فی‌الحال ولکنّهم لایشعرون به،او المنظور من التکریر المبالغة فی تسفیههم بالتّجری علی ما ینبغی التّحرز عنه ولوکان محتملاً غیرمتیقّن.

[وَ إِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِالْكَـٰفِرِينَ]وضع‌المظهر موضع‌المضمر اشعاراً بعلّةالحکم و اظهاراًلکفرهم بنفاقهم یعنی انّهم کافرون و کلّ کافر واقع فی وسط جهنّم و معذّب بانواع عذابها و ان کان لایشعر به فهم فی استعجالهم فی العذاب واقعون فی‌العذاب.

اعلم،انّ‌النّفس الانسانیّة بمقتضیاتهاالحیوانیّة انموذج الجحیم و لهباتها وانواع عذابهافان کان الانسان الواقع فی مقام‌النّفس و هوالّذی یکون فی الغیب من الله و من الاخرةمنقطعاًعن‌الولایة ومستوراً منه‌الوجهةالولویة

کان واقعاً فی جهنّم وواقعاً علیها و محاطاً بها.

وان لم یکن منقطعاً عن الولایة بان کان مؤمناً بها کانت علیه برداً و سلاماً و لم یحسّ بها او احسّ بها و بالامها لکن تکون تطهیراًله عن شوائبه الغریبة.

وکون النّفس الانسانیة انموذج الجحیم ووجوب عبور الانسان علیها و عنها احد وجوه قوله تعالی: ان منکم الاّ واردها وهی الجسر الممدود علی متن جهنّم و قدمضی فی سورة التّوبة بیان اجمالیّ فی نظیر هذه الایة لاحاطة جهنّم بالکافرین.

[يَوْمَ يَغْشَـٰهُمُ ٱلْعَذَابُ] مفعول للکافرین او ظرف لمحیطة او ظرف لفعل محذوف و هو اذکر اوذکّرهم.

[مِن فَوْقِهِمْ وَ مِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَ يَقُولُ] قریء بالغیبة و بالتّکلّم [ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟] بالبیعة علی یدمحمّد صلی الله علیه و آله البیعة العامّة او علی یدعلیّ علیه السلام البیعة الخاصّة.

[إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ] فاذا لم یتیسر لکم عبادتی فی ارض فاخرجوا منها الی ارض یمکن لکم توحید عبادتی [فَإِيَّـٰىَ] دون غیری [فَاعْبُدُونِ].

عن الصّادق علیه السلام اذا عصی الله فی ارض انت بها فاخرج منها الی غیرها[1].

[كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ] فی مقام التّعلیل [ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ وَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَ عَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ

۱. مجمع البیان ج۸–۷ ص۲۹۱

ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَـٰمِلِينَ ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ] قدمضى بيان الصّبر والتّوكّل مشروحاً و كذلك بيان جريان الانهار من تحت الجنّات.

[وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ]لاتحصى نوعاً و فرداً [لَّا تَحْمِلُ] الخطاب عامّ او خاصّ بمحمّد ﷺ او بمن يزعم آن لامدخليّة فى‌الامور لشىء سوى الاسباب الطّبيعيّة كالطّبيعيّة اعتقاداً او حالاًكا كثرالنّاس.

[رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ]فانّ الانسان فى بادى النّظر يظنّ انّ الرّزق منوط بالاسباب الطّبيعيّة لكن دقيق النّظر يحكم بان لامدخلية لشىء من الاسباب الطّبيعيّة فى ارتزاق الانسان وليس الارتزاق الاّ بالاسباب الهيّة و انّ الاسباب الطّبيعيّة حجب على الاسباب الالهيّة.

نعم ماقيل:

ای گرفتار سبب بيرون مپر
ليك عزل آن مسبّب ظن‌ّمبر

هرچه خواهد آن مسبّب آورد
قدرت مطلق سببهابردرد

اين سببها برنظرها پرده‌هاست
كه نه هر ديدار صنعش را سزاست

ديده‌ی بايد سبب سوراخ كن
تا حجب را بركند از بيخ وبن

تا مسبّب بيند اندر لامكان
هرزه بيند جهد و اسباب دكان

[وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ]لاقوالكم القاليّة و الحاليّة والاستعداديّة الّتى لا شعور لكم بها [ٱلْعَلِيمُ]بمقدار الاستعداد و قدر الاستحقاق و عمدة اسباب

الرّزق هی السموات والارض والشّمس و القمر.

[وَ لَئِن سَأَلْتَهُم]ای المتقیّدین بالاسباب الغافلین عن مسبّب الاسباب [مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَ سَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَ ٱلْقَمَرَ]اللاّتی بهاتولیدالموالید وارتزاق المرتزقین.

[لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ]منه الی الاسباب و لا یکتفون به من الاسباب [ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَ يَقْدِرُ لَهُۥٓ]ای لمن یبسط او لغیره ممّن یشاء فانّ من فیمن یشاء مطلق یجوز ارجاع الضّمیرالیه من غیر اعتبارالتّقیّد ببسط الرّزق والجملة حالیّة او مستأنفة و تعلیل لانکار الصّرف عنه فی طلب الرّزق، او تعلیل لجملةالله یرزقها و ایّاکم.

[إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ]فیعلم مایصلح عباده من بسط الرّزق وقبضه [وَ لَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا]لمّا کان الاسباب القریبة للرّزق بعدالسّموات والارض والشّمس والقمر هو امطارالامطار و احیاءالارض بانبات النّبات اتی به بعد السّؤال عن السّموات و الارض و تسخیرالشّمس و القمر.

[لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ قُلِ]بعد اقرارهم بذلك [ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ]شکراً لانعامه علیك بتبصیرك ذلك، او قل لهم بعد ذلك جمیع الصّفات الّتی یحمد علیها فانّ جمیع الخیرات المنتشرةالمحسوسة الّتی لا یتجاوز مدارکهم عنها محصورة فی خلق السموات والارض و الشّمس و القمر و امطار الامطار و انبات النّبات فهؤلاءلا یجحدون الله وتسبیبه لاسباب الرّزق.

[بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ]فیتوسّلون بالاسباب و ینصرفون عن مسببها لعدم تعقّلهم لالانکارهم [وَ مَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَ لَعِبٌ]الجملة حالیّة او معطوفة باعتبارالمعنی کانّه قال: انّه هیّأ اسباب

الحيوةالدّنياالدّانية الّتى حيوة جميع احيائها مشوبة بالممات، ووجودها مشوب بالاعدام، و جدّها لهو او لعب و لم يتركها بدون تهيّة اسباب الوجود والبقاء و التّعيّش باعتراف المقرّ و المنكر فكيف بالحيوةالاخرة الّتى حيوة جميع اجزائهاعين ذواتهم و وجودها خالص من شوب النّقص و لذّتهامبرّأة من شوب الالم فانّ الحيوةالدّنيا حيوة بالعرض.

[وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأَخِرَةَ]بجميع اجزائها [لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُ]محصوراً فيها الحيوة اوالمعنى انّهم مهتمّون بامرالحيوةالدّنياالّتى يرون انّهاكلعب الاطفال غيرباقيةوغيرمترتّب عليها فائدة و انّالدّارالاخرة لهى الحيوان.

[لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ]لامتنعوا من الاهتمام بامرالحيوة الدّنياو لكانوا مهتمّين بامرالحيوة الاخرة او لفظ لوللتّمنّى و قد مضى الفرق بين اللّهو واللّعب وانّ اوّل ما لايكون له غاية لاعقلانيّة و لاخياليّة، والثّانى ما لايكون له غاية عقلانيّة و يكون له غاية خياليّة و ان كان الاوّل ايضاً لايخلو عن غاية خفيّة.

[فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلۡفُلۡكِ]عطف باعتبار المعنى كانّه قال اذا كانوا فى البرّ مطمئنّين كانوا غافلين عن الله و الاخرة مهتمّين بامرالحيوةالدّنيا فاذا ركبوا فى الفلك و خافوا على الحيوةالدّنيا.

[دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ]اى الطّريق اليه لا الملّة او الاسلام او الايمان فانّ الاية عامّة لذوى الملل الالهية و غيرهم.

[فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ إِذَا هُمۡ يُشۡرِكُونَ]بالله او بالاخرة او بالدّين او يصيرون مشركين [لِيَكۡفُرُواْ]هذامن قبيل فالتقطه ءال فرعون ليكون لهم عدوّاً و حزناً اى صار غاية اشراكهم الكفران [بِمَآ

ءَاتَيْنَـٰهُمْ]من نعمةالانجاء او مطلق النّعم.

[وَ لِيَتَمَتَّعُوا]فى حيوتهم الدّائرة فانّ من كان متذكّراً لانعم‌الله و انعامه لا يتيسّر له‌الّتمتّع بمستلذّات الحيوانية [فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ]عقوبةالاشراك و وبال‌التّمتّع فى الحيوةالحيوانيّة اوسوف يعلمون انّ ذلك كان خطاءً و وبالاً.

[أ]يكفر اهل مكّة بنعمه و يشركون به [وَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا]اى لهم فانّ الحرم قديماً و حديثاً كان بالمواضعة ءامناً اهله من الصّدمات الواردة على سائرالبلاد و سائرالعرب و كان ءامناً بمشيّةالله من تعرّض المتعرّضين له مثل تعرّض ملك‌اليمن لخرابه.

[وَ يُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ]بالقتل و الاسر [أَ]اهوائهم يتّبعون [فَبِٱلْبَـٰطِلِ]الّذى هو اهوائهم اوّلاً، والشّياطين ثانياً و الاصنام والكواكب او شركاءالولاية ثالثاً؛ [يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ]الّتى هى جعل‌الحرم ءامناً لهم او جملة نعم‌الله او الولاية الّتى هى اصل كلّ النّعم.

[يَكْفُرُونَ وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا]مفعول به لافترى اذاكان على التّجريد، او مفعول مطلق من غير لفظ الفعل.

و هذه العبارة تستعمل فى‌اظلميّة المفترى و ان كانت بمفهومهااللّغوىّ اعمّ منه، والافتراء على الله اعمّ من ان يجعل مالم يأذن به شريكاًله او يفتى او يقضى بين النّاس او يؤمّ‌النّاس به يترأس من غير اذن و اجازة من الله و خلفائه.

فانّ الاجازة من الله او خلفائه تجعل وجود المجازكالانفحةالّتى تورث فى كلّ لبن وصل اليهاكيفيّة بما تنعقد و تصير جبّناً و بدون الاجازة لايؤثر ملاقاةالعالم ولاالبيعة معه بل يكون العالم اضرّ على ضعفاء العقول من جيش يزيد (لعنه‌الله) على اصحاب الحسين عليه السلام .

لانّ ملاقات العالم حینئذ و البیعة معه یبطل استعداد الملاقی فی الاغلب ؛ و من هذا یعلم حال من یقول لاحاجة لی الی الاجازة بل النّاس محتاجون الی اجازتی.

[أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ] ای الامرالثّابت او الولایة فانّهاالحقّ حقیقة و سائرالاشیاء حقیّتها لاتکون الاّ بها [لَمَّا جَآءَهُۥٓ]من نبیّ وقته بنصبه و تعیینه لولیّ الامر.

[أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَـٰفِرِينَ]جواب لسؤال مقدّر کانّه قیل: ما حال المفتری والمکذّب و این یکون مقامه؟ فقال: حاله انّه کافر فانّه مالم یسترالحقّ و وجهته لایمکنه الافتراء و التّکذیب، وکلّ کافر مثواه جهنّم، لکنّه ادّاه بهذه العبارة تأکیداً له و اشعاراً بانّ کفر مثله لاحاجة له الی البیان.

[وَ ٱلَّذِينَ جَـٰهَدُوا۟]عطف علی قوله: و من اظلم فانّه فی معنی لااظلم ممّن ترک المجاهدة فینا و استبدّ برأیه و توسّل بانانیّته و قوی انانیّته بالافتراء علینا و التّکذیب للحقّ، والّذین جاهدوا بالقتال الظّاهر او بالقتال الباطن، او اتعبوا انفسهم او بالغوا فی الجهد و التّعب.

[فِينَا]ای فی طلبنا او فی محبّتنا او فی طریقناالّتی هداهم خلفاؤنا الیها او فی تعظیمنا او فی التّوسّل بنابالتّوسّل الی خلفائنا.

[لَنَهْدِيَنَّهُمْ]ای لنسلکنّهم اولنوصلنّهم اولنرینّهم [سُبُلَنَا]المعوّجةوالمستقیمة جمیعاً [وَ إِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ] وضع الظّاهر موضع المضمر للاشارة الی قیاس اقترانیّ یعنی من هدیناه سبلنا جمیعاً صار محسناً.

او من جاهد فینا کان محسناً و کلّ من کان محسناً کان الله معه لانّ الله مع المحسنین؛ او المراد بالمجاهدین من کان فی الطّریق و فی السّفرالاوّل و الثّانی، و

المراد بالمحسن من سار فی‌الخلق بالحقّ و من سار فی‌السّفرالرّابع فانّه المحسن علی‌الاطلاق.

کما مضی فی سورةالمائدة عند قوله تعالی: **ثمّ اتّقوا و احسنوا** و المعنی الّذین جاهدوا فینا لنهدینّهم سبلنا، و الّذین وصلوا الینا ثمّ عادوا الی الخلق کان‌الله الّذی هو غیب عن المجاهدین حاضراً معهم، و وجه الالتفاتات فی تلک الایات موکول الی ذوق النّاظر،والله موفّق للرّشاد.

سورة الرّوم

مكّيّة كلّها؛ و قيل: سوى قوله: فسبحان اللّه حين تمسون [الآية] [1] و هى ستّون ءاية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[الٓمٓ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ] اى ادنى ارضهم من ارض فارس او ارض العرب [وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ] قرء الفعلان مبنيّين للمفعول، و قرء الاوّل مبنيّاً للمفعول و الثّانى مبنيّاً للفاعل و هى القراءة المشهورة، و قرء بالعكس، قيل: انّ الفرس غزت الرّوم فوافوهم باذرعاتٍ [2].

و قيل: بالجزيرة فغلبوا عليهم و بلغ الخبر مكّة ففرح المشركون و شمتوا بالمسلمين و قالوا: انتم و النّصارى اهل كتاب و نحن و فارس امّيّون، و قد ظهر اخواننا على اخوانكم و ليظهرنّ عليكم، فنزلت [3].

و فى خبرٍ: انّ رسول اللّه ﷺ بعد ما هاجر الى المدينة و اظهر رسالته كتب كتاباً الى ملك الرّوم و كتاباً الى ملك فارس فعظّم ملك الرّوم كتاب الرّسول ﷺ و عظّم رسوله، و اهان ملك فارس كتابه ﷺ و اهان برسوله.

و كان بين الرّوم و الفرس مقاتلة فغلبت الفرس الرّوم فساء ذلك المسلمين لما كانوا احبّوا ملك الرّوم و ابغضوا ملك الفرس، فنزلت الآية: الم غلبت الرّوم يعنى غلبتها فارس فى ادنى الارض و هى الشّامات و ما حولها و هم يعنى فارس من بعد غلبهم الرّوم سيغلبون يعنى يغلبهم المسلمون.

---

١ و ٣ - الصّافى: ج ۴، ص ١٢۵.

٢ . مجمع البيان: ج ٨-٧، ص ٢٩۴.

[فِي بِضْعِ سِنِينَ] و هى ما بين الثّلاث الى العشر فلمّا غزا المسلمون فارس و افتتحوها فرح المسلمون بنصراللّه عزّوجلّ قيل: اليس اللّه عزّوجلّ يقول فى بضع سنين و قدمضى من نزول الآية سنين عديدة حتّى افتتح المسلمون فى امارة عمر فارس؟

– فقال الامام عليه السلام الم اقل لك انّ لهذا تأويلاً و تفسيراً والقرءان ناسخ و منسوخ اما تسمع لقول اللّه عزّوجلّ [لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَ مِنْ بَعْدُ] يعنى اليه المشيّة فى القول ان يؤخّر ما قدّم و يقدّم ما اخّر فى القول الى يوم تحتّم القظاء بنزول النّصر فيه على المؤمنين [1]، و بناء ما ذكر على قراءة الفعلين مبنيّين للمفعول.

و روى عن اهل البيت عليهم السلام انّ قوماً ينسبون الى قريشٍ و ليسوا من قريشٍ بحقيقة النّسب، و هذا ممّا لا يعرفه الّا معدن النّبوّة و ورثة علم الرّسالة و ذلك مثل بنى اميّة ذكروا انّهم ليسوا من قريش و انّ اصلهم من الرّوم و فيهم تأويل هذه الآية الم غلبت الرّوم معناه انّهم غلبوا على الملك و سيغلبهم على ذلك بنو العبّاس [2].

و بناء هذا على قراءة غلبت مبنيّاً للفاعل و سيغلبون مبنيّاً للمفعول.

اعلم انّ القرءان كما سبق (فى الفصل الحادى عشر و الثّانى عشر فى اوّل الكتاب) ذو وجوهٍ بحسبٍ معانيه و ذو وجوهٍ بحسب الفاظه و قراءاته.

و انّه يجوز ان يكون مراداً بجميع وجوهه و منزلاً بجميع قراءاته و انّه كثيراً ما يختلف المعانى و الوجوه اختلافاً تامّاً مؤدّياً الى ارادة الضّدّين من اللّفظ

---

١ . الصافى: ج ۴، ص ۲۶ و الكافى: ج ۸، ص ۲۶۹، ح ۳۹۷.

۲ – الصّافى: ج ۴، ص ۱۲۷ و كتاب الاستغاثه: ص ۸۷ – ۸۸.

بحسب حقائقه و مجازاته و تعريضاته و كناياته.

فعلى هذا صحّت التّفسيرات المختلفة الّتى وردت عنهم عليهم السلام باعتبارات القرائات الثّلاث و صحّ تفسير الرّوم ببنى اميّة بناءً على تشبيههم باهل الرّوم فى الكثرة، او فى الاهتمام بالدّنيا و اعتباراتها، او فى اخذ المذهب محض الرّسم و الملّة، او فى اختلاف المذاهب و كثرتها.

و صحّ تفسيره باهل المودّة و السّلامة، و صحّ تفسيره بملك النّفس واهويتها المتضادّة المتخالفة، و على هذا التّفسير و التّفسير الاوّل ورد: انّ فرح المؤمنين بنصراللّه يكون عند قيام القائم عجّل اللّه فرجه[1].

و فى خبرٍ: فرح المؤمنون فى قبورهم بقيام القائم عليه السلام[2].

و معنى قوله تعالى للّه الامر من قبل انّه لا يخرج الامر من قدرته من قبل غلبتهم و من بعد غلبتهم، او من قبل ان يقضى و من بعد ان يقضى، فانّه يتصرّف فيه متى لم يمضه بايّ نحوٍ شاء فيكون اشارةً الى جواز البداء.

[وَ يَوْمَئِذٍ] يوم غلبة الرّوم، او مغلوبيّة فارس بالمسلمين او مغلوبيّة بنى اميّة او مغلوبيّة جنود الجهل و اهوية النّفس بظهور القائم عليه السلام.

[يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ ٱللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَآءُ]

فلااختصاص بنصره بالمؤمن، بل ينصر المؤمن تارة و الكافر اخرى لكنّ المنظور من نصرهما صلاح المؤمن و اصلاحه.

[وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ] الغالب الّذى لا يدفع عن مراده [ٱلرَّحِيمُ] الّذى لا يفعل ما يفعل الّا برحمته، و صيرورة الرّحمة فى بعض القوابل غضباً و عذاباً انّما هو من قبل القابل [وَعْدَ ٱللَّهِ] اى وعداللّه نصرهم و فرح المؤمنين

۱. تأويل الايات الظاهرة: ص ۴۲۶ - ۴۲۷ ۲ - البرهان: ج ۳، ص ۲۵۸.

وعداً [لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَ لَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ] عدم خلف وعده، او نصره للمؤمنين، او نصره لمن يشاء، او كيفيّة وعده، او كيفيّة نصره.

و لذالك لا يرون من النّصر الّا الغلبة فى الظّاهر دون الغلبة فى الباطن و لذلك قال [يَعْلَمُونَ ظَـٰهِرًا مِنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا] او المعنى اكثرالنّاس لا علم لهم فانّ العلم هو الادراك الاخروىّ الّذى يكون فى الاشتداد الى جهة الأخرة و صاحب هذا الادراك قليل و اكثر النّاس ادراكهم مقصور على مايعينهم فى حيوتهم الدّنيويّه دون الحيوة الاخرويّة او لم يكن ادراكهم للامور الاخرويّة فى الاشتداد الى جهة الأخرة بل كان مصروفاً عن جهة الأخرة الى جهة الدّنيا.

و لذلك قال تعالى: يعلمون ظاهراً من الحيوة الدّنيا، و لفظة من بيانيّة او ابتدائيّة او تبعيضيّة اى يعلمون امراً ظاهراً يدركه المدارك الظّاهرة الحيوانيّة و هو عبارة عن الحيوة الدّنيا و لوازم بقائها او امراً ظاهراً هى الأثار النّاشئة من الحيوة الدّنيا من مقتضياتها و ملائماتها و منافراتها، او امراً هو بعض من الحيوة الدّنيا و قد عدّ فى الاخبار مثل علم النّجوم من جملة ذلك، و نعم ما قيل:

مرغ جانش موش شد سوراخ جو
چون شنيد از گربگان او عرّجوا

زان سبب جانش وطن ديد و قرار
اندراين سوراخ دنيا موش وار

هم در اين سوراخ بنّائى گرفت
در خور سوراخ دانائى گرفت

پيشه هايى كه مر او را در مزيد
اندر اين سوراخ كار ءايد گزيد

زانكه دل بر كند از بيرون شدن

بسته شد راه رهيدن از بدن

[وَ هُمْ عَنِ ٱلْأُخِرَةِ] الّتى هى باطن الحيوة الدّنيا وجهة غيبها و بعض منها [هُمْ غَافِلُونَ] الاتيان بضمير الفصل لتأكيدا الحكم و للاشعار بالحصر، و استعمال الغفلة دون الجهل و امثاله للاشعار بانّ الأخرة معلومة لكلّ احد بل مشهودة لهم فى النّوم حين الرّؤيا خصوصاً.

عند الرّؤيا الصّادقة بل فى اليقظة بالأثار الدّالّة على وجودها من التّقليبات و الدّوائر الّتى تكون فى العالم الكبير و فى العالم الصّغير، و عدم النّظر و التّوجّه اليها ليس الّا محض الغفلة عنها لا للجهل بها.

و قدمضى فى الفصل الاوّل و الثّانى و الثّالث فى اوّل الكتاب و عند قوله تعالى: لقد علموا لمن اشتراه ماله فى الاخرة من خلاقٍ، من سورة البقرة تحقيق و تفصيل للعلم و الفراق بينه و بين الجهل المشابه للعلم؛ من أراد فليرجع اليها.

[أ] لم يرجعوا الى مداركهم الباطنة [وَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِى أَنْفُسِهِمْ] فى حقّ انفسهم حتّى يجدوا انّ فيها سماءً و ارضاً يعنى روحاً و جسداً و انّ حيوة الجسد الّتى هى الحيوة الدّنيا ليست الّا بالحيوة الرّوحيّة الاخرويّة حتّى يعلموا الأخرة و لا يكونوا غافلين عنها، او المعنى اولم يتفكّروا عند انفسهم حتّى يعلموا.

[مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَاوَاتِ] اى سموات الارواح [وَ ٱلْأَرْضَ] اى ارض الاشباح [وَ مَا بَيْنَهُمَآ إِلاَّ بِالْحَقِّ] الّذى هو حقيقة الحيوة الدّنيا و الأخرة حتّى يعلموا انّ فى الدّائرات الّتى منها الحيوة الدّنيا حقّاً باقياً ثابتاً فلم يغفلوا عنه و طلبوا الوصول اليه و هو جهة الأخرة و الجملة معلّق عنها لم يتفكّروا فانّه فى معنى لم يعلموا.

[وَ أَجَلٍ مُسَمًّى] فانّهم و ان لم یکونوا یحصل لهم بالتّفکّر علمٌ بد ثور سموات الطّبع و ارضه فی العالم الکبیر لکن یحصل العلم بد ثور هما فی العالم الصّغیر و انّ لهما اجلاً معیّناً بحسب الاسباب الطّبیعیّة من العمر الطّبیعیّ و اجلاً معلّقاً بحسب القواطع و الموانع من الوصول الی اجله الطّبیعیّ.

[وَ إِنَّ كَثِيراً مِنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآيِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ] و لذلك یعملون الاعمال السّیّئة و اذا تفکّروا انّ اعمال هؤلاء الکثیر نشأت من کفر هم بلقاء ربّهم اجتنبوا مثل اعمالهم.

و الجملة عطف علی جملة ما خلق اللّه السّموات او معلّق عنها لم یتفکّروا مثل المعطوف علیها.

[أ] لم یخرجوا من اوطانهم الصّوریّة و من بیوت نفوسهم [وَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ] الطّبیعیّة و فی ارض وجودهم و ارض القرءان والسّیر الحسنة و الغیر الحسنة.

[فَيَنْظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ] و الضّمائر الثّلاثة للکثیر من النّاس اولمر جع الضّمیر الفاعل لقوله اولم یتفکّروا [كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً] بحسب البدن و المال و الاعوان.

[وَ أَثَارُواْ ٱلْأَرْضَ] بتقلیب و جهها لاستنباط المیاه و استخراج المعادن و للزّراعة و غرس الاشجار و غیرذلك من التّصرّفات و المقصود انّهم أثار و الارض اکثر ممّا أثاروها بقرینة قوله تعالی: [وَ عَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا] و ابادهم اللّه تعالی و لم ینفعهم قوّتهم و اثارتهم و عمارتهم فلا ینبغی لکم ان تغترّ و ابقوّتکم و اثارتکم و تعمیرکم.

[وَ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَاتِ] ای احکام الرّسالة او المعجزات فاغترّوا بقوّتهم و کذّبوا الرّسل مثلکم فخذلهم اللّه او اهلکهم.

[فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ] بتعريضها لسخط اللّه [ثُمَّ كَانَ] عطفت على اولم يتفكّروا باعتبار المعنى فانّه فى معنى لم يتفكّروا او على اولم يسيروا باعتبار المعنى كـأنّه قيل: لم يسيروا ثمّ كان عاقبتهم.

اوعطف على كانوا انفسهم يظلمون ثمّ كان [عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ] هذا من قبيل وضع الظّاهر موضع المضمر للاشعار بسببيّة الاساءة للسّيّئة الّتى هى اكبر الّتى هى تكذيب ءايات اللّه و الاستهزاء بها، اوالمقصود تخصيص هذا الوصف بالمسيئين منهم السّوءى لا المسيئين السّيّئة، اوليس من قبيل وضع الظّاهر موضع المضمر بل المقصود بيان حكم من اساء السّوءى من غير تعرّض للمذكورين و السّوءى تأنيث الاسوء، اومصدر، ولفظة ثمّ للتّعقيب فى الوجود او للتّعقيب فى الاخبار.

[أَن كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ] و اعظمها الانبياء و الاولياء عليهم السلام [وَكَانُواْ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ] و الاستهزاء بالأيات اعظم جرماً من التّكذيب و اعراب الأية انّ السّوءى خبر كان او اسمها على اختلاف القراءة برفع عاقبة الّذين و نصبها و ان كذّبوا بدل منه او بتقدير اللّام او السّوء مفعول مطلق او مفعول به ساوأو ان كذّبوا خبر كان او اسمها.

[ٱللَّهُ يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ] هذه جملة منقطعة و مقدّمة لقوله: يوم تقوم السّاعة (الى ءاخرها) و المراد بالاعاده الاعادة الى البرازخ [ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ] يعنى بعد المكث فى البرازخ ترجعون اليه لا الى غيره.

[وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ] عند الرّجوع اليه [يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ] من الخلق اى يئسون او يتحيّرون لغاية الدّهشة [وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمْ] فى الوجوب، او فى الألهة، او فى العبادة، او فى الطّاعة،

او فى الولاية، او فى الوجود و الشّهود [شُفَعَـٰٓؤُا] يشفعون لهم عنداللّه كما قال بعض المشركين: هؤلاء شفعاؤنا عنداللّه.

[وَكَانُواْ بِشُرَكَآئِهِمْ كَـٰافِرِينَ] الباء صلة كافرين او سببيّة.

[وَ يَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ] تأكيد ليوم تقوم السّاعة [يَتَفَرَّقُونَ] يعنى يتفرّقون فرقتين فرقة الهى الجنّة و فرقة الى النّار، او المعنى انّهم كانوا مجتمعين فى الدّنيا على الاكل و الشّرب و كيفيّتهما و الوقاع و الشّكل و النّوع و هكذا فى البرازخ و فى القيامة و حين ظهور كلّ بصورته الملكوتيّة الّتى يحشر عليها يتفرّقون انواعاً مختلفة و اشكالاً متخالفة فبعضهم يحشرون على صور الخنازير بل على صور يحسن عندها القردة و الخنازير، و بعضهم على صور الكلاب و سائر السّباع، و بعضهم على صور الحشرات، و بعضهم على احسن الصّور، و يتفرّقون الى مقاماتهم فى الجنّة و النّار.

[فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا] تفصيل لتفرّقهم اجمالاً [وَ عَمِلُواْ ٱلصَّـٰالِحَاتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ] من احبره اذا سرّه او انعم عليه [وَ أَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِايَـٰاتِنا وَ لِقَآيِ ٱلْاٰخِرَةِ] قالاً كالطّبيعيّين و الدّهريّين و منكرى المعاد او حالاً كاكثر النّاس.

[فَأُوْلَـٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ] فى العذاب ظرف لغو متعلّق بمحضرون او مستقرّ حال عن فاعله.

[فَسُبْحَـٰانَ ٱللَّهِ] جواب لشرطٍ مقدّرٍ و سبحان مصدر فى معنى التّسبيح او بمعناه الّلازم و مقدّر بفعل الامر اى اذاكان الامر هكذافسبّحوااللّه او فليسبّح اللّه سبحاناً.

[حِينَ تُمْسُونَ] تدخلون فى المساء [وَ حِينَ تُصْبِحُونَ] اى تدخلون فى الصّباح و هما وقتا اختلاط النّور و الظّلمة.

[وَ لَهُ ٱلْحَمْدُ] جملة حاليّة او خبر فى معنى الانشاء و عطف على سبحان اللّه [فِى ٱلسَّمَـٰوٰاتِ] سموات الطّبع و سموات الارواح [وَ ٱلْأَرْضِ] ارض الطّبع و ارض عالمى المثال [وَ عَشِيًّا] وقت العصر و هو وقت دخول فضيلة صلوة العصر الى ءاخر النّهار [وَ حِينَ تُظْهِرُونَ] تدخلون فى الظّهر و هو ساعة الزّوال او المراد وقت ارتفاع الشّمس الى انقضاء وقت فضيلة صلوة الظّهر.

خصّ التّسبيح بالمساء و الصّباح لانّ هذين وقت اختلاط النّور و الظّلمة و انموذج اختلاط ظلمة الطّبع و نور الرّوح و ظلمة المقام الدّانى و نور المقام العالى.- و ينبغى للانسان حينئذٍ تنزيه لطيفته الانسانيّة الّتى هى انموذج اللّه و اسمه تعالى عن الظّلام بخلاف اوقات النّهار فانّها اوقات استواء النّور من دون اختلاط الظّلام، و لاحاجة للانسان الى تنزيه اللّطيفة حينئذٍ.

و لم يذكر السّموات لانّ السّموات مقام تنزّه اللّه و الواقع فى تلك المقام لاحاجة له الى تنزيه و لم يذكر الارض اتّباعاً لعدم ذكر السّموات و الّا فالواقع فى الارض محتاج الى تنزيه اللّطيفة الانسانيّة.

و يجوز ان يكون قوله عشيّاً و حين تظهرون عطفاً على حين تمسون، و يكون اشارة الى استغراق التّسبيح لجميع الاوقات و استغراق الحمد لجميع الامكنة و المقامات.

و عليه قيل: انّ ذكر الاوقات اشارة الى الصّلوات الخمس [يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ] استيناف جواب لسؤالٍ مقدّرٍ ناشٍ من السّابق [وَ يُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ] قدمضى الاية فى سورة يونس مع تفسيرها.

[وَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا] يعنى يحيى ارض الطّبع فى العالم الكبير بانبات نباتها بتهييج العروق المكمونة و الحبوب المستورة فيها، و انباتها

بأنواع النّبات و الاشجار وقت الرّبيع، و ارض العالم الصّغير بـاحياء قُـواهـا الارضيّة الدّاثرة بالحيوة الانسانيّة، الباقيّة بعد موتها فى الّشتاء، و حين الصّبا و بعده الى زمان البيعة با حدى البيعتين.

[وَكَذَٰلِكَ] اى مثل اخراج الحىّ من الميّت و اخراج الميّت من الحىّ و اخراج النّبات من الارض بارسال الامطار عليها.

[تُخْرَجُونَ] فى النّفخة الثّانية او تكون فى الخروج مـن اوّل انـعقاد نطفكم و اولى موادّكم فانّه تعالى لايزال من اوّل انعقاد النّطفة فى الرّحم يخرج ءاناً فآناً المكمونات الّتى تكون بالقوّة فى النّطفة الى الظّهور و الفـعليّة، او مـثل احـياء الارض با خراج نباتها و قواها المكمونة فيها تخرجـون، و قـرئ تـخرجـون مـبنيّاً للمفعول و مبنيّاً للفاعل من الثّلاثىّ المجرّد.

ورد عن الكاظم عليه السلام بياناً لوجهٍ من وجوه الأية قوله: يحيى الارض بعد موتها ليس يحييها بالقطر ولكن يبعث اللّه رجالاً فيحيون العدل فتحيى الارض لاحياء العدل و لاقامة الحدّفيه انفع فى الارض من القطر اربعين صباحاً[1].

[وَمِنْ ءايٰـاتِهِ] عطف على جملة يخرج الحىّ فانّه فى معنى قوله من ءاياته ان يخرج الحىّ من الميّت [أَنْ خَلَقَكُم مِن تُرابٍ]باعتبار خلق ءادم عليه السلام ابيكم منه او باعتبار خلق مادّتكم ممّا يحصل مـن التّراب و يـغلب عـليه التّراب.

[ثُمَّ إِذَآ أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ]تتحرّكون و تدبّون و ليس للارض حركة و لاقدرة على الحركة.

اعلم، انّ فى خلق الانسان الّذى له علم و اردة و قـدرة و اخـتيار و

---

١. الصّافى ج۴ ص١٢٩ و الكافى ج٧ ص١٧۴ ح٢

استعداد للتّصرّف فی الملکوتین و تسخیر اهلهما و استعداد للتّرقّی عن هذا العالم و الحرکة الی السّماء او الی عوالم الارواح من العناصر الّتی لاشعور لها و لاقدرة و لااختیار مع کون الغالب فی مادّتة الماء و الارض اللّتین هما انزلها ءایات عدیدة دالّة علی علمه تعالی و قدرته و حکمته و احاطته و تدبیره و اناطة افعاله بغایاتٍ عدیدةٍ متقنةٍ.

و تصریفه فی عالم الارواح و عالم الطّبع بما لایمکن ادراک کیفیّة تصریفه و تمزیجه للقوی الرّوحانیّة مع القوی الارضیّة بحیث لایمکن التّمیز بینهما، و یشتبه علی کثیرٍ انّ القوی الرّوحانیّة لیست الّا القوی الجسمانیّة حتّی قالوا: انّ النّفس الانسانیّة جسم سار فی البدن کسریان الماء فی الورد.

[وَمِنْ اٰیاتِهِ اَنْ خَلَقَ لَکُمْ مِنْ اَنْفُسِکُمْ] یعنی من جنسکم [اَزْواجًا لِتَسْکُنُوا] لتمیلوا [اِلَیْها] فتسکنوا عن الحرکة عنها فانّ الازواج لولم یکن من جنسکم لکنتم نافرین عنهنّ بعد قضاء حاجاتکم [وَ جَعَلَ بَیْنَکُمْ] ایّها الازواج او ایّها الاناسیّ [مَوَدَّةً وَ رَحْمَةً] محبّة و تعطّفاً و رقّة حتّی یکون تلک المحبّة سبباً لاجتماعکم و بقاء اجتماعکم و تلک الرّقة سبباً لحراسة بعضکم بعضاً و للاهتمام بخیره و اصلاحه.

[اِنَّ فی ذٰلِکَ] المذکور من خلق الازواج من انفسکم و جعل المودّة و الرّحمة بینکم او فی جعل المودّة و الرّحمة بینکم او فی اخراج الحیّ من المیّت [الی ءاخر [الاٰ یة] لَاٰیاتٍ لِقَوْمٍ یَتَفَکَّرُونَ].

مراتب التّحقیق فی العلم

اعلم، انّ الانسان بحسب افراده ذوعرضٍ عریضٍ و ذومراتب کثیرةٍ و هکذا بحسب حالات کلّ فردٍ ذوعرض عریض.

فمنهم من يكون غافلاً عن اللّه و ءاياته و لاكلام معهم و لاخطاب و لا ءاية لهم و لا دلالة و كأيّن من ءاية السّموات و الارض يمرّون عليها و هم عنها معرضون.

و منهم من يتنبّه بانّ الدّنيا مقدّمة الأخرة و ان ليس المقصود من الانسان ان يتعيّش فى الدّنيا كتعيّش الحيوان فيتفكّر فى كيفيّة خلقته و خلقة سائر المواليد فيتنبّه من خلقتها بانّ لها مبدءً قديراً عليماً حكيماً.

و منهم من يستعدّ بهذا التّفكّر لافاضة الحقّ الاوّل تعالى عليه نور العلم، فيفيض عليه نور العلم.

فانّ العلم نورٌ يقذفه اللّه فى قلب من يشاء فيصير صاحب اولى مراتب العلم الّتى هى تكون سبباً للتّحيّر و الانصات، فانّ اولى مراتب العلم مفسّرة بالانصات.

كما عن النّبىّ ﷺ و التّحيّر يصير سبباً لطلب من يعلّمه طريق الوصول الى دارالعلم و معدن النّور.

و منهم من يصل الى عالم وقته بعد طلبه و ينقادله و يستمع منه و هذه المرتبة ثانية مراتب العلم.

كما فى الخبر المأثور عن الرّسول ﷺ، و منهم من يخرج من مقام الاستماع الّذى هو مقام التّقليد و العالم التّقليدىّ فيجد ذوق معلوماته او يشاهد معلوماته او يتحقّق بمعلوماته و هذه المراتب هى مراتب التّحقيق فى العلم.

اذا علمت ذلك فاعلم، انّ الأيات من قوله يخرج الحىّ من الميّت (الى قوله) و هو العزيز الحكيم منزّلة على مراتب افراد الانسان.

و كلّما كان منزّلاً على مراتب الانسان بحسب افراده كان منزّلاً على مراتبه بحسب احوال شخصٍ واحدٍ، و كلّما كان منزّلاً على مرتبةٍ دانيةٍ كان

لصاحب المرتبة العالية ايضاً لسعته و احاطته، بخلاف ما كان لصاحب المرتبة العالية فانّه خاصّ به و ليس لصاحب المرتبة الدّانية نصيبٌ منه.

فقوله: يخرج الحىّ من الميّت (الى قوله) و جعل بينكم مودّةً و رحمةً لصاحب التّنبّه و التّفكّر يعنى ليس له غيره، لا انّ صاحب العلم لا يدرك تلك الأيات و لا يلتذّبها.

[وَمِنْ اٰيٰاتِهِ خَلْقُ السَّمٰوٰاتِ وَ الْاَرْضَ] اى سموات الطّبع و ارضه او سموات الارواح و ارضى الاشباح فى العالم الكبير او الصّغير.

[وَاخْتِلاٰفُ اَلْسِنَتِكُمْ] يعنى اختلاف لغاتكم فانّه يعبّر كثيراً فى العرب و العجم من اللّغات و الكلمات الجارية على الالسن بالالسن او اختلاف السنتكم فى كيفيّة التّأدية مع انّكم من نوعٍ واحدٍ [وَ] اختلاف [اَلْوٰانِكُمْ اِنَّ فِى ذٰلِكَ لَاٰ يٰتٍ] دالّات على علمه و حكمته تعالى و كمال عنايته بخلقه و قدرته و ارادته و سلطنته و وحدته، او دالّات على احوال صاحب الالسن و الالوان كما فى الخبر.

[لِلْعٰا لَمِينَ]قرئ بفتح اللّام و عليها فليخصّص بالّذين حصل لهم العلم فانّ العالمين بفتح اللّام مخصوص بذوى العقول بخلاف العالم الّذى هو مفرده فانّه اعمّ من ذوى العقول و غيرهم، و ذوالعقول فى الحقيقة هم الّذين حصل لهم الّشعور الانسانىّ و ليسوا الّا الّذين قذف اللّه فى قلوبهم نور العلم.

و قرئ بكسر اللّام و هم الّذين قذف اللّه فى قلوبهم نور العلم لا الّذين حصّلوا الصّورا لا دراكيّة من امثالهم و من الدّفاتر، و قدّم هذا الصّنف على المستمعين باعتبار اولى مراتب العلم فانّ المستمع هو الّذى حصل له مرتبة الّسماع الّذى هو ثانية مراتب العلم.

كمافى الخبر النّبوىّ ﷺ و لم يقل لقوم يعلمون كسابقه و لا حقه

اشعاراً.

بانَّ حصول العلم خصوصاً مرتبته الاولى تلويناً لا يكفى فى ادراك تلك الأيات.

و روى عن الصّادق عليه السلام انّ الامام اذاابصر الرّجل عرفه و عرف لونه و ان سمع كلامه من خلف حائطٍ عرفه و عرف ماهو، انّ اللّه يقول: و من ءاياته خلق السّموات و الارض (الأية).

قال و هم العلماء فليس يسمع شيئاً من الامر ينطق به الّا عرفه ناج او هالك فلذلك يجيبهم بالّذى يجيبهم.

و هذا الخبر بيان لاحد وجوه الأية و اعتبر عليه السلام ءاخر مراتب العلم، و قرا عليه السلام العالمين بكسر الّلام او حمله على معنىً يوافق كسر الّلام و جعل دلالة الأيات على احوال صاحب الالسن و الالوان.

و على هذا فليكن المراد بالّسماوات الارواح و ارض الاشباح فى العالم الصّغير لتكون فيها ءايات دالّات على احوال صاحب السّموات و الارض.

[وَمِنْ اٰيٰاتِهِ مَنٰامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهٰارِ] فائدة التّقييد بهما مع انّه لا يكون منام فى غير هما اطلاق المنام عن التّقييد فانّه لولم يذكر هما عقيب المنام لتوهّم انّ المراد هو المنام باللّيل لكونه مُعدّاًللمنام دون اليوم و لذلك لم يقيّد الابتغاء بهما ففى المنام المطلق ءايات دالّات على حكمة الحقّ تعالى و اتقان صنعه و كيفيّة خروج النّفس من البدن بالموت، و دالّات على عالمٍ ءاخر سوى عالم الكون و الفساد، و بقاء ذلك العالم و احاطته بعالم الطّبع و كون صور جميع الاشياء ثابتةً فيه و كيفيّة احاطة الحقّ تعالى بجملة الموجودات.

[وَابْتِغٰاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ] يعنى فيهما فانّ فى ابتغاء الفضل الّذى فيه كمال النّفس بحسب ظنّها سواء كان المراد بالفضل الّسعة و سائر ما يحتاج

الانسان اليه فى الدّنيا او كمالات الانسان وسعة النّفس بحسب امور الأخرة ءايات دالّات على مبدء ذى كمال وسعته و فضل فانّه لو لا مبدء الكمال و الفضل لم يطلب الانسان شيئاً منه.

[اِنَّ فِى ذٰلِكَ لَاٰيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ] الّذين هم صاحبوا المرتبة الثّانية من العلم و هى مرتبة الاستماع و التّقليد و اليه اشار تعالى بقوله: او القى السّمع و هو شهيد.

[و مِنْ اٰيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ] كان الموافق للسّابق و اللّاحق ان يقول: و من ءاياته ان يريكم البرق لكنّه لمّا لم يردان يقول اراءة البرق من ءاياته عدل عنه، و الظّرف لغو متعلّق بيريكم، امّا جعل يريكم بتقدير ان او واقعاً موقع المصدر فيذهب بنكتة العدول عن صريح ان او المصدر فانّه لمّا اراد ان يبيّن انّ تلك الأيات ءايات لمن صار علمه تحقيقيّاً.

و لذلك قال: يريكم و انّ البرق المشهود انّما ينشأ من الأيات الغيبيّة الّتى يكون صاحب التّحقيق منتظراً لها دائماً قال: من ءاياته يريكم دون ان يريكم [خَوْفًا] اراءة خوفٍ او هو بتقدير الّلام وليس مفعولاً له او هو حال عن المفعول [وَطَمَعًا] و المقصود الخوف من الصّاعقة و الطّمع فى الغيث.

[وَيُنَزِّلُ مٰاءً فَيُحْيِى بِهِ الْاَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهٰا اِنَّ فِى ذٰلِكَ لَاٰيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ] يحقّقون فى العلم بالخروج من حدّ التّقليد فانّ التّعقّل عبارة عن ادراك الّشىء بالعقل لا بمحض التّقليد و هم الّذين يكون لهم قلبٌ المشار اليهم بقوله: لمن كان له قلب و هذا مقام التّحقيق فى العلم و وجدان ءاثار المعلوم و الالتذاذ بالعلم و فوقه مقام الّشهود و العيان فى ادراك المعلوم و هو خاصّ بالانبياء الاولياء عليهم السلام و فوقه مقام التّحقّق بالمعلوم و هو مقام بعض الانبياء و الاولياء عليهم السلام.

[وَ مِنْ اٰيٰتِهِ اَنْ تَقُومَ السَّمٰاءُ وَ الْاَرْضُ بِاَمْرِهِ] لا بآلةٍ و مقيم اى السّماء و الارض فى العالم الكبير.

[ثُمَّ اِذٰا دَعٰاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْاَرْضِ] عطف على ان تقوم بتأويل مفرد اى ثمّ خروجكم من الارض اذا دعوة من الارض.

[اِذٰا اَنْتُمْ تَخْرُجُونَ] او هو عطف على مجموع من ءاياته ان تقوم السّماء عطف الجملة و لم يكن حينئذ من جملة ءاياته و لم يقل ههنا انّ فى ذلك لأياتٍ لقوم كذا.

لانّ هذه الأيات خاصّة بالمشاهدين، و ليس للعالمين الغير المشاهدين فيها حقّ و نصيب و المشاهد من حيث انّه مشاهد من صقع اللّه لا من جانب الخلق و اللّه تعالى لا حاجة له الى ءايةٍ .

فلم يقل: انّ فى ذلك لأيات للمشاهدين و هذه هى الأيات العليا و ليست الّا للصّنف الاعلى من الانسان، و قد سلف الاشارة الى انّ كلّما كانت ءاية للصّنف الادنى فهى ءاية للصّنف الاعلى ايضاً من دون عكسٍ و قد سبق الأية فى سورة النّحل مع بعض الاشارات و النّكات.

[وَلَهُ مَنْ فِى السَّمٰوٰاتِ وَ الْاَرْضَ] اى السّموات و الارض و من فيهما يعنى ليس فيهما احد يكون شريكاً له تعالى [كُلٌّ لَهُ قٰانِتُونَ] خاضعون منقادون و ليسوا مقابلين له كما يقول الثّنويّة بالنّور و الظّلمة او بيزدان و اهرمن فلاندّله و لا ضدّ.

[وَ هُوَ الَّذِى يَبْدَؤُ الْخَلْقَ] لاغيره كما يقول الثّنويّة والابليسيّة انّ اهرمن مبدأ الشّرور.

[ثُمَّ يُعِيدُهُ وَ هُوَ اَهْوَنُ عَلَيْهِ] اى الاعادة اسهل على اللّه بالقياس الى قدركم و اصولكم و الّا فليس شىءٌ عليه اصعب من شىءٍ، او

الضّمير المجرور راجع الى الخلق، و معنى كون الاعادة اسهل كونها غير محتاجةٍ الى مادّةٍ و ءالة و تربيةٍ لحصول مادّته و اقتضاء فطرته الصّعود الى اصله بخلاف الابداء فانّه محتاج الى تهيّة مادّة و تربية العلويّات و حافظيّة الارضيّات و ايتلاف المتخالفات و مزجها و كسر سورتها، و قيل: الاهون منسلخ عن معنى التّفضيل.

[وَ لَهُ الْمَثَلُ الْاَعْلٰى] اى الصّفات العليا [فِى السَّمٰوٰاتِ وَ الْاَرْضِ].

عن الصّادق عليه السلام: وللّه المثل الاعلى الّذى لا يشبهه شيءٌ و لا يوصف و لا يتوهّم فذلك المثل الاعلى، او المقصود و للّه المشابه الاعلى فى السّموات من ارباب الانواع و العقول و فى الارض من الانبياء و الاولياء عليهم السلام.

روى عن الرّضا عليه السلام انّه قال، قال النّبىّ صلى الله عليه وآله لعلىّ عليه السلام: و انت المثل الاعلى، و فى خبرٍ: نحن كلمة التّقوى و سبيل الهدى و المثل الاعلى.

[وَ هُوَ الْعَزِيزُ] الّذى لا يغلب [الْحَكِيمُ] الّذى لا يفعل ما يفعل الّا لحكم و مصالح و غاياتٍ متقنةٍ [ضَرَبَ] اللّه [لَكُمْ] لانتفاعكم و اتعاظكم او لاحوالكم فى اشراككم باللّه مماليكه حتّى تتنبّهوا و تعلموا انّ هذا الاشراك خطاء محض [مَثَلًا] لحاله و حال شركائه بزعمكم.

[مِنْ اَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِمّٰامَلَكَتْ اَيْمٰانُكُمْ مِنْ شُرَكٰاءَ] بيان للمثل كأنّه قال: المثل كون المماليك مع انّهم ليسوا مملوكين لكم حقيقه شركاء لكم.

[فِيمٰا رَزَقْنٰاكُمْ] مع كون الرّزق منّا ونسبته اليكم محض اعتبارٍ و لا ترضون به فكيف ترضون او كيف يرضى اللّه تعالى بجعل مماليكه الحقيقيّة الّتى لا وجودهم من انفسهم فكيف بسائر الصّفات شركاء له فى مملوكاته الحقيقيّة

لكنّه عدل الى هذا تأكيداً لنفى رضاهم بشراكة مماليكم حتّى يكون تأكيداً لنفى الشّريك للّه تعالى.

[فَاَنْتُمْ فيهِ سَوٰاءٌ] عطف على مدخول الاستفهام يعنى لستم ترضون بمساواتهم لكم فكيف ترضون او يرضى اللّه بمساواة ممالكيه له، او عطف على حزب اللّه و الفاء للتّعقيب فى الاخبار و بعض اجزاء المعطوف يكون محذوفاً و التّقدير فانتم ايّها الاحرار فيمارزقناكم مساوون للمماليك او انتم ايّها الاحرار و المماليك فيه مساوون و لا ترضون بشراكة المماليك لكم فى كلّ الجهات فكيف ترضون او يرضى اللّه بشراكة المماليك له.

[تَخٰافُونَهُمْ] جملة حاليّة او مستأنفة و المعنى هل تخافونهم [كَخيفَتِكُمْ اَنْفُسَكُمْ] فتجعلونهم شركاء لخوفكم، او المعنى فانتم و مماليككم فى الرّزق سواء من كلّ الجهات سوى اعتبار نسبة المالكيّة اليكم و تخافونهم كخيفتكم من الاحرار، و ينبغى لكم ان ترضوا بشراكتكم و لا ترضون فكيف يرضى اللّه بشراكة مماليكه له مع انّهم ليسوا مساوين له بجهةٍ من الجهات و لا يخافهم بشىءٍ من الخوف.

[كَذٰلِكَ] التّفصيل و التّمثيل لاشراكهم [نُفَصِّلُ الْاٰ يٰتِ] فى كلّ شىءٍ [لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ] يحقّقون فى العلم و الادراك بعد ما خرجوا من مقام التّقليد او لقومٍ يدركون ادراك الانسان لا ادراك الحيوان سواء كان ذلك الادراك تقليداً او تحقيقاً.

فانّ التّعقّل يستعمل فى الادراك الانسانىّ المطلق كمايستعمل فى الادراك العقلانىّ الّذى لا يكون الّا بالتّحقيق دون التّقليد.

قيل: كان سبب نزولها انّ قريشاً و العرب كانوا اذا حجّوا يلبّون و كانت تلبيتهم لبّيك لا شريك لك لبّيك انّ الحمد و النّعمة لك و الملك لا شريك لك؛ و هى

تلبية ابراهيم و الانبياء عليهم السلام فجاء هم ابليس فى صورة شيخٍ فقال لهم: ليست هذه تلبية اسلافكم قالوا: و ما كانت تلبيتهم؟

قال: كانوا يقولون: لبّيك اللّهمّ لبّيك لاشريك الاّ شريكاً هو لك!

فتفرّق قريش من هذا القول فقال لهم ابليس: على رسلكم حتّى ءاتى على ءاخر كلامى، فقالوا: ما هو؟

فقال: الّا شريك هو لك تملكه و ما يملكك، الاترون انّه يملك الّشريك و ما ملكه، فرضوا بذلك و كانوا يلبّون بهذا قريش خاصّةً.

فلمّا بعث اللّه عزّوجلّ رسوله صلّى الله عليه وآله انكرذلك عليهم و قال: هذا شرك فأنزل اللّه تعالى: ضرب لكم مثلًا من انفسكم هل لكم ممّا ملكت ايمانكم من شركاء فيمارزقنا كم فانتم فيه سواءٌ اى ترضون انتم فيما تملكون ان يكون لكم فيه شريك و اذا لم ترضوا انتم ان يكون لكم فيما تملكون شريكٌ فكيف ترضون ان تجعلوا لى شريكاً فيما املك؟

[بَلِ اتَّبَعَ الَّذينَ ظَلَمُوا] و هذا اضراب عن مقدّرٍ كأنّه قيل: هل لهم برهان مع وضوح بطلان الاشراك؟

فقال: ليس لهم برهان بل اتّبع الّذين ظلموا انفسهم بالاشراك باللّه ما لم يأذن به اللّه، و وضع الظّاهر موضع المضمر ذمّاً لهم بذلك [اَهْواءَ هُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدى مَنْ اَضَلَّ اللّهُ] يعنى فأضلّهم اللّه بالخذلان و لا يهدى من اضلّه اللّه.

[وَ ماٰلَهُمْ مِنْ نٰاصِرِينَ] ينصرونهم من عذاب اللّه [فَأَقِمْ] اى اذالكم تكن تهدى من اضلّ اللّه و لم تكن تنصرهم فلاتحزن عليهم و انصرف عن الاهتمام بالخلق و اقم عن الانحراف لهم [وَ جْهَلكَ لِلدّينِ] اى الطّريق الى اللّه.

[حَنِيفًا] ظاهراً او خالصاً و هو حال عن الوجه، او عن المضاف اليه الوجه، او عن الدّين و المراد بالدّين هو الطّريق الى اللّه التّكوينىّ و هو الو لاية التّكوينيّة او الطّريق الى اللّه التّكليفىّ و هو الو لاية التّكليفيّة و قد فسّر اقامة الوجه للدّين باقامته فى الصّلوة جانب القبلة من غير التفاتٍ الى اليمين و الّشمال و بالو لاية.

[فِطْرَةَ اللّٰهِ] منصوب على الاغراء او على المدح او بتقديرخذ، او مصدر لفعلٍ محذوفٍ دلّ عليه المذكور بعده، و الفطرة هى الخلقة الّتى خلق النّاس بل جميع الموجودات عليها و هى الولاية السّارية فى كلّ الموجودات تكويناً المطابق لها الولاية التّكليفيّة الّتى كلّف بها جميع الاناسىّ.

[الَّتِى فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا] و التّفاسير المختلفة الّتى وردت عن المعصومين عليهم السلام فى الأية راجعة الى ماذكرنا.

[لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللّٰهِ] فلاتحزن على ما قالوا فى وصيّك و منعه عن مقامه فانّه لا يقدر احدٌ على تبديل الولاية التّكوينيّة و التّكليفيّة.

[ذٰلِكَ] المذكور من اقامة الوجه للدّين او ذلك الدّين الحنيف او الولاية التّكليفيّة هو [الدِّينُ الْقَيِّمُ] لا غير.

[وَ لٰكِنَّ اَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ] انّ الدّين القيّم هو الولاية الّتى هى الطّريق الى اللّه فلذلك تمسّكوا بصورة الاسلام و توقّفوا عليها و اهتمّوا بها و اعرضوا عن الولاية الّتى هى الدّين حقيقة، و صورة الاسلام ليست الّا هداية اليها.

[مُنِيبِينَ اِلَيْهِ] الى هذا الدّين الّذى هو الطّريق من القلب الى اللّه فانّهم على الاستمرار فى الانابة من الكثرات اليه بصنع اللّه الّذى اتقن كلّ شيءٍ.

فانّهم على الدّوام فى الزّكوة الّتى هى تصرّم الفعليّات النّاقصة و بذلها

تکویناً و الصّلوة الّتی هی التّلبّس بالفعلیّات الکاملة الّتی هی الانابة الی القلب و طریقه، او منیبین الی اللّه.

فانّ الانابة الی طریق القلب و الانابة الی القلب شیءٍ واحد و التّفاوت اعتباریّ و هو حال من فاعل اقم بضمیمة الامّة الی الرّسول ﷺ او من النّاس.

[وَ اتَّقُوهُ] ای الدّین اللّه [وَاَقِيمُوا الصَّلٰوةَ] قدمضی معنی الصّلوة و اقامتها فی اوّل البقرة.

[وَ لٰا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ] باللّه فی الوجب او فی العبادة او فی الطّاعة او فی الدّین او فی اقامة الصّلوة.

[مِنَ الَّذينَ فَرَّقُوا دينَهُمْ] ای طریق توجّههم اوطاعتهم او صلوتهم او ولایتهم بان اتّخذ کلّ منهم طریقاً او طاعةً او صلوة غیر ما للآخر، فاختلف کلّ مع الاٰخر.

او فرّق کلّ دینه بان جعل لنفسه طرقاً عدیدةً او طاعاتٍ عدیدة [الی الاٰخر]، او فرّق کلّ دینه علی اهویة عدیدة کرجل متشا کسٍ فیه رجال.

و قریٔ فارقوادینهم ای طریقهم الانسانیّ الّذی فطرهم اللّه علیه و هو الولایة التّکوینیّة او فارقوا ولایتهم التّکلیفیّة بعدم العمل بما وصل الیهم من ولیّ امرهم.

او فارقوا علیّاً علیه‌السلام و قد سبق فی ءاخر سورة الانعام بیانٌ تامّ لهذه الاٰیة.

[وَكٰانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمٰا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ] الجملة حالیّة او صفة لشیعاً، او مستأنفة لبیان حالهم، او التّعلیل لتفرّقهم.

اعلم، انّ الانسان لمّا کان فطریّ التّعلّق؛ فان تنبّه و علم انّ کمالاته الانسانیّة غیر حاصلة له و انّ ما هو الحاصل له لیس کمالاً کاملاً له، بل له کمالات مفقودة غیر متناهیة فان افتقد ما فقده و لم‌یکن المفتقد الّا السّالك الی

اللّه بقدم الصّدق لم یکن فرحاً بما عنده بل کان منزجراً مدبراً عنه، و من لم یکن مفتقداً لما فقده لم یکن له تعلّق الّا بما کان حاصلاً له من الکمالات الصّوریّة من العلوم و العقائد و الصّفات و الاخلاق و المکاشفات و الاموال و الاولاد فکان کلّ حزبٍ بما لدیهم فرحون حتّی الکنّاس بکماله فی کنسه، و السّاحر فی سحره، و التّاجر فی تجارته، و العالم فی علمه، و العابد فی عبادته، و الزّاهد فی زهده، و العارف فی عرفانه.

[وَ اِذٰا مَسَّ النّٰاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنیبینَ اِلَیْهِ] لما یرتفع حینئذٍ حجاب النّفس و مانع الرّجوع و السّلوك الی اللّه.

[ثُمَّ اِذٰا اَذٰاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً] نعمةً بعد الخلاص من ذلك الضّرّ [اِذٰا فَریقٌ مِنْهُمْ] لا کلّهم لانّ بعضهم لا یغلب علیهم الواهمة و لا تمنعهم من شکر النّعمة کما کانوا حال الضّرّ لا یمنعهم الواهمة عن الالتجاء و دعاء کشف الضّرّ.

[بِرَبِّهِمْ یُشْرِکُونَ] بربّهم المطلق یسوّون الاصنام و الکواکب و الاهویة، او بربّهم المضاف یسوّون غیر ولیّ امرهم [لِیَکْفُرُوا] ای بحصول کفرانهم، او اللّام للغایة و لیست داخلة علی العلّة الغائیة یعنی فیحصل لهم بعد الاشراك الکفران.

[بِمٰا اٰتَیْنٰاهُمْ] من کشف الضّرّ و النّعمة [فَتَمَتَّعُوا] التفات للمبالغة فی التّهدید.

[فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ] انّ اشراککم او تمتّعکم کان و بالاً علیکم [اَمْ اَنْزَلْنٰا] بل ءانزلنا [عَلَیْهِمْ سُلْطٰاناً] حجّة او ذا سلطنةٍ من الملائکة.

[فَهُوَ یَتَکَلَّمُ بِمٰا کٰانُوا بِهِ یُشْرِکُونَ] لفظة ما موصولة او مصدریة و المعنی فهو یتکلّم بالاشراك الّذی کانوا یشرکون، او بکونهم باللّه

يشركون، او بكونهم بعلىّ عليه السلام يشركون فى الولاية و هذا هو المنظور.

[وَ اِذٰااَذَقْنَاالنّٰاسَ رَحْمَةً] نعمة وسعة فى المال و الاولاد او صحّة فى الجسم و الاولاد [فَرِحُوابِهٰا] لتلّقهم بما عندهم من النّفس و قُواها و ملائماتها.

[وَ اِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمٰا قَدَّمَتْ اَيْدِيهِمْ اِذٰاهُمْ يَقْنَطُونَ] من رحمة اللّه [اَوَلَمْ يَرَوْا اَنَّ اللّٰهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشٰاءُ وَ يَقْدِرُ] حتّى يشكروا فى السّرّاء و يسألوا فى الضّرّاء و لا يفرحوا بالموجود و لا ييأسوا حين فقدانه.

[اِنَّ فِى ذٰلِكَ] اى فى اختصاص البسط و التّقدير باللّه تعالى الّذى من شأنه ان يراه كلّ راء لظهور ءاثاره من حيث انّه يرى انّ صاحبى الحيل الدّقيقة فى تحصيل المعيشة محرومون عن السّعة فى المعيشة و صاحبى البلاهة و البلادة مرزوقون سعة المعيشة.

[لَاٰيٰاتٍ] عديدة دالّة على علمه تعالى و عنايته بخلقه و تدبيره و عجزهم عن تحصيل ما ارادوا و تسخّرهم لغيرهم [لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ] بالبيعة الخاصّة فانّه بهذا الايمان يفتح باب القلب و بفتحه يدرك من الاٰيات حيثيّة كونها ءاياتٍ.

[فَاٰتِ ذَاالْقُرْبىٰ حَقَّهُ وَابْنَ السَّبِيلِ] يعنى اذا كان البسط و التّقدير بيده تعالى فلا تبخل بما فى يدك و ءاتِ كلّ ذى حقّ حقّة و قد مضى الاٰية مع تفصيلٍ فى تفسيرها فى اوّل سورة بنى اسرائيل.

[ذٰلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللّٰهِ] يعنى اعطاء الحقّ لذى الحقّ و منه اعطاء الامامة لعلىّ عليه السلام و اعطاء السّعة فى الصّدر و القلب لمستحقّيها خير للسّالكين الى اللّه و الطّالبين لوجهه الّذى هو ملكوت ولىّ امرهم، و ان كان

شرّاًللمنافقين الّذين رضوا بالحيوة الدّنيا و اطمأنّوابها.

[وَ اُولٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ] فانّ الفلاح منحصر فى البائعين بالبيعة الخاصّة السّالكين الى اللّه تعالى الطّالبين لظهور ملكوت ولىّ امرهم.

[وَ مٰاآتَيْتُمْ] هذا خبر فى معنى النّهى و لذلك حسن عطفه على الامر.

و لمّاكان النّبىّ ﷺ اصلاً فى الخطاب الاوّل بل كان اصل الحقوق الخلافة و كان اعطاؤه منحصراً فيه ﷺ خصّه هناك بالخطاب، و لمّا كان المنظور من الحكم الثّانى امّته جمعهم معه بالخطاب او صرف الخطاب عنه ﷺ اليهم.

[مِنْ رِباً] ما من شأنه ان يردّ مع الزّيادة من قرضٍ او هديّةٍ لقصد العوض، و خصّ هذا فى الاخبار بالهديّة الّتى يتوقّع المكافاة عليها بأزيد منها.

فانّه ورد عن الصّادق عليه السلام قال: الرّبا رباءان؛ رباً يؤكل وربا ً لا يؤكل فهديّتك الى الرّجل لتصيب منه الثّواب افضل منها فذلك الرّبا الّذى يؤكل و هو قول اللّه عزّوجلّ و ماءاتيتم من رباً (الآية) و امّا الّذى لا يؤكل فهو الّذى نهى اللّه عنه و اوعد عليه النّار.

و عن الباقر عليه السلام هو ان يعطى الرّجل العطيّة او يهدى الهديّة ليثاب اكثر منها فليس فيه اجر و لا وزر، و قرىء: اتيتم بالقصر بمعنى ماجئتم اليه لا عطائه من رباً.

[لِيَرْبُوا] قرىء بالياء التّحتانيّة مفرداً من الثّلاثىّ المجرّد، و بالتّاء الفوقانيّه جمعاً من باب الافعال.

[فِى اَمْوٰالِ النّٰاسِ فَلاٰ يَرْبُوَ عِنْدَاللّٰهِ وَ مٰا آتَيْتُمْ مِنْ زَكٰوةٍ] اى هديّةٍ او صدقةٍ اوقرضٍ [تُرِيدُونَ وَجْهَ اللّٰهِ] قد مضى قبيل هذا انّ المراد بوجه اللّه هو ملكوت ولىّ الامر.

[فَاُولٰئِكَ] التفات من الخطاب الى الغيبة تفخيماً لهم بالاتيان باسم

الاشارة البعيدة.

[هُمُ الْمُضْعِفُونَ] يعنى انّه يربو عنداللّه و يربو فى الدّنيا، فعدل عن يربو عنداللّه للاشارة الى الزّيادة فى الدّنيا و فى الاٰخرة.

عن اميرالمؤمنين عليه السلام: فرض اللّه الصّلوة تنزيهاً عن الكبر، و الزّكوة تسبيباً للرّزق.

و عن الصّادق عليه السلام: على باب الجنّة مكتوب: القرض بثمانية عشر، و الصّدقة بعشرة، و لا اختصاص للرّبا بالمال و لا للزّكوة بل يجريان فى الاعمال و العرض و الجاه و القوى و قوّتها.

[اللّٰهُ الَّذِى خَلَقَكُمْ] جملة منقطعة عن سابقها [ثُمَّ رَزَقَكُمْ] فما لكم تبخلون.

[ثُمَّ يُمِيتُكُمْ] فما لكم تجمعون و تدّخرون [ثُمَّ يُحْيِيكُمْ] فما لكم لا تدّخرون لحيوتكم الباقية بالاعطاء من الفانيات و الارباء عنداللّه.

[هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذٰلِكُمْ مِنْ شَىْءٍ] الزام لهم على الاقرار بعجز الشّركاء و ابطال شراكتهم.

[سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ] قرىء بالغيبة و الخطاب [ظَهَرَ الْفَسَادُ فِى الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ] الفساد ضدّ الصّلاح و هو فى كلّ شىءٍ ان يكون على ما يقتضيه طبيعته، و الفساد ان يكون خارجاً عمّا يقتضيه طبيعته.

و قد يستعمل الفساد فى اخذ المال ظلماً و فى الجدب و المراد بظهور الفساد كثرته بحيث لم من شأنه ان يكون مخفيّاً او غلبته على الصّلاح، او على العدل او على الرّخاء، و المراد بالبحر نفس البحرا و القرى الواقعة فيها و على سواحلها.

[بِمَا كَسَبَتْ اَيْدِى النَّاسِ] يعنى انّ الفساد فى الارض ليس الّا

بشوم اعمال الاناسىّ فيها سواء اريد بالفساد خروج الاشياء عن المجرى الطّبيعىّ او الظّلم و الجدب.

قال الصادق عليه السلام: حيوة دوابّ البحر بالمطر فاذا كفّ المطر ظهر الفساد فى البرّ و البحر و ذلك اذا كثرت الذّنوب و المعاصى.

و قال الباقر عليه السلام ذلك و اللّه حين قالت الانصار: منّا اميرٌ منكم اميرٌ.

[لِيُذِيقَهُمْ] اللّه او الفساد [بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا] اى جزاء بعض اعمالهم فانّ جزاء الكلّ لا يكون الّا فى الاٰخرة [لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ] عن المعاصى [قُلْ] يا محمّد صلّى اللّه عليه و آله [سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ] كانوا يعملون السّيّئات فأذاقهم اللّه بعض جزائها حتّى تعتبروا بذلك و تتيقّنوا بانّ الاعمال لا تكون بلاجزاءٍ لا فى الدّنيا و لا فى الاٰخرة، و قد سبق مكرّراً تفسير الارض بارض العالم الصّغير و العالم الكبير و ارض القرءان و الاخبار و السّير الماضية.

[كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ] يعنى انّ شركهم ابتلاهم بسوء العاقبة فى الدّنيا و الاٰخرة فانتهوا عن الشّرك و احذروا عن سوء عاقبته.

[فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ] كرّره لانّ كلّ واحد تفريع على امر و للاهتمام با قامة الوجه للدّين، و لانّ الاوّل خطاب له صلّى اللّه عليه و آله و هذا خطاب له و تعريض بامّته.

[مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ] اى لا يردّه اللّه او لا يردّه و لا يمنعه احد من تصريف اللّه [يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ] يتصدّعون اى يتفرّقون و قد مضى بيانه فى هذه السّورة عند قوله و يوم تقوم السّاعة يومئذٍ يتفرّقون.

[مَنْ كَفَرَ] بيان لتفرّقهم او بيان لعلّة تفرّقهم [فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَ مَنْ

عَمَلَ صٰالِحًا فَلِاَ نْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ] اى يسوّون منازلهم فى الجنّة و يصلحونها بأعمالهم لانفسهم لالغيرهم.

عن الصّادق عليه السلام انّه قال: العمل الصّالح ليسبق صاحبه الى الجنّة فيمهّد له كما حدكم خادمه فراشه.

[لِيَجْزِىَ الَّذِينَ اٰمَنُوا] علّة لاقم وجهك او للقيّم او ليأتى يوم او لقوله لامردّله او ليصدّعون و المراد بالايمان الايمان العامّ الحاصل بالبيعة العامّة النّبويّة و قبول الدّعوة الظّاهرة، و بالعمل الصّالح الايمان الخاصّ الحاصل بالبيعة الخاصّة الولويّة و قبول الدّعوة الباطنة، او المراد بالايمان الايمان الخاصّ الحاصل بالبيعة الولويّة و يكون قوله.

[وَ عَمِلُوا الصّٰالِحٰاتِ] اشارة الى العمل بما أخذ عليه فى عهده و بيعته [مِنْ فَضْلِهِ] يعنى لا يكون جزاؤهم بسبب عملهم فانّه لا يدخل احد الجنّة بعمله بل يكون بمحض فضله.

[اِنَّهُ لاٰيُحِبُّ الْكٰافِرِينَ] سوق العبارة كان مقتضياً ان يقول: و يجزى الّذين كفروا لكنّه عدل الى هذا اشارةً الى انّ جزاء الكافرين ليس من الغايات بالّذات انّما هى من تبعة اعمالهم و كفرهم و قد مضى مكرّراً انّ امثال هذا يستعمل فى معنى يبغضهم و ان كان بمفهومه اعمّ منه [وَ مِنْ اٰيٰاتِهِ] الجملة معطوفة على جملة اللّه الّذى خلقكم فانّه فى معنى من ءاياته ان خلقكم ثمّ رزقكم ثمّ اماتكم [الى ءاخرها).

[اَنْ يُرْسِلَ الرِّيٰاحَ مُبَشِّرٰاتٍ]يعنى ارسال الرّياح لحمل السّحاب و تحريكه الى ما اراده من الامكنة ثمّ امطار الامطار و توسعة الرّزق عليكم بها من جملة ءاياته الدّالّات على مبدءٍ عليمٍ حكيمٍ قديرٍ مريدٍ رؤفٍ رحيمٍ.

[وَ لِيُذيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ] عطف على مبشّرات فانّه فى معنى ليبشّركم به [وَ لِتَجرِىَ الْفُلْكُ بِاَمْرِهِ] اى بأمره للرّياح فأنه لولا الرّياح لما جرى الفلك على متن الماء سواء كان تلك الرّياح بامرٍ من اللّه و بصنعٍ من النّاس كالفلك الّتى تجرى بالابخرة المصنوعة.

[وَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ] بجرى الفلك فى البحر او بمطلق ما يحصل من الامطار و الرّياح [وَ لَعَلَّكُمْ] تتنبّهون بانّ تلك النّعم من اللّه و ان لا يقدر احدٌ على امثاله ف [تَشْكُرُونَ] نعمه.

[وَ لَقَدْ اَرْسَلْنٰا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا اِلٰى قَوْمِهِمْ فَجٰاؤُهُمْ بِالْبَيِّنٰاتِ] كما أرسلناك الى قومك فجئتهم بالبيّنات فكذّب الاقوام رسلهم كما كذّبك قومك.

[فَانْتَقَمْنٰا مِنَ الَّذينَ اَجْرَمُوا] من اقوام الرّسل فليحذر قومك من تكذيبك و من انتقامنا، و اصبر انت و المؤمنون على اذاهم فانّا ننصركم و ننتقم من المجرمين.

[وَ كٰانَ حَقًّا عَلَيْنٰا نَصْرُ الْمُؤْمِنينَ] و من كان حقّا على اللّه ان ينصره على عدوّه فلا يحزن من معاداة احدٍ و هو تسلية تامّة للمؤمنين و تقوية لقلوبهم و تفخيم لشأنهم من حيث انّه تعالى جعلهم ذوى حقّ عليه.

عن النّبىّ ﷺ: ما من امرءٍ مسلم يردّ عن عرض اخيه الّا كان حقاً على اللّه ان يردّ عنه نار جهنّم يوم القيامة، ثمّ قرأ: و كان حقّاً علينا نصرا المؤمنين.

و عن الصّادق عليه السلام قال: حسب المؤمن نصره ان يرى عدوّه يعمل بمعاصى اللّه.

[ٱللَّهُ ٱلَّذى يُرْسِلُ ٱلرِّيٰاحَ] جملة مستأنفة فى مقام التّعليل [فَتُثِيرُ سَحابًا فَيَبْسُطُهُۥ] اللّه [فِى ٱلسَّمآءِ كَيْفَ يَشآءُ] سائراً و

واقفاً، سريعاً و بطيئاً، غليظاً و رقيقاً، ذامطر و ثلج و بردٍ و خالياً عن ذلك [وَ يَجْعَلُهُ كِسَفًا] قطعاً متراكمة بعد بسطه او يبسطه تارةً و يجعله كسفاً اخرى.

[فَتَرَى ٱلْوَدْقَ] اى المطر [يَخْرُجُ مِنْ خِلاٰلِه فَإِذاۤ أَصابَ بِهِ مَن يَشاۤءُ مِنْ عِبادِهِۤ] يعنى بلادهم [إِذا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ] بمجيء الخصب.

[وَ إِنْ كاٰنُوا مِن قَبْلِ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ] المطر [مِنْ قَبْلِهِ] تأكيد [لَمُبْلِسِينَ] لآئسين من المطر و الخصب.

[فَانْظُرْ إِلَىٰۤ ءاثارِ رَحْمَتِ ٱللّٰهِ كَيْفَ يُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهاۤ إِنَّ ذٰلِكَ لَمُحْيِ ٱلْمَوْتىٰ وَ هُوَ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ] تعميم بعد التّخصيص للتّأكيد.

[وَ لَئِنْ أَرْسَلْنا] على الزّروع و سائر النّبات و الاشجار الّتى هى ءاثار رحمة اللّه و بها احياء الارض [رِيحًا فَرَأَوْهُ] اى اثر رحمة اللّه او السّحاب.

[مُصْفَرًّا] يعنى مصفرّ الاوراق بالرّيح الحارّ او خالياً من المطر [لَظَلُّوا مِنۢ بَعْدِهِۦ يَكْفُرُونَ] باللّه و انعامه من حيث انّهم لا يتفكّرون انّه تعالى رحيم بعباده و لا يفعل بهم ما يفعل الّا لغايةٍ راجعةٍ اليهم و انّه ليس منه الّا الرّحمة و لكن قد تصير الرّحمة فى بعض القوابل نقمة و ليست الّا من قبل القابل.

[فَ] هم ليسوا احياءً بالحيوة الانسانيّة و لا سامعين و لا مبصرين بالسّمع و البصر الانسانيّين و [إِنَّكَ لاٰ تُسْمِعُ ٱلْمَوْتىٰ] عن الحيوة الانسانيّة فلاتحزن على عدم سماعهم و لاتلومنّ نفسك فى عدم هدايتهم.

[وَ لاَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ] يعنى انّ حيوتهم حيوة حيوانيّة و انّهم صمّ عن السّماع الانسانىّ.

[إِذا وَلَّوْاْ مُدْبِرِينَ] يعنى انّ الصّمّ اذا كانوا مقبلين يمكن افهامهم بالاشارة و هؤلاء صمّ و كانوا مدبرين و لو كانوا مقبلين يفهّمهم اللّه كما قيل:

نى غلط گفتم كه گر كر سر نهد

پيش وحى كبر يا سمعش دهد

[وَ مآ أَنتَ بِهَـٰادِ ٱلْعُمْيِ عَن ضَلَـٰالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلاَّ مَنْ يُؤْمِنُ] اى يذعن او يؤمن بالبيعة العامّة او الخاصّة [بِـَٔايَـٰاتِنَا] و اعظمها الانبياء و الاولياء عليهم السلام.

و اصل الكلّ علىّ عليه السلام [فَهُمْ مُسْلِمُونَ] منقادون لك او مسلمون بالبيعة الاسلاميّة او مسلمون لوصيّك.

[ٱللَّهُ ٱلَّذى خَلَقَكُم] مستأنف فى مقام الامتنان و اظهار الأيات كأنّه قال اللّه لا غيره الّذى خلقكم [مِنْ ضَعْفٍ] و هذا من جملة ءاياته فما لكم تصرفون عنه الى غيره يعنى خلقكم من مادّةٍ ضعيفةٍ فاذا انتم اقوياء خصماء؛او جعل الضّعف بمنزلة مادّته مبالغة فى ضعف مادّته، و قرىء فى الكلّ بضمّ الضّاد و فتحها و المعنى واحدٌ.

[ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا] فى سنّ الكهولة [وَ شَيْبَةً] فى سنّ الهرم او كليهما فى سنّ الهرم.

[يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ] من ضعف و قوّةٍ و شيبةٍ و شبيبةٍ و ليس خلقه ما يشاء غير منوطٍ بحكمة فانّه لا يشاء الّا ما هو الاصلح بحال خلقه.

[وَ هُوَ ٱلْعَلِيمُ] بخلقه و ما فيه صلاحهم [ٱلْقَدِيرُ] على ما يشاء فلا يشاء الّا ما يعلم انّ فيه صلاحهم.

[وَ يَوْمَ تَقُومُ] عطف على قوله اللّه الّذى خلقكم، او حال بتقدير مبتدءٍ يعنى هذا كيفيّة خلقتهم و امتداد امدهم و يوم تقوم [ٱلسَّاعَةُ] اى القيامة الصّغرى او الكبرى.

[يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ] منهم لغاية دهشتهم و اختلال مداركهم من وحشتهم [مَا لَبِثُواْ] فى الدّنيا ان كان المراد بالّساعة ساعة الاحتضار، او فى الدّنيا و البرازخ ان كان المراد القيامة الكبرى بعد البرازخ [غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَٰلِكَ] الانصراف عن الحقّ و ممّا كان معلوماً لهم مشهوداً غير غائب.

[كَانُواْ] فى دنياهم [يُؤْفَكُونَ] عن الحقّ الّذى هو مشهود لهم من امر الرّسالة و صدق الامامة و الخلافة.

[وَ قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ] عطف على جملة كذلك كانوا يؤفكون، و الاتيان بالماضى للاشارة الى تحقّق و قوعه.

او للاشارة الى انّه قد مضى بالنّسبة الى مقام المخاطب الّذى هو محمّد ﷺ و الايمان اى الاذعان و الانقياد.

او المراد بالعلم العلم باحكام الرّسالة و قبولها فانّه كثيراً يستعمل العلم فى قبول احكام الرّسالة و العلم بها تقليداً او تحقيقاً، و بالايمان الايمان الخاصّ الحاصل بالبيعة الولويّة و قبول الدّعوة الباطنة فيكون فى معنى قوله قال الّذين اوتوا الاسلام بقبول الدّعوة الظّاهرة و الايمان بقبول الدّعوة الباطنة.

او المراد بالعلم العلم التّحقيقىّ، و بالايمان الايمان الشّهودىّ الّذين لا يجتمعان الّا فى من صار خليفة للّه.

كما عن الرّضا عليه السلام حين يصف الامامة فانّه قال: فقلّدها عليّاً عليه السلام بامر اللّه عزّ و جلّ على رسم ما فرض اللّه تعالى فصارت فى ذرّيّته الاصفياء الّذين

ءاتاهم اللّه تعالى العلم و الايمان بقوله: و قال الّذين اوتوا العلم [١].

[وَ ٱلْإِيمَـٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ] اى مكتوب اللّه و هو عالم الطّبع و عالم البرازخ و البدن الطّبيعىّ و البدن البرزخىّ فانّ الكلّ كتاب اللّه الّذى كتبه بيده.

[إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ] يعنى لبثتم من اوّل خلقتكم فى عالم الطّبع و البرازخ الى يوم القيامة الكبرى.

[فَهَـٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ] و لا يعلم امد ذلك الّا اللّه و انتم لغاية وحشتكم لم يبق لكم شعور بتلك المدّة الطّويلة.

[وَ لَـٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ] تلك المدّة و لا هذا اليوم لتحيّركم وعدم بقاء شعور لكم، و على ما بيّنا الأية لا حاجة فيها الى التّكلّفات الّتى ارتكبها المفسّرون.

[فَيَوْمَئِذٍ] هذا من جملة قول الّذين اوتوا العلم او هو من قول اللّه [لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَعْذِرَتُهُمْ وَ لَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ] اى لاهم يسترضون فانّه من العتبى بمعنى الرّضا، لا من العتب بمعنى الامر الكريه، اولاهم يلامون من العتاب بمعنى الملامة يعنى لا يلامون لا سقاطهم عن درجة الملامة.

[وَ لَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ] يتّعظ به و ينذر و يُبشّر به و لكنّهم لا يتّعظون و لا ينذرون [وَ لَئِن جِئْتَهُم] عطف او حال [بِـَٔايَةٍ لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ] ايّها الرّسول ﷺ و المؤمنون. [إِلَّا مُبْطِلُونَ] يعنى انّهم لغاية شقوتهم يزيد الامثال و الانذار فى عنادهم بحيث اذا رأوا ءاية منك دالّة على صدقك انكروها و نسبوك

---

١. الصّافى ج۴ ص١٣٧ ، عيون اخبار الرّضا عليه السلام ص١٧٢ باب ٢٠ ح١ و الكافى ج١ ص١٩٩ ح١

الى الابطال.

[كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ] اى لا يتّصفون باوّل مراتب العلم؛فانَّ من لا يتّصف باوّل مراتب العلم الّذى هو نورٌ يقذفه الله فى قلب من يشاء يكون مطبوعاً على قلبه و ان كان ملّياً بجملة المدركات الكسبيّة.

[فَاصْبِرْ]يا محمّد ﷺ على انكارهم و نسبتك الى الابطال؛او فاصبر على انكارهم لخلافة خليفتك .

[إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ]بنصرتك و اظهار دينك على الاديان او بنصرة خليفتك و احقاق حقّه [حَقٌّ] لا يتغير.

[وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ]اى لا يحملنّك على الجهل و لا يصرفنّك عمّا انت من الحقّ.

سورة لقمان

مكّيّة و قيل: سوى ثلاث ءاياتٍ و هى قوله: و لو انّ ما فى الارض (الى ءاخرهنّ) و هى ثلاث و ثلاثون ءاية او اربع و ثلاثون



[الٓمٓ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم

بِالْأٰخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ أُولٰٓئِكَ عَلىٰ هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَ أُولٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ] قد مضى اوّل البقرة و فى غيرها ما فيه غنية عن تفسير تلك الأيات.

[وَ مِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ] الاشتراء يستعمل فى المعاوضة المطلقة سواء كان العوضان من الاعيان ام غيرها، و سواء كان قريناً بصيغةٍ خاصّة ام لا.

فيصدق على بذل الاموال على الوعّاظ و القصّاص و النقّال للاسمار، و على بذل القوى و الاستعدادات و الاعمار فى الاستماع الى ما فيه حظّ النّفس و الخيال دون العقل، سواء كان المسموع من القرءان و الاخبار او من الاباطيل و الاسمار.

و لهوالحديث عبارة عمّا يشغلك عن اللّه و الأخرة من الاقوال اللّسانيّة و الافعال الاركانيّة و الاحاديث النّفسيّة سواء كان ذلك الشّاغل قرءاناً و خبراً من المعصوم و عبادةً شرعيّة او كان لغواً فى ذاته و معصيةً فانّ فى كلّ قول و فعل جهةً عقلانيّةً و جهةً شيطانيّةً.

فان كان الاستماع او الاشتغال به من جهته العقلانيّة كان ذلك حديثاً صحيحاً عقلانيّاً، و ان كان صورته صورة الاباطيل والعصيان، و ان كان الاستماع او االاشتغال به من جهته الشّيطانيّة كان ذلك لهو الحديث، و ان كان صورته صورة القرءان و الاخبار المعصوميّة، و مقصوده تعالى هنها انّ القرءان و ءاياته هدى و رحمة للمحسنين و ضلال و نقمة للمحسيئين لكنّه عدل عن ذلك تنزيهاً للقرءان عن نسبة الاضلال و النّقمة اليه و تصريحاً بانّ الضّلال و النّقمة ليس الّا من قبل انفسهم.

فانّهم بسوء استعدادهم و صنيعهم يضّلون بالقرءان الّذى هو هداية من

اللّه و يصير القرءان فى اسماعهم كالاسمار لهوالحديث.

[لِيُضِلَّ] قرىء بفتح الياء و ضمّها، و اللّام مثل اللّام فى ليكون لهم عدّواً و حزناً، او هى اللّام الدّاخلة على العلّة الغائيّة؛ فانّ من النّاس من يشتغل بالملاهى و ليس مقصوده الضّلال او الاضلال او كان مقصوده الاهتداء لكن يضلّ و يضلّ من حيث لا يشعر، و منهم من يشتغل لقصد الاضلال كمن يحصّل العلم لافساد الشّريعة.

[عَنْ سَبيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ] بالاشتراء او بغير علم بانّ الاشتراء المذكور ضلال و اضلال، او بغير علم بضلاله و اضلاله، او متّصفاً بغير علمٍ، و حينئذٍ يكون تنكير العلم للجنس او لفردٍ مّا لكن يكون مستغرقاً لوقوعه بعد غير الّذى هو فى معنى النّفى، او يكون التّنوين للتّفخيم اى بغير علم عظيم هو العلم بالولاية.

[وَ يَتَّخِذَها] اى يتّخذ سبيل اللّه الّا سبيل الولاية [هُزُوًا أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذابٌ مُهِينٌ وَ إِذا تُتْلىٰ عَلَيْهِ ءايـٰاتُنا وَلّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْها كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذابٍ أَليمٍ إِنَّ ٱلَّذينَ ءامَنُوا۟] جواب لسؤال مقدّرٍ كأنّه قيل بعد ما ذكر جزاء المسيئين: ما جزاء المحسنين؟ فقال: انّ الّذين ءامنوا بالبيعة العامّة او بالبيعة الخاصّة.

[وَ عَمِلُوا۟ ٱلصّـٰالِحـٰاتِ] على وفق ما اخذ عليهم فى بيعتهم، و وضع الظّاهر موضع المضمر للفصل بين هذا الحكم و بين ذكر المحسنين، و للاشارة الى انّ المحسن ليس الّا من ءامن و عملواالصّالحات.

[لَهُمْ لا لغيرهم [جَنّـٰتُ ٱلنَّعيمِ خـٰالِدينَ فيها وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا وَ هُوَ ٱلْعَزيزُ ٱلْحَكيمُ خَلَقَ ٱلسَّمـٰاو‌ٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَها] بيان لعزّته و حكمته.

عن الرّضا عليه السلام انّه قال: ثمّ عمد و لكن لاترونها، و قدمضى هذا فى اوّل سورة الرّعد.

[وَ أَلْقىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوٰسِىَ أَن تَمِيدَبِكُمْ] قدمضت الاٰية فى اوّل سورة النّحل.

[وَ بَثَّ فيهٰا مِن كُلِّ دٰابَّةٍ وَ أَنزَلْنا مِنَ ٱلسَّمآءِ مآءً فَأَنۢبَتْنا فيهٰا مِن كُلِّ زَوْجٍ] اى من كلّ صنفٍ فانّ كلّ صنفٍ باعتبار مادونه و مافوقه يسمّى زوجاً اوكلّ نباتٍ باعتبار كونه برّيّاً و بستانيّاً زوجٌ.

[كَرِيمٍ] الكرم فى كلّ شيءٍ بحسبه و كرم النّبات باعتبار كثرة منافعه بدأ بخلق السّموات فانّها اشرف من الارض، ثمّ بذكر خلق الارض فى ضمن القاء الرّواسىّ عليها، ثمّ بذكر خلق المواليد من الاشرف الى الاخسّ.

هٰذا] المذكور من السّموات و الارض و الجبال و المواليد [خَلْقُ ٱللّٰهِ] اى مخلوق اللّه.

[فَأَرُونى مٰاذٰا خَلَقَ ٱلَّذينَ مِن دُونِهِۦ] حتّى يكونوا مستحقّين للّشراكة معه و للعبادةلهم فانّ الّشريك لابدّوان يكون مثل الّشريك الاٰخر فى شيءٍ من صفاته [بَلِ ٱلظّٰالِمُونَ فِى ضَلٰالٍ مُبِينٍ] التفات من الخطاب الى الغيبة و وضع الظّاهر موضع المضمر توصيفاً لهم بالظّلم فى اشراكهم، و بياناً لعلّة الحكم، و لفظ بل اضراب من تعجيزهم الى التّصريح بضلالهم.

[وَلَقَدْ ءاتَيْنا لُقْمٰانَ ٱلْحِكْمَةَ] عطف على جملة خلق السّموات فانّه لمّا عدّ اصول النّعم الّتى انعم بها على عباده ذكر الّشاكر على نعمه و عدّ شكره حكمة فانّ الحكمة هى دقّة النّظر فى القوّة العلّامة و اتقان الصنّع فى القوّة العمّالة، و لم يكن الّشكر الّا من دقّة النّظر و اتقان الصّنع القلبىّ و البدنىّ.

فانّه كماسبق فى سورة البقرة عند قوله‌تعالى **فاذكرونى اذكركم واشكروالى** عبارة عن ملاحظة انعام المنعم فى النّعمة و ملاحظة حقّ المنعم فى الانعام المستلزم لتعظيم المنعم و صرف النّعمة لما خلقت لاجله و ليس هذه الملاحظة الّا دقّة النّظر و لا ذلك‌التّعظيم و الصّرف الّا اتقاق الصنّع القلبىّ و البدنىّ.

و قد ذكر فى نسبه انّه كان ابن‌باعور من اولاد ابن اخت ايّوب عليه السلام او خالته عاش حتّى ادراك داود عليه السلام.

[أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ] بملاحظة حقّه و عظمته فى كلّ ماله مدخليّة فى وجودك و بقائك‌و هو كلّ موجود فى العالم الكبير من المحسوسات و غير المشهودات، و فى العالم الصّغير من كلّ ماله مدخليّة فى وجودك او فى كمال وجودك.

و لفظة ان تفسيريّة و تفسير للحكمة فانّها كما تكون تفسيراً للمجمل المحذوف تكون تفسيراً للمجمل المذكور، او مصدريّة بتقدير الّلام، او تكون مع ما بعدها بدلاً من الحكمة.

[وَ مَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ] جمله حاليّة او معطوفة على جملة لقد ءاتينا لقمان [الأية]، او على الحكمة، او على ان اشكر على ان يكون ان مصدريّةً، و يكون و عليهما فليقدّر قبلهما مضاف حتّى تصير مفردةً و التّقدير ان اشكرللّه و مضمون من يشكر لنفسه، او عطف على اشكر سواء جعلت ان تفسيريّة او مصدريّة لكن بتقدير القول و التّقدير ان اشكر للّه و قل لغيرك: من يشكر فانّما يشكر لنفسه لانّ نفعه عائد اليه.

[وَ مَنْ كَفَرَ] كفران‌النّعم بترك ملاحظة المنعم و تعظيمه فى‌النّعمة و ترك صرفها فى وجهها لا يضرّاللّه شيئاً.

[فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ] عن حمدالحامدين و شكرالشّاكرين **[حَمِيدٌ]**

بنفسه حمد ام لم يحمد.

و فی خبرٍ شكر كلّ نعمة و ان عظمت ان يحمد اللّه عزّوجلّ عليها و فی خبرٍ: و ان كان فيما انعم عليه حقّ ادّاه. و فی خبرٍ: من انعم اللّه عليه بنعمةٍ فعرفها بقلبه فقد أدّى شكرها، و فی خبرٍ اوحی اللّه عزّوجلّ الی موسی عليه السلام: يا موسی اشكرنی حقّ شكری فقال: يا ربّ و كيف اشكرك حقّ شكرك و ليس من شكرٍ اشكرك به الّا و انت انعمت به علیّ؟ـ قال: يا موسی الأن شكرتنی حين علمت انّ ذلك منیّ.

شرح فی احوال لقمان

و عن الصّادق عليه السلام انّه سئل عن لقمان و حكمته الّتی ذكره اللّه عزّوجلّ فقال: اما و اللّه ما اوتی لقمان الحكمة بحسبٍ و لامال و لااهل و لابسطٍ فی جسمٍ و لاجمالٍ.

و لكنّه كان رجلاً قويّاً فی امراللّه مستودعاً فی اللّه ساكتاً سكّيتاً عميق النّظر طويل الفكر حديد النّظر مستغن بالعبر لم ينم نهاراً قطّ و لم يره احد من النّاس على بولٍ و لاغائطٍ و لااغتسالٍ لشدّة تستّره و عمق نظره و تحفّظه فی امره و لم يضحك من شیءٍ قطّ، و لم يفرح بشیءٍ اتاه من امر الدّنيا و لاحزن منها على شيیءٍ قطّ، و قد نكح من النّساء و ولد له الاولاد الكثير و قدّم اكثرهم افراطاً فما بكی علی موت احدٍ منهم.

و لم يمرّ برجلين يختصمان او يقتتلان الّا اصلح بينهما، و لم يمض عنهما حتّی تحابّا [او تحاجزا] و لم يسمع قولاً قطّ من احدٍ استحسنه الّا سأل عن تفسيره و عمّن اخذه فكان يكثر مجالسة الفقهاء و الحكماء و كان يغشی القضاة و الملوك و السّلاطين فيرثی للقضاة ممّا ابتلوا به، و يرحم الملوك و

السّلاطين لغرّتهم و طمأنينتهم فی ذلك، و يعتبر و يتعلّم ما يغلب به نفسه و يجاهد به هواه و يحترز به من الشّيطان، و كان يداوی قلبه بالتّفكّر و العبر و كان لا يظعن الّا فيما ينفعه، فبذلك اوتی الحكمة و منح العصمة و انّ اللّه تبارك و تعالی امر طوائف من الملائكة حين انتصف النّهار و هدأت العيون بالقائلة فنادوا لقمان حيث يسمع و لا يراهم.

فقالوا: يا لقمان هل لك ان يجعلك اللّه خليفةً فی الارض تحكم بين النّاس ؟

فقال لقمان: ان امرنی ربّی بذلك فالسّمع و الطّاعة لانّه ان فعل بی ذلك اعاننی عليه و علّمنی و عصمنی، و ان هو خيّرنی قبلت العافية. فقالت الملائكة: يا لقمان لم قلت ذلك؟

قال: لانّ الحكم بين النّاس باشدّ المنازل من الدّين و اكثر فتناً و بلاءً و ما يخذل و لا يعان و يغشاه الظّلم من كلّ مكانٍ و صاحبه منه بين امرين، ان اصحاب فيه الحقّ فبالحریّ ان يسلم، و ان اخطأ أخطأ طريق الجنّة، و من يكن فی الدّنيا ذليلاً ضعيفاً كان اهون عليه فی المعاد من ان يكون فيه حكماً سريّاً شريفاً، و من اختار الدّنيا علی الاٰخرة يخسرهما كلتيهما تزول هذه و لا يدرك تلك، قال: فعجبت الملائكة من حكمته و استحسن الرّحمن منطقه.

فلمّا امسی و اخذ مضجعه من اللّيل انزل اللّه عليه الحكمة فغشّاه بها من قرنه الی قدمه و هو نائم و غطّاه بالحكمة غطاءً فاستيقظ و هو احكم النّاس فی زمانه، و خرج علی النّاس ينطق بالحكمة و يبثّها فيهم قال: فلمّا اوتی الحكم بالخلافة و لم يقبلها امر اللّه عزّ و جلّ الملائكة فنادت داود عليه السلام بالخلافة فقبلها و لم يشترط فيها بشرط لقمان عليه السلام فأعطاه اللّه عزّ و جلّ الخلافة فی الارض و ابتلی فيها غير مرّة كلّ ذلك يهوی فی الخطاء و يقيله اللّه تعالی و

يغفرله، و كان لقمان يكثر زيارة داود عليه السلام و يعظه بمواعظه و حكمته و فضل علمه، و كان داود يقول له: طوبى لك يا لقمان اوتيت الحكمة و صرفت عنك البليّة، و اعطى داود الخلافة و ابتلى بالحكم و الفتنة، و لمّا كان الحكمة لاتحصل الّا بمعرفة امام الزّمان.

فسّرها الصّادق عليه السلام بمعرفة امام زمانه، و لمّا كانت لاتحصل بحسب جزءها العلميّ الّا بالفهم و العقل.

فسّرها الكاظم عليه السلام بالفهم و العقل، و قدذكر من حكم لقمان و وصاياه لابنه و غيره في المفصّلات من اراد فليرجع اليها.

[وَ إِذْ قَالَ] عطف على قوله تعالى لقد ءاتينا فانّه في معنى اذكر اذا ءاتينا لقمان الحكمة و اذ قال:

[لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَ هُوَ يَعِظُهُ يَـٰبُنَيَّ لاَ تُشْرِكْ بِاللَّهِ] قدّم من مواعظه و ءاثار حكمة النّهى عن الاشراك لانّ التّوحيد اصل جملة المواعظ و اساس جميع انواع الحكم.

[إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ] لانّه لا يغفره اللّه و يغفر مادون ذلك فانّ ظلم العبد لنفسه بتقصيره في حقوق اللّه يغفره اللّه، و ظلمه لغيره في ماله او بدنه او عرضه لا يدعه اللّه لكن ليس لا يغفر اللّه فانّه بعد المقاصّة مغفور بخلاف الشّرك.

فانّه ناشٍ من انانيّة النّفس و مادام للنّفس انانيّة لا يغفرها اللّه، فاعظم اقسام الظّام هذا القسم.

[وَ وَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ] يعني وصّيناه بالاحسان اليهما فانّ هذه العبارة مستعملة في هذا المعنى و قدمضى في سورة النّساء عند قوله و بالوالدين احساناً بيان الوالدين و الاحسان اليهما و اقسامهما.

[حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا] حمل ضعف او واهنة [عَلىٰ وَهْنٍ] فانّه كلّما يمضى من زمان حمل الولد يحصل و هن ءاخر.

[وَ فِصَـٰلُهُۥ فِي عَامَيْنِ] اى فى النقضاء عامين على الاغلب و على ماينبغى ان يفطم و الجملتان معترضتان جواب لسؤلٍ مقدّرٍ فى مقام التّعيل كما انّ مجموع قوله تعالى و وصّينا الانسان [الى قوله] يـا بـنىّ انّهـا ان تك [الأية].

كان معترضاً للاشعار بالاهتمام بامر التّوحيد كما مضى فى السّورتين انّه تعالى لكمال الاهتمام بامر الوالدين قرنهما بتوحيده و بالنّهى عن اشراكه فى عدّة مواضع.

[أَنِ ٱشْكُرْ لِي] ان تفسيريّة او مصدريّة و بدل مع ما بعدها عـن الوالدين بدل الاشتمال [وَ لِوَٰلِدَيْكَ] و لكمال الاهتمام بالوالدين ذكر شكر الوالدين قريناً لشكره.

[إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ] فى مقام التّعليل و لم يقل اشكرلى و اشكر لوالديك لئلايتوهّم انّ شكر الوالدين امر مغاير لشكر اللّه بل شكر اللّه ليس الّا الوالدين.

كما عن الرّضاؑ فانّه قال امر بالشّكر له و للوالدين فمن لم يشكـر والديه لم يشكر اللّه اقول: و ليس ذلك الّا من جهة كون شكر اللّه مندرجاً فى شكر الوالدين.

[وَإِنْ جَـٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا] لمّا كان الوالدان التّكوينيّان كما مضى فى سورة البقرة والنّساء بحسب كلّ مرتبة من مراتب وجود الانسان و كلّ شأنٍ من شؤنه غير الوالدين بحسب المرتبة الاخرى و الشّأن الأخر و هكذا بحسب التّكليف و الاختيار كان الشّيطان و النّفس والديه.

كما انّ العقل و النّفس و محمّداً ﷺ و عليّاً عليه‌السلام كانا والديه، فكما يجوزان يكون المراد بالوالدين الوالدين الجسمانيّين يجوزان يراد بهما الوالدان الرّوحانيّان.

و كما يجوزان يراد الوالدان التّكوينيّان يجوز ان يراد التّكليفيّان و الرّوحانيّان، و بالضّمير فى قوله و ان جاهداك الجسمانيّان او الرّوحانيّان اللّذان هما والداه بحسب مقام جهله تكويناً او تكليفاً بطريق الاستخدام.

و قد ورد اخبار كثيرة دالّة على انّ محمّداً ﷺ و عليّاً عليه‌السلام افضل اباء هذه الامّة و انّ حقّهما اعظم من حقّ ابائهم الجسمانيّين.

و انّ من ارضاهما ارضى اللّه والديه الجسمانيّين.

فعن جعفر بن محمّد عليه‌السلام: من رعى حقّ ابويه الافضل محمّدٍ ﷺ و عليٍّ عليه‌السلام لم يضرّه ما ضاع من حقّ ابوى نفسه و سائر عباد اللّه فانّهما يرضيانهما بشفاعتهما، و عن على بن محمّدٍ عليه‌السلام: من لم يكن والدا دينه محمّد ﷺ و عليّ عليه‌السلام اكرم عليه من والدى نسبه فليس من اللّه فى حلٍّ و لا حرامٍ و لا قليلٍ ولا كثيرٍ.

و عن اميرالمؤمنين عليه‌السلام انّه قال: الوالدان اللّذان اوجب اللّه لهما الشّكر هما اللّذان و لّدا العلم و ورّثا الحكم، و امر النّاس بطاعتهما ثمّ قال: الّى المصير فمصير العباد الى اللّه و الدّليل على ذلك الوالدان ثمّ عطف على ابن حنتمة و صاحبه فقال فى الخاصّ و العامّ.

و ان جاهداك ان تشرك بى يقول فى الوصيّة و تعدل عمّن امرت بطاعته فلاتطعهما و لاتسمع قولهما، ثمّ عطف القول على الوالدين فقال: و صاحبهما فى الدّنيا معروفاً يقول عرّف النّاس فضلهما و ادع الى سبيلهما و ذلك قوله و اتّبع سبيل من اناب الىّ ثمّ الىّ مرجعكم قال الى اللّه ثمّ الينا فاتّقوا اللّه و لاتعصوا

الوالدين فانّ رضاهما رضا اللّه و سخطهما سخط اللّه.

و قد ورد اخبار كثيرة فى حفظ حقّ الوالدين الجسمانيّين ايضاً و طاعتهما و التّرحّم عليهما و الدّعا، لهما و ان كانالايعرفان الحقّ.

روى انّه جاء رجل الى النّبىّ صلى الله عليه وآله فقال: اوصنى، فقال صلى الله عليه وآله: لاتشرك باللّه شيئاً و ان حُرقت بالنّار الّا و قلبك مطمئنّ بالايمان و والديك فأطعهما و برّهما حيّين كانا او ميّتين و ان امراك ان تخرج من اهلك و مالك فافعل فانّ ذلك من الايمان.

و عن الصّادق عليه السلام: برّ الوالدين واجب و ان كانا مشركين و لاطاعة لهما فى معصية الخالق ولالغيرهما فانّه لا طاعة لمخلوقٍ فى معصية الخالق.

[وَ صَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيا مَعْرُوفًا] صحاباً معروفاً يعرفه العقلاء بالحسن، و المعروف بالنّسبة الى انواع الوالدين يختلف .

فانّ المعروف بالنّسبة الى محمّدٍ صلى الله عليه وآله و علىّ عليه السلام ان لا تخالف قولهما لا فى الظّاهر و لا فى الباطن و ان تطيعهما فى كلّ ما امراك به، و ان تحبّهما و تبايع معهما، و ترابط معهما المراطبة القلبيّة بان تكون متوجّهاً اليهما و متذكّراً لهما و مصوّراً لصورتهما فى كلّ حالٍ، و المعروف بالنّسبة الى و الديك الجسمانيّين لا يخفى على احدٍ.

[وَ ٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنابَ إِلَيَّ] يعنى لايكون صحابتك المعروفة مخرجة لك من طريق الولاية و صارفة لك من توجّهك الى طريق قلبك.

فانّ الاهتمام بشأن الوالدين ليس الّا لسلامة البقاء على طريق القلب و طريق الولاية فلايكن اهتمامك بالوالدين مخرجاً لك عن الولاية.

[ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمٰا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ يٰا بُنَيَّ إِنَّهآ إِنْ تَكُ مِثْقٰالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ] ضمير انّها للقصّة او للاشراك و التّأنيث

باعتبار الخبر الّذى هو مثقال حبّةٍ فانّ المثقال بصحّة سقوطه يكسب التّأنيث من المضاف اليه، او باعتبار الخصلة كأنّه قال: انّ خصلة الاشراك.

و قيل: انّ الضّمير للعمل سيّئة كان او حسنةً باعتبار الخصلة، و قرىء مثقال بالرّفع بجعل الضّمير للقصّة و كون كان تامّة.

[فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ] يعنى تكن فى جوف اصلب الاشياء [أَوْ فِي ٱلسَّمَاوَاتِ] يعنى فى ابعد الاماكن [أَوْ فِي ٱلْأَرْضِ] اى فى اقرب الاماكن اليكم.

[يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ] يحضرها و يحاسب عليها، قيل: انّ ابن لقمان سئل فقال: أرأيت الحبّة تكون فى مقل البحر ايعلمها اللّه؟ ـ فقال: انّها اى الحبّة الّتى سألتها ان تك مثقال حبّةٍ من خردلٍ يأتيك بها اللّه.

[إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ] فى علمه و عمله فيعلم مثقال حبّة من خردلٍ و ان كانت فى اخفى الاماكن و اصلبها او ابعدها او اقربها و يقدر على الاتيان بها من تلك الاماكن لدقّته فى عمله [خَبِيرٌ] و يجوز ان يكون المراد باللّطيف لطفه فى عمله، و بالخبير لطفه فى عمله.

و عن الصّادق عليه السلام: اتّقوا المحقّرات من الذّنوب فانّ لها طالباً لا يقولنّ احدكم اذنب و استغفر اللّه انّ اللّه يقول: ان تك مثقال حبّةٍ من خردلٍ [الاية].

[يَا بُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَاةَ] قدمضى فى اوّل البقرة و فى سورة النّساء عند قوله لا تقربوا الّصلوة و انتم سكارى بيان تامّ لاقسام الصّلوة و اقامتها.

[وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ] قدمضى فى سورة البقرة عند قوله اتأمرون النّاس بالبرّ و تنسون انفسكم بيان للامر بالمعروف و النّهى عن المنكر.

[وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ] من البلايا او المشقّة و الاذى فى

الامر بالمعروف و النهى عن المنكر.

[إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ] ممّا ينبغى ان يعزم عليه لكونه فرضاً تكوينيّاً للنّفس الانسانيّة و للاهتمام بهذه الامور اتى بقوله: انّ ذلك من عزم الامور بين المتعاطفات.

[وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ] لاتمل خدّك عنهم فى المعاشرة معهم و لاتعرض عمّن يكلّمك استخفافاً به، و قيل: المعنى لاتذلّ للنّاس طمعاً فيما عندهم.

[وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا] المرح شدّة الفرح اى تكبّر عنهم فرحاً بما عندك.

[إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ] الاختيال و الفخر متقار بالمفهوم فانّهما خصلتان ناشئتان من ملاحظة النّفس و انانيّتها و الفرح بها، و ملاحظة الغير و تحقيرة فى جنب نفسه لكن الاختيال ملاحظة النّفس غالبة، و فى الفخر ملاحظة الغير و تحقيرة غالبة.

[وَٱقْصِدْ فِي مَشْيِكَ] يعنى عن الاسراع فانّ المقصود التّوسّط بين الاختيال الظّاهر بالتّأنّى فى المشى و بين خفّة النّفس و عدم و قارها الظّاهر بالاسراع فى المشى.

[وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ] اى انقص من صوتك و لاترفعه قدر ما يمكن لك رفعه فالمقصود التّوسّط بين الخفض بحيث لا يسمعه من اردت اسماعه و لايزيد على قدر اسماعه.

[إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ] اشدّها زجراً [لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ].

عن الصّادق عليه السلام انّه قال: هى العطسة القبيحة و الرّجل يرفع صوته بالحديث رفعاً قبيحاً الّا ان يكون داعياً و يقرأ القرءان و قد اقتصر تعالى شأنه من حكاية مواعظه على ما هو اصل الدّين و هى الاشراك باللّه او الاشراك

بالنّبوّة او الولاية و على ما هو اصل اصول الاعمال الّشرعيّة من اقامة الصّلوة و الامربالمعروف و النّهى عن المنكر و الصّبر عليها او على البلايا.

لكنّ المقصود الصّبر على الصّلوة و ما بعدها حتّى يمكن عدّه من جانب الاعمال الّشرعيّة القالبيّة لانّ الصّبر على البلايا معدود من الاخلاق النّفسيّة و على ما هو اصل اصول ءاداب المعاشرة وقدذكرنا قبيل هذا انّ ما نقل من مواعظه كثيرة من اراد فليرجع الى المفصّلات.

[أَلَمْ تَرَوْاْ] جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ ناش من قوله لقد ءاتينا لقمان الحكمة.

كأنّه قيل: لقد ءاتيت لقمان الحكمة فما لنا لم نؤت الحكمة؟ـ فقال تعالى: قد ءاتيناكم اسباب حصول الحكمة فيكم من مداركم الظّاهرة و مداركم الباطنة و تسخير جميع ما فى السّموات و جميع ما فى الارض لكم بحيث يمكن لكم الاستدلال بها على مبدءٍ عليمٍ قديرٍ حكيمٍ رؤفٍ لطيفٍ فى علمه و عمله متقنٍ لصنعه، و على انّ الانسان اشرف الموجودات.

و انّ الكلّ مخلوق لاجل بقائه و انتفاعه، و ان ليس المقصود منه هذه الدّار الفانية و الّاكان مثل سائر المواليد موجوداً لاجل غيره، و انّه ينبغى له ان يتوقّف على تعيّش هذا العالم بل لا بدّان يجعل تعيّشه فى الدّنيا مقدّمة للآخرة.

و انّ كلّ ما لم يكن مقدّمة للآخرة من جهات هذا العالم فهوفانٍ غير باقٍ لا ينبغى للعاقل ان يتوسّل به و يتقّف عليه و ليس الحكمة الّا هذا فان و لم تتّصفوا بها كان من قبلكم.

[إِنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ] من الكواكب و الملائكة الموكّلة بالّسماوات و كواكبها بحيث لم يتوانوا ءاناً ما من تحريك الاجسام الّتى بها وبتحريكها يتولّد المواليد و تبق.

[وَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ] من الدّوابّ و النّبات و المعادن بحيث لا يتأبّى من تصرّفكم باىّ تصرّفٍ شئتم فما فى السّموات مسخّر للّه لاجل انتفاعكم و ما فى الارض مسخّر للّه و لكم انتفاعكم.

[وَ أَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَ بَاطِنَةً] النّعم الظّاهرة كلّ ملائمٍ لك له تعلّق بظاهرك المحسوس من المأكول و المشروب و الملبوس و المسكن و المركوب و المنكوح و العزّ و العرض و الحشمة و الصّيت و المدارك الظّاهرة و الاعضاء و غير ذلك.

و أشرف الكلّ ما له تعلّق بظاهرك و مع ذلك يكون جالباً للنّعم الباقية الاخرويّة من الرّسول و رسالته و قبول رسالته بالبيعة العامّة و الدّعوة الظّاهرة و احكام رسالته و العمل بها، و النّعم الباطنة ما له تعلّق بباطنك من المدارك الباطنة و الادراكات الدّقيقة بالتّفكّرات الدّقيقة و النّفس و القلب و العقل و الاستعداد للخروج من هذه الدّار، و اشرف الكلّ الولىّ عليه السلام و ولايته و قبول ولايته بالبيعة الخاصّة الولويّة و قبول الدّعوة الباطنة و احكام الولاية، و قد اشير الى ذلك فى الاخبار.

فعن الباقر عليه السلام امّا النّعمة الظّاهرة فالنّبىّ صلى الله عليه و آله و ما جاء به من معرفة اللّه و توحيده و امّا النّعمة الباطنة فولايتنا اهل البيت عليهم السلام و عقد مودّتنا.

و عن الكاظم عليه السلام: النّعمة الظّاهرة الامام الظّاهرة و الباطنة الامام الغائب، و كأنّه كان اشارة الى الفكر المصطلح للصّوفيّة من ظهور ملكوت ولىّ الامر على صدر السّالك.

[وَ مِنَ ٱلنَّاسِ مَنْ يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَ لَا هُدًى وَ لَا كِتَٰبٍ مُنِيرٍ] قدمضى الأية بتمام اجزائها فى سورة الحجّ [وَ إِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ] اعرضوا و [قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا

عَلَيْهِ اٰبَآءَنَآ] كما كان عليه اهل كلّ زمانٍ.

فانّه اذا قيل لهم: اتّبعوا ولىّ امركم و عالم وقتكم يقولون: نحن على ما كان عليه اسلافنا.

[أَوَ لَو كَانَ ٱلشَّيْطَـٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلىٰ عَذابِ ٱلسَّـعِيرِ] يعنى لاينبغى التّقليد لمن لميكن حاله معلوماً لك بل ينبغى ان يكـون الانسـان مقلّداً لعالمٍ حىّ ٍقدميّز حاله و علم انّه مجاز من المعصوم بواسطةٍ اوبلاواسطةٍ و لااقلّ من العلم بانّه يفعل مايقول ويقول ما يفعل، و لايكون كالمدّ عين الّذين يقولون بأفواههم ماليس فى قلوبهم.

[وَ مَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللّٰهِ وَ هُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقىٰ] قدمضى اوّل الأية فى سورةالنّساء مع تفصيلٍ و تحقيقٍ فى بيانها و ءاخرها فى سورة البقرة.

[وَ إِلَى ٱللّٰهِ عـٰاقِبَةُ ٱلْأُمُورِ] يعنى عاقبة جملة الامور ينتهى الى اللّه بمعنى انّ ايجاد الاملاك و الافلاك و العناصر ليس الّا لايجاد المواليد، و جميع الحركات الاراديّة و الطّبيعيّة و سكناتها و جمـيع المـواليـد ليست الّا لايجـاد الانسان و قد خلقه اللّه لاجل نفسه، او المعنى كلّ امرٍ ينتهى عاقبته الى اللّه بمعنى انّ كلّ فعل غايته ينتهى الى امرٍ ليس هو مقصود لاجل الغير الى ان ينتهى الى غاية الغايات و نهاية النّهايات.

او المعنى ينتهى عاقبة كلّ الامور الى اللّه فى النّظر و اللّحاظ بمـعنى انّ النّاظر اذا نظر الى امر و جده صادراً عن فاعل، و اذا نظر الى ذلك الفاعل و جده مسخّراً لغيره فى ذلك الفعل، و هكذا الى ان ينتهى الى المسخّر الحقيقىّ الّذى هو اللّه فيكون فاعل كلّ امر هو اللّه لكنّه يكون فى هـذا اللّـحافظ عـاقبة جمـلة الفواعل.

[وَ مَنْ كَفَرَ] يعنى بالولاية فانّ اسلام الوجه للّه ليس الّا بالولاية فالكفر المقابل لاسلام الوجه للّه لا يكون الّا بالكفر بالولاية بترك البيعة مع ولىّ الامر او انكاره يعنى من كفر بعلىّ عليه السلام.

[فَلاَ يَحْزُنْكَ كُفْرُهُ] فانّه لا يضرّك و لا يضرّ عليّاً عليه السلام و لا يفوتنا لانّه: [إِلَيْنا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِمٰا عَمِلُوا] لانّا عالمون بدقائق اعمالهم و خفاياها.

[إِنَّ ٱللّٰهَ عَلِيمٌ بِذاتِ ٱلصُّدُورِ] اى المكونات الّتى فى الصّدور من القصود و النّيّات او من الاستعدادات الّتى لاشعور لصاحبيها بها فكيف بأعمالهم و دقائق اعمالهم و خفاياها.

[نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلاً] جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ كأنّه قيل: ان كان اللّه عالماً باعمالهم فمالنا نراهم متمتّعين بانواع النّعم معافين من انواع البلاء؟ـ فقال نمتّعهم قليلاً حتّى نأخذ بذلك التّمتّع ما اعطيناهم و ما بقى فيهم من بقيّة اللّه حتّى يخلصوا للنّار.

[ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلىٰ عَذابٍ غَلِيظٍ وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ ٱلسَّمٰاوٰاتِ وَ ٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللّٰهُ] لانّه لا جواب لهم سواه يعنى ان سألت مشركى مكّة و الّا فالزّنادقة ومنكروا المبدء لايقولون ذلك.

[قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلّٰهِ] الّذى لا ينكره و لا ينكر خلقه لظهوره و ظهور برهانه من اشرك به، او المعنى ان سألت الخلق طرّاً من الخلق السّموات و الارض قالوا كلّاً بلسان حالهم النّاطق تكويناً: انّ اللّه خالقها و ان لم يكن لهم شعور بهذا اللّسان و نطقه لكنّك لفتح مسامعك الاخرويّة لسماع الكلمات التّكوينيّة تسمع نطقهم بذلك و شهادتهم فقل الحمدللّه على شهادة الكلّ بذلك و على فتح مسامعى الاخرويّة لتلك الشّهادة.

و فى الاخبار اشارة الى هذا المعنى فعن رسول اللّه ﷺ كلّ مولود يولد على الفطرة يعنى على المعرفة بانّ اللّه عزّوجلّ خالقه فذلك قول اللّه عزّوجلّ و لئن سألتهم.

[بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاٰ يَعْلَمُونَ] لا علم لهم بل ادراكاتهم ليست الّا جهالات، او لا يعلمون انّ السنتهم ناطقة بذلك لعدم شعورهم بألسنتهم التّكوينيّة الاستعداديّة.

[لِلّٰهِ مٰا فِي ٱلسَّمٰاوٰاتِ وَ ٱلْأَرْضِ]جواب لسؤالٍ مقدّرٍ كأنّه قيل: هذا حال السّموات و الارض فما حال ما فى السّموات و الارض؟

[إِنَّ ٱللّٰهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ] استيناف فى مقام التّعليل او جواب لسؤالٍ ءاخر عن حاله كأنّه قيل: اله حاجة اليها؟ فخلقها لحاجته؟ـ فقال: اللّه هوالغنيّ لا غنيّ سواه فلايكون له جهة حاجة.

[ٱلْحَمِيدُ] الّذى لا حميد سواه بمعنى انّ كلّ ما يتصوّر ان يكون له من صفات الكمال كان حاصلاً له وكلّما مايتصوّر ان يكون متّصفاً به من سلوب النّقائص كان متّصفاً به فلا يتصوّر جهة حاجة لمثل هذا.

[وَ لَوْ أَنَّ مٰا فِي ٱلْأَرْضِ] جملة حاليّة او معطوفة لتأكيد هذا المعنى.

[مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلاٰمٌ وَ ٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مٰا نَفِدَتْ كَلِمٰاتُ ٱللّٰهِ] قدمضى بيان هذه الأية فى ءاخر سورة الكهف فلا نعيده.

[إِنَّ ٱللّٰهَ عَزِيزٌ] فى مقام التّعليل يعنى انّه عزيز و عزّته مانعة من ان تعدّ مقاماته او تُنفد كلماته جملةُ مراتب الاعداد و جملة السّائلات الّتى يصحّ ان تكون مداداً، و النّباتات الّتى يصحّ ان تكون اقلاماً.

فانّه لو غلب شىء على مقاماته او كلماته كانت متناهيةً و كلّما كان متناهياً كان فانياً غير غالبٍ.

[حَكِيمٌ] لا يخرج تلك الكلمات الغير المتناهية الّا بقدر استعداد موادّها و استحقاق اعيانها الثّابتة [ما خَلْقُكُمْ] جواب سؤالٍ مقدّرٍ.

كأنّه قيل: ان كانت الكلمات غير متناهيّةٍ فكيف يحاسب اللّه تعالى كلّها فى يومٍ واحدٍ؟ـ فقال: ما خلقكم جميعاً.

[وَ لا بَعْثُكُمْ إِلّا كَنَفْسٍ و احِدَةٍ] اى كخلق نفس واحدة و بعثها، و قيل: بلغنا واللّه اعلم انّهم قالوا: يا محمّد ﷺ خلقنا اطواراً نطفاً ثمّ انشأنا خلقاً ءاخر كما تزعم و تزعم انّا نبعث فى ساعة واحدة، فقال اللّه: ما خلقكم و لا بعثكم الّا كنفسٍ واحدةٍ انّما يقول له كن فيكون.

[إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ] جواب سؤال مقدّر فى مقام التّعليل يعنى انّه سميع لكلّ مسموعٍ، بصير لكلّ مبصر.

فانّ حذف المفعول ليس الّا للتّعميم و من كان كذلك كان لا يشغله شأن عن شأنٍ فلا يمنعه خلق نفسٍ و لا بعثها عن خلق اخرى و بعثها.

[أَلَمْ تَرَ] الخطاب عامّ او خاصّ بمحمّدٍ ﷺ و الجملة جوابٌ لسؤالٍ ءاخر مقدّرٍ فى مقام التّعليل للجملة الاولى او لقوله: انّ اللّه سميع بصير.

[أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهارِ وَ يُولِجُ ٱلنَّهارَ فِى ٱلَّيْلِ] قدمضى بيان ايلاج اللّيل و النّهار فى ءال عمران.

[وَ سَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَ ٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِىٓ] جملة حاليّة او مستأنفة لبيان حالها [إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى] يعنى كلّ يجرى دورة الفلك الى وقتٍ معيّنٍ مضبوطٍ بحيث يستخرج المستخرجون دوراتها و مدّة دوراتها سنين قبل وقوعها و لا يقع تخلّف فى استخراجهم، او المعنى كلّ يجرى الى مسمّى

عنداللّه و هو وقت خراب الدّنيا و طىّ السّماء كطىّ السّجلّ للكتب.

[وَ أَنَّ ٱللَّهِ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ] و ليس هذا الّا لانّ اللّه لا يشغله شأنٌ عن شأنٍ و لا وصفٌ عن وصفٍ و لا علمٌ عن علمٍ [ذٰلِكَ] العلم بكلّ شىءٍ و ايلاج اللّيل فى النّهار و النّهار فى اللّيل و تسخير الكواكب.

[بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ] بحقيقة الحقّيّة فانّ الحقّ بحقيقة كما يقتضى الوجوب الذّاتىّ يقتضى الاحاطة بجميع الاشياء و العلم بالكلّ على السّواء و عدم ممانعة شأنٍ من شأنٍ و علم من علم.

[وَ أَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ] من الشّركاء من الاصنام و الكواكب و غيرها او من شركاء علىّ عليه السلام فى الولاية هو.

[ٱلْبَاطِلُ] فانّه لوكان شوب حقّيّةٍ فيها لزاحمته تعالى فى شؤنه و فى علومه،او ذلك المذكور من الجدال بغير علمٍ الى قوله: انّ اللّه خبيرٌ بما تعلمون بانّ اللّه هو الحقّ و انّ مايدعون من دونه الباطل.

[وَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ]كعلوّ النّفس بالنّسبة الى قواها و اعضائها و ككبرها كذلك فلذلك يكون خبرته بالكلّ على السّواء و تصرّفه فى الكلّ سواء.

[أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ] جواب لسؤالٍ مقدّرٍ فى مقام التّعليل لعلوّه و كبره يعنى انّك يا محمّد صلى الله عليه و آله ترى ببصيرتك انّ الفلك تجرى على الماء بتسبيبات رقيقةٍ كان الطّبيعيّون عمياناً منها و ينسبون جريها الى الاسباب الطّبيعيّة غفلة عن الاسباب الالٰهيّة، او الخطاب عامّ و المعنى ينبغى ان ترى يا من يمكن منه الرّؤية.

[لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَاتِهِۦٓ إِنَّ فِى ذٰلِكَ لَأٓيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ] على النّظر الى انعام اللّه و التّوجّه الى تسبيب اللّه فانّ غيره لايدرك من ءاياتها

شيئاً [شَكُورٍ] ناظر الى انعام اللّه و تعظيمه فى انعامه و المراد بالصّبّار الشّكور هو المؤمن الّذى ليس ساهياً عن صلوته .

فانّ فى الخبر: الايمان نصفان نصفٌ صبرٌ و نصفٌ شكرٌ.

و قيل: المراد راكب البحر فانّه بين خوفٍ و رجاءٍ و صبرٍ و شكرٍ.

[وَ إِذا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ] من البحر [كَالظُّلَلِ] مرتفعاً فوق رؤسهم [دَعَوُا ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ] اى طريق الدّعاء او الطّاعة او الطّريق مطلقاً، و قد تكرّر فيما سلف انّه اذا ارتفع مانع الفطرة من الخيال و حيله خلص الانسانيّة لربّه و خلص الطّريق الى اللّه من الشّيطانيّة.

[فَلَمَّا نَجَّـٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ] اى منهم من يبق على خلوصه و منهم من يعود اليه خياله و حيله و يجحد ءايات ربّه [وَ مٰا يَجْحَدُ بِـٰايـٰاتِنآ إِلاّٰ كُلُّ خَتَّارٍ] اى غدّار فانّ الختر الغدر او اقبحه و الخديعة [كَفُورٍ] كثير السّتر للطّريق اى الولاية و هى طريق القلب الى اللّه او كفور للنّعم.

[يـٰأَيُّهَا ٱلنّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ وَ ٱخْشَوْاْ يَـوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِۦ] قرىء يجزى من الثّلاثىّ المجرّد بمعنى لا يقضى، و من باب الافعال بمعنى لايكفى [وَ لاٰ مَوْلُودٌ هُوَ جازٍ] اىمولود شأنه ان يكون جازياً عن ابيه و عن اقربائه [عَنْ وٰالِدِهِۦ شَيْـًٔا إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ] باتيان القيامة و نشرالكتاب و الحساب و المجازاة فيها [حَقٌّ] لاشوب كذبٍ فيه.

[فَلاٰ تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيوٰةُ ٱلدُّنْيا] عن ءاخرتكم و اليوم الموعود لكم حتّى تغفلوا عنه و عن العمل له [وَ لاٰ يَغُرَّنَّكُم بِـاللَّهِ ٱلْـغَرُورُ] اى الشّيطان بأن طوّل ءامالكم و ارجا كم التّوبة عند الموت و اجرأكم على معاصى اللّه و جميع الدّنيا من الحلّ و الحرام.

[إِنَّ ٱللَّهَ] لا غيره [عِنْدَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَ يُنَزِّلُ ٱلْـغَيْثَ وَ يَعْلَمُ مٰا فِى ٱلْأَرْحٰامِ وَ مٰا تَدْرى نَفْسٌ مٰاذٰا تَكْسِبُ غَدًا وَ مٰا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ].

عن الصّادق عليه السلام هذه الخمسة اشياء لم يطّلع عليها ملكٌ مقرّب و لا نبىّ مرسل و هى من صفات اللّه تعالى، و فى نهج البلاغة فهذا هو علم الغيب الّذى لا يعلمه أحداّ لا اللّه.

و قيل: انّ الحارث بن عمرو اتى رسول اللّه صلى الله عليه و آله فقال: متى قيام السّاعة؟ و انّى قد القيت حبّاً فى الارض فمتى السّماء تمطر؟ و حمل امرأتى ذكرٌ ام انثى؟ و ما اعمل غداً؟ و اين اموت؟ فنزلت هذه الأية.

اعلم، انّ فى الاخبار دلالة على انحصار علم هذه الاشياء الخمسة فى اللّه و استدلّوا على الانحصار بهذه الأية و قد بلغ الينا انّ الانبياء و اوصياءهم عليهم السلام و بعض اتباعهم كانوا يخبرون ببعض هذه الخمسة، و ظاهر هذه الأية لا تدلّ على ثبوت العلم للّه تعالى فى موت الانفس و محلّ موتها فضلاً عن الدّلالة على حصر العلم به فيه تعالى.

فنقول: قد فسّرت السّاعة بساعة الموت و الاحتضار، و هى القيامة الصّغرى، و بساعة ظهور القائم عليه السلام و بالقيامة الكبرى، و انّ السّاعة من السّوع بمعنى الضّياع و الهلاك، و كلّ ذلك فيه معنى الضّياع لضياع التّعيّنات عند الموت و عند ظهور القائم عليه السلام و عند القيامة الكبرى، امّا ساعة الموت فقد كانوا يخبرون عنها بل الحذّاق من الاطبّاء كانوا يخبرون عنها.

و امّا ظهور القائم عليه السلام فانّه ملازم للموت الاختيارىّ او الاضطرارىّ لانّه من يميت يره و يظهر القائم عليه السلام ايضاً عند القيامة الكبرى، و القيامه الكبرى لا يعلمها النّبىّ و الوصىّ و المؤمن من حيث نبوّته و وصايته و ايمانه.

ولكن لمّا كان للآلهة درجاتٌ و الكاملون بعد الخروج من جـهة خـلقيّتهم يسيرون فی الجهة الحقّيّة و درجات الألهة حتّی يقفوا بعد الكمال علی الاعراف.

و الاعراف مقام القيامة الكبری، لم يكن استبعاد فی علمهم بساعة القيامة الكبری للعباد من حيثيّة الألهة لا من الحيثيّة الخلقيّة و تنزيل الغيث و العلم بوقت نزوله و مكانه و قدره قد يجیء من الانبياء و اوصيائهمعليهم السلام و اتباعهم لكن لا من الحيثيّة الخلقيّة بل من حيثيّة، الألهة، و هكذا الحال فی البواقی، فالعلم بهذه الخمسة و بكلّ ما غاب عن المدارك البشريّة ليس الّا للّه سواء كان العلم بها فی المظاهر الألهيّة او فی مقام المشيّة او فی مقام الاحديّة.

و نسب الی الائمّةعليهم السلام انّهم قالوا: انّ هذه الاشياء الخمسة لا يعلمها علی التّفصيل و التّحقيق الّا اللّه، و امّا دلالة الأية علی علمه تعالی و حصر العلم بها فيه تعالی.

فنقول: تقديم المسند اليه و تقديم الظّرف فی قوله: انّ اللّه عنده علم السّاعة يدلّ علی الحصر، و عطف ينزّل الغيث علی المسند يدلّ علی حصر تنزيل الغيث، و تنزيل الغيث مستلزم للعلم به، و العدول عن علم تنزيل الغيث للاشارة الی حصر تنزيل الغيث مع الاشارة الی العلم به

و قوله: [إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ] مع قوله: ما تدری نفس يدلّ علی حصر العلم بموت الانفس و محلّ موتها فيه تعالی.

سورة سجدة

و سمّيت سجدة لقمان لئلاّ يلتبس بحم السّجدة و هی ثلاثون ءاية مكّيّةٌ



سوى ثلاث ءاياتٍ قوله تعالى: افمن كان مؤمناً [الى تمام الثّلاث].

[الٓمٓ تَنزِيلُ ٱلْكِتَابِ لاٰ رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ] قدمضى فى اوّل البقرة و فى غيرها ما به الغنية عن بيان الاٰية هنها [أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَاهُ بَلْ هُوَ] اى الكتاب او تنزيل الكتاب [ٱلْحَقُّ مِن رَبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مآ أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ] لكونهم فى زمان الفترة و خمود ءاثار الرّسالة و خمود او صياء الرّسلعليهم السلام فيه [لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ] الى الولاية الّتى هى طريق الاٰخرة.

[ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَاوَاتِ وَ ٱلْأَرْضَ وَ مَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ] قدمضى الاٰية فى سورة الاعراف.

[مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَ لاٰ شَفِيعٍ] الّشفيع بمنزلة النّصير و قد تكرّر بيانه فى مامضى.

[أَفَلاٰ تَتَذَكَّرُونَ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ] اى ينزّل الامر مع ملاحظة حسن دبره و عاقبته من سماء الارواح الى اراضى الاشباح على استمرارٍ.

[ثُمَّ يَعْرُجُ] الامر من الارض [إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ].

اعلم، انّ ايّام الاٰخرة ليست فى عرض ايّام الزّمان بل هى فى طولها بمعنى انّ ايّام الدّنيا قوالب لايّام الاٰخرة و هى بمنزلة الارواح لايّام الدّنيا، و كلّ مرتبة من مراتب الاٰخرة سعتها و احاطتها بالنّسبة الى مراتب الدّنيا مضاعفة، فكلّ يوم من ايّام الاٰخرة بالنسبة الى يوم من ايّام الدّنيا يضاعف سعته بعشرٍ و مائةٍ و الفٍ و عشرة ءالاف الى خمسين الفاً هذا بالنّسبة الى ايّام الدّهر، و امّا ايّام

السّرمد فلاتحدّ بشیءٍ لعدم نهایتها و تحدّدها، و قدمضی شطرٌ من تحقیق هـذا المطلب فی اوّل بنی اسرائیل.

و المراد بالامر الّذی یدبّره من السّماء الی الارض ثمّ یعرج من الارض الی السّماء هو الوجود الفعلیّ الّذی هو المشیّة الّتی هی امره تعالی و فعله وکلمته و اضافته الی غیر ذلک من الاسماء فانّه یتنزّل من سماء المشیّة الی سماء الارواح ثمّ الی سماء النّفوس الکلّیّة، ثمّ الی سماء النّفوس الجـزئیّة، ثمّ الی اراضی الاشـباح النّوریّة، ثمّ الی اراضی الاشباح الظّلمانیّة، ثمّ یبتدء فی العروج من عالم الطّبع، او من عالم الجنّة الی اراضی الاشـباح النّـوریّة، ثمّ الی النّـفوس الجـزئیّة، ثمّ الی الارواح، ثمّ الی المشیّة.

[ذٰلِكَ] العظیم البعید عن الانظار و الاوهام و العقول [عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ] ای عالم عالم الغیب [وَٱلشَّهَـٰدَةِ] ای عالم الّشهادة [ٱلْعَزِيزُ] ای الغالب الّذی لا یمنعه عن مراده مانع [ٱلرَّحِيمُ] الّذی لا یـدع عـباده بلادعوةٍ و لاداعٍ و ان اصرّوا علی مخالفته و عصیانه.

[ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ] برحمته و علمه و عنایته بحسب صورة ذلك الشّیء و سیرته و جعله مستعدّاً لطلب کما لاته فلا یدعهم بلاداعٍ حتّی لا یقبح نشأتهم الاخرویّة.

[خَلَقَهُۥ] بدل من کلّ شیءٍ علی قراءة سکون الّلام و صفة لشیءٍ، او بدل من احسن او مستأنف جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ علی قراءة فتح الّلام.

و قیل: المعنی احسن معرفة کلّ شیءٍ مثل قوله: قیمة المرء ما یحسنه‌ای یحسن معرفته [وَ بَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَـٰنِ] ای ءادم او مطلق الانسان [مِن طِينٍ] لانّ الماء و التّراب اظهر اجزاء عنصره و اغلبها [ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ] النّسل الخلق و الولد [مِن سُلَـٰلَةٍ] السّلاله ما انسلّ من الّشیء و المراد ما

انسلّ من الغذاء فى الهضم الرّابع [مِنْ مآءٍ مَهِينٍ] من بيانيّة.

[ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَ نَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِۦ] اضاف الرّوح الى نفسه تشريفاً و المراد بالرّوح هو ربّ النّوع لكنّه لمّا كان اثر ظهور هذا الرّوح الحيوانىّ و النّفسانىّ و هما شبيهان بالرّيح و متحرّكان كالرّيح استعمل النّفخ فيه و قدمضى فى سورة بنى اسرائيل بيان للرّوح [وَ] بعد نفخ الرّوح فى الّشهر الرّابع فيكم [جَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ] لصيرورة الانسان بعد الاتّصاف بالّسمع و البصر و الفؤاد قابلاً للتّخاطب التفت من الغيبة الى الخطاب [وَٱلْأَبْصَٰرَ وَ ٱلْأَفْـِٔدَةَ قَلِيلاً مَا تَشْكُرُونَ وَ قَالُوٓاْ إِذَا ضَلَلْنَا] لتبعيد القائلين هذا القول عن ساحة الحضور التفت من الخطاب الى الغيبة [فِى ٱلْأَرْضِ] بتفتّت اجزائنا و اعضائنا و اختلاطها بتراب الارض.

[أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ] لتأكيدالتّعجّب والتّعجيب و الانكار كرّر الاستفهام [بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ] لمّا كان قوله تعالى قالوا ائذا ضللنا فى مقام ذمّهم و انّ هذا القول منهم ليس عن علمٍ بل محض تخمين و خيال كان فى معنى ان ليس قولهم عن علمٍ و تحقيقٍ بل هم بلقاء رّبهم اى حسابه فى الأخرة.

كما ورد فى الخبر او لقاء ربّهم المضاف اللّقاء الفطرىّ الّذى كان ربّهم فى الولاية ملاقياً به فطرةً لهم كافرون و لذلك تمسّكوا بالخيال و اهويتهم و اعرضوا عن العلم و ءاثاره.

[قُلْ] لهم جواباً لتعجّبهم من بعثهم بعد الضّلال فى الارض لا تصيرون ضالّين فى الارض بل [يَتَوَفَّىٰكُم] يعنى يأخذ جميعكم و جميع اجزاء وجودكم بحيث لا يبقى منكم أحد و لا جزء فى الارض و لا يضلّ منكم شىءٌ فى الارض حتّى تقولوا كيف نبعث بعد الضّلال فى الارض هو مادّتكم الّتى ليست

منكم.

[مَلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ] اى بقبض ارواحكم و جميع اجزائكم و احصاء امدكم و ءاجالكم [ثُمَّ إِلىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ] يعنى بعد قبض ملك الموت جميع اجزائكم ترجعون الى ربّكم المضاف الّذى هو ربّكم فى الولاية.

[وَ لَوْ تَرىٰٓ] لو للتّمنّى او للشّرط، و اذا كانت للشّرط كان الجزاء محذوفاً اى لرأيت امراً عجيباً و الجملة حاليّة بتقدير القول على الاوّل و الخطاب عامّ او خاصّ بمحمّد صلّى الله عليه و آله [إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ] المضاف يقولون:

[رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا] بعد رجوعنا اليك او فى الدّنيا لكن لم نعمل قالوا ذلك اعترافاً بتقصيرهم [وَ سَمِعْنَا] منك و قبلنا او سمعنا فى الدّنيا من انبيائك عليهم السّلام لكن لم نعمل [فَارْجِعْنَا] الى الدّنيا [نَعْمَلْ صَـٰلِحًا] بعد ما رأينا عظمتك و شاهدنا عقوبتك.

[إِنَّا مُوقِنُونَ] من غير شكٍ و ريبٍ [وَ لَوْ شِئْنَا لَأٓتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَٰيهَا] اهتدائها و رشدها او اسباب هديها من غير ملاحظة استعداد و استحقاق لكن لم نشأ لئلّا يكون مشيّتنا جزافاً غير مسبوقةٍ بملاحظة استعدادٍ.

[وَ لَـٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَ ٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ] لئلّا يقع ارادتى جزافاً و يكون عذاب المعذّبين و ثواب المطيعين من جهة استعدادهم [فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَـٰذَا إِنَّا نَسِينَـٰكُمْ] اى تركناكم.

[وَ ذُوقُوا عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا] مستأنف جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ كأنّه قال: اليس هؤلاء مؤمنين

بالأيات مع وضوحها و ظهورها حتّى يكونوا منسيّين؟ـ فقال: ليس هؤلاء مؤمنين بآياتنا انّما يؤمن بأتنا [اَلَّذينَ إِذا ذُكِّرُوا بِها خَرُّوا سُجَّدًا]

سجدة واجبة

اعلم، انّ المذعن بالأيات من حيث انّها ءايات عظمة اللّه و قدرته و سعته اذاذكّر بها لم ينظر منها الى حدودها و تعيّناتها بل ينظر اليها من حيث انّها ءايات عظمة اللّه فيتذكّر بها عظمة اللّه فلا يتمالك من تذكّر عظمة اللّه و وجدانها فيخرّ ساجداً لعظمة اللّه.

كما عن مولانا جعفر الصّادق عليه السلام انّه صاح فى الصّلوة و خرّ مغشيّاً عليه فسئل عن ذلك فقال: كرّرت الأية حتّى سمعتها من قائلها فلم يثبت جسمى لمعاينة قدرته.

[وَ سَبَّحُوا] اى نزّهوا لطيفتهم الانسانيّة الّتى هى وجه الرّبّ و اسمه و مظهره و نفسه بوجهٍ [بِحَمْدِ رَبِّهِمْ] اى بسبب حمد ربّهم يعنى بسبب سعة وجوده بحيث لا يشذّ عنه وجود و تعيّن وجود فانّ التّسبيح ليس الّا تنزيه الرّبّ من النّقائص و الحدود، و تنزيهه من النّقائص و الحدود ليس الّا بسعة وجوده بحيث لا يخرج منه وجود و ليس ذلك الّا حمده و سعة كمالاته.

[وَ هُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ] عن اللّه او عن تسبيحه، او عن الخرور و السّجود، او عن الايمان و الطّاعة، او لا يستكبرون فى انفسهم [تَتَجافىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضاجِعِ] من جفا السّرج عن فرسه رفعه [يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَ طَمَعًا وَمِمّا رَزَقْناهُمْ يُنفِقُونَ] قدمضى صدر الأية فى سورة الاعراف و ذيلها فى اوّل البقرة.

عن الباقر عليه السلام فى هذه الأية انّه قال: لعلّك ترى انّ القوم لم يكونوا ينامون، لابدّ لهذا البدن ان تريحه حتّى يخرج نفسه فاذا خرج النّفس استراح

البدن و رجع للرّوح قوّة على العمل، قال نزلت فى امير المؤمنين عليه السلام و اتباعه من شيعتنا ينامون فى اوّل اللّيل فاذا ذهب ثلثا اللّيل او ما شاء اللّه فزعوا الى ربّهم راغبين مرهبين طامعين فيما عنده فذكر اللّه فى كتابه فأخبركم بما اعطاهم انّه اسكنهم فى جواره و ادخلهم جنّته وءامنهم خوفهم و اذهب رعبهم.

فى خبرٍ عن الصّادق عليه السلام فى هذه الأية انّه قال: لا ينامون حتّى يُصلّوا العتمة.

[فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مآ أُخْفِيَ لَهُم مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ] و قد ذكر فى اخبارٍ كثيرةٍ بيان ما اخفى لهم من قرّة اعينٍ من اراد فليرجع الى المفصّلات.

[أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا] جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ كأنّه قيل على سبيل التّعجّب: الهم ذلك؟ــ فقال: ليس لهم ذلك فمن كان مؤمناً.

[كَمَنْ كَانَ فاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ] بيان لعدم استوائهم.

[فَلَهُمْ جَنَّاتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًا]اى معدّة او منزلاً [بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ ٱلنَّارُ] عدل عن قوله لهم الجحيم نزلاً اشعاراً بانّ الفاسق لا اعتناء به حتّى يكون العذاب نزلاً له بل العذاب من تبعة اعماله الّتى تلحقه.

[كُلَّمَآ أَرَادُوٓا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَآ أُعِيدُوا فِيهَا]اعلم، انّ اهل الجحيم مثل اهل الدّنيا يريدون الخروج من الجحيم من غمٍّ خروجهم من الشّوق لخرجوا فى اسرع زمانٍ.

[وَ قِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنْتُمْ بِهِۦ

تُكَذِّبُونَ] قيل: انّ جهنّم اذا دخلوها هووا فيها مسيرة سبعين عاماً فاذا بلغوا اسفلها زفرت بهم جهنّم فاذا بلغوا اعلاها قمعوا بمقامع الحديد فهذه حالهم.

[وَ لَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ]الادنى من الدّنىّ بمعنى السّاقط الضّعيف او من الدّنوّ بمعنى القرب و على ایّ تقديرٍ فالمراد بالعذاب الادنى عذاب الدّنيا، او عذاب القبر، او عذاب البرزخ لكن اداة الترجّى بعده يناسب عذاب الدّنيا.

[دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ] عذاب الاحتضار او عذاب القبر او عذاب البرزخ او عذاب القيامة [لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ] عن غيّهم او يرجعون فى الرّجعة للعذاب الا كبر.

و فسّر العذاب الادنى بالعذاب حين خروج الدّابّة و الدّجّال، و قد كثر الاخبار فى انّ الأيات نزلت فى علىّ عليه السلام و الوليدبن عقبة فانّ الفاسق الوليدبن عقبة قال لعلىّ عليه السلام: انا و للّه ابسط منك لساناً، واحدّ منك سناناً، و امثل جثوّاً منك فى الكتيبة، فقال علىّ عليه السلام: اسكت انّما فاسق فأنزل اللّه هذه الأيات.

[وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ]قد مرّ مراراً انّ المراد من امثال هذه العبارة اثبات اظلميّة المفضّل عليه و ان كان مفهوم العبارة اعمّ منه.

[ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ] مع وضوح الأيات و اقتضاء التّذكير بها الاقبال عليها [إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ] يعنى انّا من مطلق المجرم منتقمون و المعرض عن الأيات بعد التّذكّر بها كان اعظم جرماً من كلّ مجرم.

[وَ لَقَدْ ءَاتَيْنَا] عطف على مقدّرٍ اى ءاتيناك الكتاب و لقد ءاتينا [مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ] كما ءاتيناك فليس ايتاء الكتاب امراً غريباً حتّى تكون او يكونوا فى مريةٍ منه.

[فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ] اى من لقاء الكتاب اليك يعنى

من نزوله عليك، او من لقاء الكتاب الى موسى عليه السلام، او من لقائك لموسى عليه السلام فى الدّنيا قبل موتك، او من لقائك لموسى عليه السلام ليلة الاسراء، او فى الاٰخرة، او من لقاء موسى لك كذلك.

و قيل: فلا تكن فى شكٍ من لقاء الاذى كما لقى موسى عليه السلام الاذى من قوله [وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَاءِيلَ] كما جعلنا كتابك هدىً للعالمين.

[وَ جَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا] لا بامر انفسهم [لَمَّا صَبَرُوا] فاصبرانت و بنوك حتّى نجعل منكم ائمّة.

[وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ] فلا تشكّ انت و بنوك [إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ] بين بنى اسرائيل كما يفصل بين قومك فلاتحزن على اختلافهم او بين الخلق المختلفين فيفصل بين قومك او بين قومك [يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ] من امر الوصاية و الوصىّ، او من احكام الشّريعة، او من الكتاب و ستر بعضٍ منه و تبديل بعض.

او من تصديق الرّسل عليهم السلام و تكذيبهم [أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ] لقومك لو لقوم موسى عليه السلام و الجملة معطوفة على مقدّرٍ اى الم يتفكّروا، و فاعل يهد ضمير كتابك اوكتاب موسى عليه السلام او اللّه او مبهم يفسّره قوله:

[كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ] يسمعون اخبارهم و ان لم يكونوا يرون اهلاكهم و لكن يرون ءاثارهم لانّهم [يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ] لمّاكان الاطّلاع على اهلاك الماضين بسماع اخبارهم استعمل السّماع ههنا.

[أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ] ارض جرز بالضّمّتين و جرز بالضّمّ و السّكون و جرز بالفتح و السّكون، و جرز بالتّحريك و مجروزة لا تنبت او اكل نباتها او لم يصبها مطر.

[فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَ أَنفُسُهُمْ أَفَلاَ يُبْصِرُونَ] لمّاكان الاطّلاع على سوق ماء المطر و ماء السّيل و ماء الانهار الى الاراضى بالرّؤية و هكذا اخراج الزّرع و اكل الانعام و الانفس من نباتها استعمل الابصار و اسقط ههنا قوله انّ فى ذلك لايات اكتفاء بما ذكر فى قرينه.

[وَ يَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ] المراد بالفتح المسؤل او المستهزء به هو ظهور القائم عجّل اللّه فرجه و استنارة الارض بنور ربّها و ارتفاع الاختلاف عن اهلها.

و ليس فى العالم الصّغير الّا حين الموت الاختيارىّ او الاضطرارىّ فانّهم لمّا اخبرهم رسول اللّه ﷺ بظهور القائم عليه‌السلام و ظهور الدّين و جعل الاديان كلّها ديناً واحداً سألوا على سبيل الاستفهام او التّهكّم و الاستهزاء عنه.

و الجملة عطف على لم يهد او لم يروا يعنى انّ ءايات هذا الفتح كثيرة من اهلاك القرون الماضية و احياء الارض بعد موتها و لايتفكّرون فيها و يقولون: متى هذا الفتح؟!

[إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ] فى هذا الاخبار [قُلْ] فى جوابهم لاتستعجلوا هذا الفتح.

فانّ [يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لاَ يَنْفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا إِيمَانُهُمْ] فانّه يوم بروز المكسوبات لا يوم كسب الخيرات [وَلاَ هُمْ يُنظَرُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ] اى عن الجواب و السّؤال معهم، او عن دعوتهم، او عن ذواتهم فانّهم لايتأثّرون بمجاورتك [وَ ٱنْتَظِرْ] يوم الفتح [إِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ]لذلك اليوم.

سورة الاحزاب

مدنيّة كلّها؛ ثلاث و سبعون آية



﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ﴾ نداء له ﷺ بايّاك اعنى و اسمعى يا جارة، او نداء له و الحكم له ﷺ و على اىّ تقديرٍ فهو تلطّف به و تعظيم لشأنه.

امره تعالى بالتّقوى و عدم اطاعة الكافرين

﴿ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَ لاَ تُطِعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ ﴾ قيل: نزلت فى ابى‌سفيان و عكرمة بن ابى‌جهلٍ و ابى‌الاعور السّلمى قدموا المدينة و نزلوا على عبداللّه بن ابىّ بعد غزوة احدٍ بامانٍ من رسول‌اللّه ﷺ ليكلّموه فقاموا و قام معهم عبداللّه بن ابىّ وعبداللّه‌بن‌سعدبن‌ابى‌سرحٍ و طعمة‌بن‌ابى‌رقّ فدخلوا على رسول اللّه فقالوا: يامحمّد ﷺ ارفض ذكر آلهتنا اللاّت و العزّى و المناة و قل: انّ لها شفاعة لمن عبدها و ندعك و ربّك فشقّ ذلك على النّبىّ ﷺ فقال عمربن‌الخطّاب: ائذن لنا يا رسول اللّه ﷺ فى قتلهم فقال: انّى اعطيتهم الامان و امر رسول اللّه فأخرجوا من‌المدينة و نزلت الآية و لا تطع الكافرين من اهل مكّة و المنافقين من اهل مدينة.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيماً ﴾ جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍكأنه قيل: لاينبغى النّهى عن‌اجابتهم فانّ فى اجابتهم مصالح عديدةً من‌استمالتهم و خمود نائرة‌الحرب و سلامة‌المسلمين و قوّتهم و شوكتهم بذلك و مخالطة المشركين معهم و استماع آيات اللّه منهم و غير ذلك فقال انّ اللّه كان عليماً بالمصالح المترتّبة على ما ينهى عنه دونكم.

(حَكِيماً)دقيقاً لطيفاً فی علمه و صنعه (مِنْ رَّبِّكَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ) دون ما يقولون لك.

(مِنْ رَّبِّكَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ)يا امّة محمّدٍ او يا محمّد ﷺ و امّته (خَبِيرًا) و قرىء بالغيبة.

(وَ تَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ)لاعلى مايقولون (وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلاً)لامورك فلاتكل امورك على مشورة غيرك.

(مَا جَعَلَ ٱللَّهُ)جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ ناشٍ عن الحصر المستفاد من قوله: لاتطع الكافرين و اتّبع ما يوحى اليك كأنّه قيل: لا منافاة بين اتّباع الموحى و بين المداراة مع الكافرين و اتّباع ما يشيرون اليه.

فقال: ما جعل (لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِى)يحبّ و يتّبع اللّه بهذا و يحبّ و يتّبع بذاك الكافر، و قيل: نزلت فی ابی معمّرحميدبن معمّربن حبيب الفهرىّ و كان لبيباً حافظاً لما يسمع و كان يقول: انّ فی جوفی لقلبين اعقل بكلّ و احدٍ منهما افضل من عقل محمّد ﷺ ثمّ انهزم يوم بدر مع من انهزم و احدى نعليه فی يده و الاخرى فی رجله، فقيل له فی ذلك فقال: ما شعرت الاّ انّهما فی رجلی فعرفوا يومئذٍ انّه لم يكن له الّا قلبٌ واحدٌ.

و عن علىّ عليه السلام انّه: لا يجتمع حبّنا و حبّ عدوّنا فی جوف انسانٍ انّ اللّه لم يجعل لرجلٍ قلبين فی جوفه، فيحبّ، بهذا و يبغض بهذا.

و عن الصّادق عليه السلام فمن كان قلبه متعلّقاً فی صلوته بشیء دون اللّه فهو قريبٌ من ذلك الشّیء بعيد عن حقيقة ما اراد اللّه منه فی صلوته، ثمّ تلا هذه الآية (وَ مَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ ٱلَّائِى تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ) زعمت العرب انّ من قال لزوجته: انت علىّ كظهر امّی صارت زوجته كأمّه فی حرمة المواقعة فقال تعالى ردّاً عليهم: ما جعل

ازواجكم (الآية) ﴿وَ مَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ﴾ الدّعيّ كالغنيّ من تبنّيته فعيل بمعنى المفعول و من كان متّهماً فى نسبه، نزلت فى زيد بن حارثة الكلبيّ عتيق رسول اللّه ﷺ.

و سبب ذلك على مانقل عن القمى عن الصّادق عليه السلام انّ رسول اللّه ﷺ اشترى زيداً بعد تزويجه خديجة عليها السلام فلمّا نبيّ ﷺ دعا زيداً الى الاسلام فأسلم و كان يدعى مولى محمّدٍ ﷺ فاتى حارثة اباطالب عليه السلام و قال له: قل لا بن اخيك: امّا ان يبيعه، و امّا ان يفاديه: و امّا ان يعتقه، فلمّا قال ذلك ابو طالب عليه السلام لرسول اللّه ﷺ قال: هو حرّ لوجه اللّه فليذهب حيث شاء، فقام حارثة و اخذ بيد زيدٍ و قال: يا بنيّ الحق بشرفك و حسبك.

فقال: لست افارق رسول اللّه ﷺ ابداً فغضب ابوه و قال: يا معشر قريش اشهدوا انّي برىء منه و ليس هو ابنى فقال رسول اللّه ﷺ: اشهدوا انّ زيداً ابنى ارثه و يرثنى و كان يدعى زيد بن محمّدٍ ﷺ فلمّا هاجر رسول اللّه ﷺ زوّجه زينب بنت جحشٍ و أبطأ عنه يوماً فأتى رسول اللّه ﷺ منزله فاذا زينب جالسة وسط حجرتها تسحق طيباً بفهرٍ لها.

فنظر اليها رسول اللّه ﷺ و كانت جميلةً فوقعت فى قلب رسول اللّه ﷺ فقال: سبحان خالق النّور و تبارك اللّه احسن الخالقين، ثمّ رجع و جاء زيد الى منزله فأخبرته زينب بما وقع فقال زيد: هل لك ان اطّلقك حتّى يتزوّجك رسول اللّه؟.

فقالت: اخشى ان تطلّقنى و لم يتزوّجنى رسول اللّه ﷺ فجاء زيد الى رسول اللّه فقال: هل لك ان اطّلق زينب حتّى تتزوّجها؟ـ فقال: لا، اذهب و اتّق اللّه و امسك عليك زوجك ثمّ حكى اللّه عزّ و جلّ فقال: امسك عليك زوجك و اتّق اللّه و تخفى فى نفسك ما اللّه مبديه و تخشى النّاس و اللّه احقّ ان تخشاه

فلمّا قضى زيد منها و طراً زوّجنا كها (الى قوله) و كان امر اللّه مفعولاً فزوّجه اللّه تعالى من فوق عرشه فقال المنافقون: يحرّم علينا نساء ابنائنا و يتزوّج امرأة ابنه زيد، فأنزل اللّه عزّوجلّ فى هذا: و ما جعل ادعياءكم ابناءكم (الى قوله) يهدى السّبيل.

و سيأتى فى هذه الّسورة اخبار اُخر فى كيفيّة تزويج رسول اللّه ﷺ زينب لزيدٍ و لنفسه.

(ذٰلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوٰهِكُمْ)من غير اعتقادٍ لكم بـه و مـن غـير حقيقةٍ له فى الواقع فلا تأثير لهذا القول فى ترتّب الاحكام الّشرعيّة.

(وَ ٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ)الثّابت الّذى له حقيقة فـى نـفس الامـر و ينبغى ان يعتقد (وَ هُوَ) لا غيره (وَ هُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ)الى الحـقّ (ٱدْعُوهُمْ لِأَبَآئِهِمْ)بان تقولوا زيد بن حارثة دون غير آبائهم و ان كان الغير يدعونهم ابناءهم.

(هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ ٱللَّهِ)اعدل من غير شوب ظلمٍ و تـجاوز عـن الحقّ (فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوٓا ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ) فادعوهم اخواناً (وَ مَوٰلِيكُمْ)فادعوهم احباباً.

(وَ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُمْ بِهِۦ)بدعائهم الى غـير آبائهم قبل النّهى او بعد النّهى بالنّسيان عن النّهى اوبسبق اللّسان (وَ لٰكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ)اى فيما تعمّدت قلوبكم او ماتعمّدت قلوبكم مبتدءٌ خبره محذوف.

(وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَحِيماً)يغفر للمخطئ وللمتعمّد بعد التّوبة و يرحمه تفضّلاً منه عليه (ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ)مستأنف جوابٌ لسؤالٍ ناشٍ من نفى بنوّة زيد محمّد ﷺ و انّ نسبة البنوّة لمحمّدٍ ﷺ قولٌ

بافواههم من غير حقيقةٍ له كأنّه قيل: اذالم يكن لنسبة بنوّة زيدٍ الى محمّدٍ ﷺ حقيقة فما النّسبة بينه و بين امّته حتّى يقال: انّه ابو امّته؟

ـ فقال تعالى جواباً لهذا السّؤال: انّ المنفيّ هو الابوّة الجسمانيّة و الاحكام الشّرعيّة القالبيّة من حرمة نكاح حليلة الابن انّماهى للابوّة و البنوّة الجسمانيّتين و امّا الابوّة الرّوحانيّة الّتى تحصل بحصول صورة من الاب فى وجود الابن بواسطة البيعة العامّة او الخاصّة و بتلك الصّورة يحصل نسبة الابوّة و البنوّة فانّما هى ثابتة له ﷺ بالنّسبة الى كلّ الامّة.

و لمّا كانت تلك الكيفيّة الحاصلة بالبيعة صورةً نازلةً منه ﷺ و هى تصير الفعليّة الاخيرة للابن و شيئيّة الشّىء تكون بالفعليّة الاخيرة و تلك الفعليّة تكون اولى باسم ذلك الشّىء من سائر فعليّاته السّابقة لاستهلاكها تحت تلك الفعليّة و تكون تلك الفعليّة صورة نازلة من محمّد ﷺ كان محمّدٌ ﷺ اولى بمن باع معه احدى البيعتين من سائر فعليّاته الّتى تنسب اليه و تكون نفسه عبارة عنها.

فالنّبيّ يكون اولى بالمؤمنين من انفسهم فى جميع ما ينسب اليهم من الاعمال و الاقوال و الاحوال و الاخلاق و الاحكام و الألام.

و لاتظنّن انّه ﷺ حينئذٍ يكون اولى بهم فى معاصيهم لانّ المعاصى ناشئة عن الحدود و النّقائص، و الحدود و النّقائص انّما هى ناشئة من الفعليّات السّابقة و راجعة الى الاعدام لا الى الفعليّات فأنفسهم تكون اولى بها من الفعليّة الاخيره و قد سبق فى سورة البقرة عند قوله تعالى: و بالوالدين احساناً تحقيق و تفصيل تامّ للولادة الرّوحانيّة، و من هذا يعلم انّ خلفاء محمّدٍ ﷺ الّذين كانوا مأمورين بأخذ البيعة العامّة او الخاصّة عن الخلق كانوا اولى بمن بايعوا معهم من انفسهم مثل محمّدٍ ﷺ و كانوا آباء لمن آمنوا بهم من غير

فرقٍ.

و لذلك ورد: انّ الائمّة كانوا بعد محمّدٍ ﷺ اولى بالمؤمنين مثل محمّدٍ ﷺ من انفسهم (وَ أَزْوٰجُهُ أُمَّهٰاتُهُمْ)قرأ الصّادق عليه السلام هيهنا: و هو ابٌ لهم.

بيان فى الابوّة الرّوحانيّة و القالبيّة

اعلم، انّه ﷺ لمّا صار بحسب مقام بشريّته محكوماً بحكم روحه بحيث لم يكن له بحسب مقام قالبه الّا آثار روحه و كان نسبته الى امّته نسبة الابوّة، كان جارياً على قالبه حكم الابوّة الرّوحانيّة فكان ازواجه بالنّسبة الى امّته مثل ازواج الآباء بالنّسبة الى الاولاد و لذلك كنّ محرّماتٍ على امّته و ان كانت امّته بالنّسبة اليه بحسب مقام بشريّتهم غير محكومين بحكم الفعليّة الاخيره الّتى كانوا بحسبها ابناءً له.

فلا يجرى على قوالبهم حكم ارواحهم و لم يكن ازواجهم بالنّسبة اليه مثل ازواج الابناء بالنّسبة الى الآباء، مع انّه ﷺ بحسب قالبه حكمه بالنّسبة اليهم حكم الآباء بالنّسبة الى الاولاد.

و لذلك قال تعالى شأنه: ما كان محمّد ابا احدٍ من رجالكم يعنى انّه ابٌ لجهاتهم الرّوحانيّة و رجالكم الّذين هم محكومون بحكم القوالب غير منسوبين اليه بالبنوّة.

فليس هو اباً لرجالكم القالبيّة و ان كان اباً لامّته من حيث انّهم رجال روحانيّون الٰهيّون.

و لذلك قال تعالى: النّبىّ اولى بالمؤمنين يعنى من حيث ايمانهم و ازواجه امّهاتهم يعنى امّهات المؤمنين من حيث ايمانهم، لا يقال، ان كان الرّسول ﷺ بحسب قالبه محكوماً بحكم زوجه.

فینبغی ان لایجوز له نکاح نساء امّته و لا نکاح ازواج امّته لانّا نقول: هو ﷺ محکومٌ بحسب قالبه بحکم روحه لکنّ امّته لیسوا محکومین بحکم ارواحهم فلم یکونوا اولاداً له بحسب قوالبهم و شرف امومة المؤمنین و شرف مضاجعة الرّسول ﷺ مانع من ان لاتکون ازواجه امّهاتٍ و محرّماتٍ علیهم بحسب قوالبهم.

و لکن لیس هذا الحکم ای جریان حکم النّسبة الرّوحانیّة علی القوالب الجسمانیّة جاریاً بین المؤمنین و المهاجرین یکون بعض منهم اولی ببعضٍ من قراباتهم الجسمانیّة فی الوصایة او فی الامارة او فی الارث او غیر ذلك.

بل (وَأُولُوا ٱلْأَرْحامِ) الجسمانیّة (بَعْضُهُمْ أَوْلىٰ بِبَعْضٍ) فی ذلك من الاقرباء الرّوحانیّة (فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ) ای القرآن او مطلق کتبه المنزلة من السّماء او فی کتابه العلویّ من اللّوح المحفوظ و لوح المحو و الاثبات او فی مفروض اللّه او فی احکام الرّسالة.

و قد مضت الآیة فی آخر سورة الانفال و قد ذکر هیهنا موافقاً لما ورد فی الاخبار انّها نزلت لنسخ التّوارث بالهجرة و النّصرة لکن لااختصاص لها بالتّوارث و لا بالامامة و لا بسائر الحقوق.

بل تجری فی کلّ حقٍّ و احسانٍ و انفاقٍ، و ما ورد هیهنا انّها نزلت فی الامرة و انّها جرت فی ولد الحسین علیه السلام من بعده بیان لا همّ مواردها.

(مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ) ذکر المهاجرین بعد المؤمنین من قبیل ذکر الخاصّ بعد العامّ للاهتمام بالخاصّ و لفظة من بیان لا ولی الارحام او هی من التّفضیلیّة.

(إِلَّآ أَنْ تَفْعَلُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًا) استثناء متّصل مفرّغ یعنی انّ اولی الارحام بعضهم اولی ببعضٍ فی کلّ الامور الّا فی فعلتکم الی

اوليائكم فى الدّين معروفاً.

فانّهم حينئذٍ يصيرون اولى بتلك الفعلة من اولى الارحام او فى كلّ حالٍ الّا فى حال ان تفعلوا.

او استثناء منقطع يعنى لكن فعلتكم الى اوليائكم معروفاً تكون حسناً و المراد بالفعلة المعروفة الوصيّة و جعل الاولياء او صياء، او الوصيّة بشيءٍ للاولياء.

(كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُوراً) اى فى الكتاب العلوىّ من اللّوحين او فى الكتاب التّدوينىّ الآلهىّ النّازل اليكم من القرآن و الكتب السّالفة.

(وَ إِذْ أَخَذْنَا) عطف على فى كتاب اللّه او على فى الكتاب، او على مقدّر و التّقدير: النّبىّ اولى بالمؤمنين فى ذلك الزّمان و فى وقت اخذنا ميثاق النّبيّين، او التّقدير او لوا الارحام بعضهم اولى ببعض فى هذا الزّمان و وقت اخذ الميثاق من النّبيّين، او معطوف على مقدّر.

تقديره، تذكّر و اذكر اذ اخذنا (مِنَ ٱلنَّبِيِّنَ مِيثَٰقَهُمْ) فى هذا العالم بأخذ الانبياء و اوصياءهم عليهم السلام بالبيعة منهم الميثاق او فى عالم الذّرّ بأخذنا بانفسنا ميثاقهم.

(وَ مِنْكَ وَ مِنْ نُوحٍ وَ إِبْرَٰهِيمَ وَ مُوسَىٰ وَ عِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ) ذكر هؤلاء الخمسة بعد ذكر الانبياء عموماً للاهتمام بشأنهم لكونهم اولى العزم من الانبياء عليهم السلام

(وَ أَخَذْنَا) جملة حاليّة بتقدير قد، او عطف على اخذنا، او مستأنف على مجىء الواو للاستيناف.

(وَ أَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقاً غَلِيظاً) ضمير منهم راجع الى

النّبيّين عليهم السلام او الى المخصوصين المذكورين بعد النّبيّين (لِيَسْـَٔلَ) اللّه او السّائل (ٱلصَّـٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ)اى عن كيفيّته و مقداره حتّى يجازيهم بحسبهما.

(وَ أَعَدَّ لِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا)عطف او حال و لم يقل و يسأل الكافرين او يعذّب الكافرين للاشعار بانّ سؤال الكافرين و عذابهم ليس من الغايات الذّاتيّة.

(يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا)ناداهم اوّلاً تنشيطاً لهم حتّى يكونوا على تيقّظٍ مايأتى.

(ٱذْكُرُوا نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ)يعنى الاحزاب فانّ اباسفيان جمع الاحزاب من الاعراب قريش و القبائل الّتى كانت حول مكّة و بنى غطفان من النّجد وبنى قريظة وبنى النّضير من حول المدينة.

(فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا)شديدة الهبوب بحيث لاتبقى خيمة و لا ناراً لهم، و شديدة البرد بحيث لايتمالكون من بردها (وَ جُنُودًا) من الملائكة (لَّمْ تَرَوْهَا)لعدم امكان رؤية الملائكة للنّاظر البشرىّ.

(وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا) من حفر الخندق و الخروج من المدينة و تجبين بعضٍ لبعضٍ و ارادة بعضٍ للفرار و قولهم انّ بيوتنا عورةٌ و ماهى بعورةٍ، و قرىء لما يعملون اى ما يعمله قريش من التّخريب عليكم.

(إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ) من اعلى المدينة و هو جانب المشرق و الشّمال (وَ مِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ) و هو جانب المغرب و الجنوب فانّ بنى غطفان جاؤا من فوقهم و قريش من اسفلهم.

(وَ إِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَـٰرُ) مالت و تحيّرت من شدّة الخوف و الدّهشة لكثرة الاعداء (وَ بَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ)كناية عن اضطراب

القلوب فانّ القلوب عند غلبة الخوف تضطرب و تتحرّك من اسفل الى اعلى، و اذا اريد المبالغة فى اضطرابها يقال بلغت فى تحرّكها من اسفل مقامها الى الحناجر.

(وَ تَظُنُّونَ بِاللَّهِ ٱلظُّنُونَا) الانواع من الظّنون بحذف الالف فى الوصل، و قرىء بحذف الالف فى الوصل و الوقف، و المراد بالظّنون ظنّ كذب محمّد ﷺ، و ظنّ تكذيب اللّه لمحمّد ﷺ و ظنّ الاستيصال، و ظنّ الغارة على المدينة، و ظنّ صدق محمّد ﷺ و الاطمينان باللّه و النّصرة من اللّه و الغلبة على الاعداء و هزيمتهم.

(هُنَالِكَ ٱبْتُلِيَ ٱلْمُؤْمِنُونَ) بكثرة الجنود من الاعداء مع قلّتهم و بالظّنون المتخالفة و ارادة الفرار (وَ زُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا) و كان المنظور من ذلك الابتلاء و هذا الزّلزال خلوص ايمان المؤمن و ظهور نفاق المنافق.

(وَ إِذْ يَقُولُ) عطف على اذجاءتكم (ٱلْمُنَافِقُونَ وَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَ رَسُولُهُ) من الظّفر و اعلاء الدّين و السّلطنة على اهل الارض (إِلَّا غُرُورًا) و عداً مموّهاً باطلاً يغرّنابه (وَ إِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ) ليس هيهنا مقام قيام لكم.

(فَارْجِعُوا) الى منازلكم (وَ يَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ ٱلنَّبِيَّ) للرّجوع (يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ) العورة الخلل فى الثّغر و غيره و المعنى انّ بيوتنا ذوات عورة.

(وَ مَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا) من الزّحف (وَ لَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ) يعنى لو دخل الاعداء بيوتهم او المدينة غالباً عليهم (مِنْ

أَقْطارِها) من جوانب البيوت او المدينة.

(ثُمَّ سُئِلُوا ٱلْفِتْنَةَ) اى الكفر او المقاتلة مع المسلمين (لَأَتَوْها وَ مٰا تَلَبَّثُوا بِهٰآ) مع الفتنة او فى المدينة او البيوت او ما تلبّثوا فى اعطاء الفتنة او بسبب اعطاء الفتنة لعدم وثوقهم بدينهم.

(إِلاّٰ يَسِيرًا) اى الّا تلبّثاً يسيراً او زماناً يسيراً (وَ لَقَدْ كٰانُوا عٰاهَدُوا ٱللّٰهَ) على يد محمّدٍ ﷺ (مِن قَبْلُ لاٰ يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبٰارَ وَكٰانَ عَهْدُ ٱللّٰهِ مَسْئُولًا) عن الوفاء به و النّقض له.

(قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ ٱلْفِرارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ)فانّه لابدّ من الموت او القتل لكلّ احدٍ و لا ينجو احد من احد هما (وَ إِذًا) يعني اذا فررتم.

(لاٰ تُمَتَّعُونَ إِلاّٰ قَلِيلاً قُلْ مَنْ ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُمْ مِنَ ٱللّٰهِ إِنْ أَرادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلاٰ يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ ٱللّٰهِ وَلِيًّا وَ لاٰ نَصِيرًا قَدْ يَعْلَمُ ٱللّٰهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ)المثبّطين عن الغزو و عن الموافقه مع الرّسول ﷺ و لفظة قد للتّحقيق.

(وَ ٱلْقآئِلِينَ لِإِخْوٰانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنا وَ لاٰ يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلاّٰ قَلِيلاً) منهم او اتياناً او زماناً او بأساً قليلاً و المراد بالبأس الحرب (أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ) الّشح بالتّثليث البخل و الحرص، و جاء من باب علم و نصر و ضرب و المعنى بخلاء على خيركم او بخلاء ثابتين على ضرركم او حريصون على ضرركم.

(فَإِذا جآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ) فى رؤسهم من شدّة الخوف.

(كَالَّذى يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ)نزول (ٱلْمَوْتِ فَإِذا ذَهَبَ

ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدادٍ)سلقه با لكلام آذاه، شبّه الالسنة بالسنّة و اثبت لها الحدّة استعارةً بالكناية و ترشيحاً للاستعارة يعنى انّهم جمعوا بين البخل و الجبن و شدّة الاذى حين الا من (أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ) حال من الالسنة او من فاعل سلقوكم او منصوب على الّذمّ.

(أُو لَـٰٓـئِكَ لَمْ يُـؤْمِنُوا) اخـلاصاً (فَأَحْـبَطَ ٱللّٰـهُ أَعْمٰـالَهُمْ)الّتى عملوها فـى ظـاهر الاسـلام (وَ كٰـانَ ذٰلِكَ)الحـبط (عَلَى ٱللّٰهِ يَسِيرًا يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزابَ لَمْ يَذْهَبُوا)بعد ما ارسـل اللّـه عليهم الرّيح الملائكة و بعد هزيمتهم لشدّة خوفهم و دهشتم.

(وَ إِنْ يَأْتِ ٱلْأَحْزابُ)كرّةً ثانيةً (يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بـادُونَ فِي ٱلْأَعْرابِ يَسْـَٔلُونَ) كلّ قادمٍ عليهم من المـدينة (عَنْ أَنْـبآئِكُمْ وَ لَوْ كٰانُوا فيكُمْ) فى الكرّة الثّانيّة او لو بقوافيكم و لم يرجوا الى المدينة فى الحال الحاضر.

(مٰا قٰـاتَلُوٓا إِلاّ قَليلاً) و قد ذكر قصّة الاحزاب و جماعاتهم من الاعراب و مجيئهم الى المدينة و قـتل عـمرو بن عبدوّد و هـزيمتهم و جـبن المنافقين من اصحاب رسول اللّه ﷺ و تجبينهم لغيرهم فى المفصّلات؛ من اراد فليرجع اليها.

(لَقَدْ كٰانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللّٰهِ أُسْوَةٌ حَسَـنَةٌ) اى خـصلة حسنة ينبغى ان يتأسّى بها او هو من باب التّجريد مثل رأيت يزيد اسداً (لِمَنْ كٰانَ يَرْجُوا ٱللّٰهَ) بدل من قوله تعالى لكم بدل البعض من الكلّ، او الّلام للتّبيين بتقدير مبتدءٍ محذوفٍ.

(وَ ٱلْيَوْمَ ٱلْأٰخِرَ وَ ذَكَرَ ٱللّٰهَ كَثيرًا)يعنى تلك الاسوة لاتكون الّا لمن جمع بين رجاء اللّه و ذكره كثيراً و هذه الجملة معترضة بين حكاية حال

المسلمين و الاحزاب جاء اللّه بها تلطّفاًبالمسلمين و تعريضاً بالمنافقين و تذكيراًللخالصين.

(وَ لَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ)الخالصون (ٱلْأَحْزابَ قالوا هٰذا ما وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَ رَسُولُهُ)بخلاف غير الخالصين فانّهم قالوا ما وعدنا اللّه و رسوله الّا غروراً.

(وَ ما زادَهُمْ إِلَّآ إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجالٌ) جواب سؤالٍ مقدّرٍ كأنّه قيل: ما حال الخالصين؟ يكونون متساوين؟ ـ فقال: من المؤمنين رجالٌ (صَدَقُوا ما عاهَدُوا ٱللَّهَ عَلَيْهِ) عند البيعة مع محمّدٍ ﷺ بالاجابة له فى شروطه و المعنى قالوا ما عاهدوا صدقاًلا كذباً كالمنافقين او صدقوا فيما عاهدوه.

(فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ)للنّحب معانٍ كثيرة منها الخطر العظيم و الحاجة و الوقت و النّوم و الشّدّة و المدّة و الموت و الاجل و النّذر، و الكلّ مناسب ههنا فانّ المراد قضاء عمره.

(وَ مِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ)النّحب (وَ ما بَدَّلُوا)ما عاهدوا اللّه عليه (تَبْدِيلاً)شيئاً من التّبديل، فيه تعريض با هل النّفاق.

و قد ورد أخبار كثيرة انّ الآية نزلت فى حمزة و جعفرٍ و عبيدة و عليٍّ عليه السلام و فى بعض الاخبار انّها نزلت فى المؤمنين من شيعة آل محمّدٍ ﷺ.

و فى خبر عن الصّادق عليه السلام. المؤمن مؤمنان؛ فمؤمن صدق بعهد اللّه و وفى بشرطه و ذلك قول اللّه عزّوجلّ: رجال صدقوا ما عاهدوا اللّه عليه و ذلك لا يصيبه اهوال الدّنيا و لا اهوال الآخرة و ذلك ممّن يشفع و لا يشفع له، و مؤمن كخامة الزّرع يعوجّ احياناً و يقوم احياناً، فذلك ممّن يصيبه اهوال الدّنيا و اهوال الآخرة، و ذلك ممّن يشفع له و لا يشفع.

و فى خبرٍ عنه عليه السلام: لقدذ كركم اللّه فى كتابه فقال: من المؤمنين رجالٌ صدقوا (الآية) انّكم و فيتم بما اخذ اللّه عليه ميثاقكم من ولايتنا و انّكم لم تبدّلوا بنا غيرنا.

و عنه عليه السلام انّه قال؛ قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله: يا علىّ عليه السلام من احبّك ثمّ مات فقد قضى نحبه، و من احبّك و لم يمت فهو ينظر، و ما طلعت شمس و لا غربت الّا ظلّت برزقٍ و ايمانٍ.

(لِيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَ يُعَذِّبَ ٱلْمُنَافِقِينَ إِنْ شَآءَ) تعليلٌ لصدقوا و من الغايلت المرتّبة عليه يعنى صدقوا فيصير صدقهم مورثاً لان يجزيهم اللّه اجرهم و ان يجعلهم اللّه ميزاناً لنفاق المنافق و يعذّبهم بنفاقهم.

(أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ) ان تابوا و رجعوا عن النّفاق الى الصّق، او ان وفّقوا اللتّوبة، او تعليل لو عدنا اللّه، او بصدق اللّه، او لقوله ما زادهم الاّ ايماناً، و حينئذٍ يكون ايضاً من الغايات المرتّبة عليه، او تعليل لقوله لقد كان لكم فى رسول اللّه اسوة حسنة او لقوله جاءتكم جنود او لا رسلنا عليهم ريحاً، او لكان اللّه بما تعلمون بصيراً او لجاؤكم من فوقكم او لا بتلى المؤمنون و الفاصل لمّا كان من متعلّقات المعلول لم يكن مانعاً من تعلّق العلّة بها و عملها فيها.

(إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيماً)تعليل لقوله او يتوب عليهم (وَ رَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا)حال عن واحدة من الجمل السّابقة المناسبة له او عطف على قوله قالوا هذا ما وعدنا اللّه او على قالت الاعراب او على يقول او على ابتلى المؤمنون او على زلزلوا او على زاغت الابصار او جاؤكم او جاءتكم يعنى اذ كروا نعمة اللّه اذ ردّ اللّه الّذين يعنى الاحزاب.

﴿بِغَيْظِهِمْ﴾ حقدهم ﴿لَمْ يَنالُوا خَيْرًا﴾ منكم من ظفرٍ و غنيمةٍ ﴿وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتالَ﴾ بارسال الرّيح و الملائكة عليهم، و فى اخبارٍ كثيرةٍ انّ المعنى كفى اللّه المؤمنين القاتل بعلىّ بن ابى طالب عليه السلام يعنى فى تلك الغزوة او مطلقاً فانّه دخل على الكفّار و هنٌ بقتل عمرو بن عبدودٍّ و تقوّى المؤمنون و لم يبق لهم حاجة الى القاتل بحيث يقتل المؤمنون فى القاتل.

و لذلك ورد: ضربة علىٍّ يوم الخندق افضل من عبادة الثّقلين.

﴿وَكانَ اللَّهُ قَوِيًّا﴾ لا يمكن لاحدٍ مدافعته و ممانعته عن مراده ﴿عَزِيزًا﴾ غالباً كلّ غالبٍ.

﴿وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظاهَرُوهُمْ﴾ يعنى ظاهروا الاحزاب ﴿مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ مِنْ صَياصِيهِمْ﴾ و هم بنو قريظة فانّهم نقضوا عهد الرّسول صلى الله عليه وآله و ظاهروا الاحزاب و قصّتهم و قصّة نقض عهدهم بوسوسة حيّ بن اخطب الّذى كان من بنى النّضير و نزولهم من صياصيهم و قتلهم و اسر نسائهم و ذراريهم مذكورة فى المفصّلات.

﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيارَهُمْ وَأَمْوالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَؤُوها﴾ و هى ارض خيبر افتتحها اللّه بالصلّح من دون وطى خيل و جمل بعد بنى قريظة.

و قيل: هى الرّوم و فارس، و قيل: هى كلّ ارض تفتح الى يوم القيامة.

و قيل: هى كلّ ما أفاء اللّه على رسوله صلى الله عليه وآله ممّا لم يوجف بخيلٍ و لا ركابٍ.

﴿وَكانَ اللَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا يا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ خطاب آخر

خاصّ به ﷺ ناداه بعد ما قالت بعض نسائه حفصة او زینب بنت جحشٍ ان طلّقنا وجدنا اکفاءً فی قومنا.

و سببه علی ما قاله القمیّ انّه لمّا رجع رسول اللّه ﷺ من خیبر و اصاب کنز آل ابی الحقیق قالت ازواجه: اعطنا ما اصبت فقال لهنّ رسول اللّه ﷺ: قسّمته بین المسلمین علی ما امر اللّه فغضبن و قلن لعلّك انّك تری ان طلّقتنا انّا لا نجد الاکفاء من قومنا یتزوّجونا؟ فانف اللّه تعالی لرسوله ﷺ فأمره اللّه تعالی ان یعتز لهنّ فاعتز لهنّ رسول اللّه ﷺ فی مشربة امّ ابراهیم تسعة و عشیرین یوماً حتّی حضن و طهرن ثمّ انزل اللّه هذه الآیة.

فقال: ﴿قُلْ لِأَزْوٰجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيوٰةَ ٱلدُّنْيا وَ زِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَ أُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَميلاً وَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ ٱللّٰهَ وَ رَسُولَهُۥ وَ ٱلدَّارَ ٱلْأٰخِرَةَ فَإِنَّ ٱللّٰهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنٰاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ لاللمسیئات الخارجات بالسّیوف فقامت امّ سلمة اوّل من قامت فقالت قد اخترت اللّه و اخترت رسوله ﷺ فقمن کلهنّ فعانقنه و قلن مثل ذلك فأنزل اللّه تفخیماً لشأنه ﷺ و تخییراً له ترجی من تشاء منهن و تؤوی الیك من تشاء.

﴿يٰانِسآءَ ٱلنَّبِيِّ﴾ ثمّ قطع مخاطبة النّبیّ ﷺ و خاطب ازواجه تفخیماً لشأنهنّ من حیث انّهنّ ازواج النّبیّ ﷺ.

﴿مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفٰاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ﴾ قبحها او ظاهرة علی الانظار کالخروج بالسّیف و قد فسّرت فی الاخبار بالخروج بالسّیف و بالخروج علی علیّ علیه السلام تعریضاً بفعلة عائشة.

﴿يُضٰاعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾ یعنی فی الآخرة و الّا فعلیّ علیه السلام احسن اسرها فی الدّنیا بعد ما قاتل و قتل مقاتلیها و قال فی حقّها: و

لها حرمتها.

(وَكَانَ ذَٰلِكَ)التّضعيف (عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا)و لمّا كان المقام للتّهديد اتى بالتّيسير قبل ذكر تضعيف الاجر للمحسنات منهنّ لئلّا يتوهّم انّه لتضعيف الاجر.

(وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ) من يتواضع او يطع (لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَالِحًا) ما، او صالحاً عظيماً هو ولاية علىّ بن ابى طالب عليه السلام. (نُؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا) كلّ ذلك بشرافة قرب النّبىّ صلى الله عليه وآله فانّ عصيان القريب من الرّسول صلى الله عليه وآله اعظم قبحاً و طاعته اعظم اجراً.

(يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ)تشريف آخر لهنّ بتكرار النّداء و الخطاب (لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ ٱلنِّسَآءِ)بسبب قرب النّبىّ صلى الله عليه وآله و شرافته (إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ) ان كنتنّ على سجيّة التّقوى، او اتّقيتنّ سخط اللّه، او اهوية النّفس و الطّرق المختلفة النّفسانيّة.

(فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ) اى لا تظهرن قولكنّ لمخاطبيكنّ بحيث يظهر معها محبّتكنّ لهم (فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ) فيكنّ.

(وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا)اى بعيداً من الرّيبة (وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ) قرئ بكسر القاف و حينئذٍ يجوز ان يكون من الوقار و من القرار، و قرئ بفتح القاف وحينئذٍ يكون من القرار فانّ قرّ استعمل من باب علم و من باب ضرب.

(وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ) تلويح بعائشة و فعلتها بالنّسبه الى علىٍّ عليه السلام.

فانّه كما روى عن النّبىّ صلى الله عليه وآله عاش يوشع بن نون بعد موسى ثلاثين سنة و خرجت عليه صفوراء بنت شعيبٍ زوجة موسى عليه السلام فقالت: انا احقّ منك

با لامر فقاتلها فقتل مقاتلیها و احسن اسرها، و انّ ابنة ابی بکرٍ ستخرج علی علیّ علیه السلام فی کذا و کذا الفاً من امّتی فیقاتلها فیقتل مقاتلیها و یأسرها و یحسن اسرها و فیها انزل اللّه تعالی: و قرن فی بیوتکّن و لا تبرّجن تبرّج الجاهیّة الاولی یعنی صفوراء بنت شعیب علیه السلام.

(وَ أَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَ ءَاتِینَ ٱلزَّكَوٰةَ وَ أَطِعْنَ ٱللَّهَ وَ رَسُولَهُۥٓ) فی سائر ما امرکنّ و نهیکنّ (إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا) جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ کأنّ اهل البیت علیهم السلام سألوا، ما یرید بامر نساء النّبیّ صلی الله علیه و آله و نهیهنّ و الاهتمام بشأنهنّ؟

ـ فقال تعالی فی الجواب: انّما یرید اللّه با لا هتمام بامر نساء النّبیّ صلی الله علیه و آله تطهیر اهل بیته الّذین هم اصحاب الکساء، او هم الائمّة و شیعتهم فانّ المقصود من جمیع الا و امر و النّواهی الّتی وردت فی الّشریعة المطهّرة تطهیر اهل البیت علیهم السلام یعنی الائمّة و شیعتهم فانّ الکلّ مقدّمة للو لا یة و البیعة الخاصّة الو لویّة.

و صاحبوا الو لایّة هم الائمّة علیهم السلام و خلفاؤهم و من اجازوهم لاخذ البیعة او لتبلیغ الاحکام القالبیّة، و قابلوا الو لایة شیعتهم الّذین بایعوا معهم البیعة الخاصّة الو لویّة.

و عن طریق العامّة و الخاصّة ورد اخبار کثیرة فی تفسیر اهل البیت بأصحاب الکساء الّذین هم علیّ علیه السلام و فاطمة علیها السلام و الحسن علیه السلام و الحسین علیه السلام.

و قد ورد عن طریق الخاصّة: انّها جرت بعدهم فی الائمّة علیهم السلام.

عن الصّادق علیه السلام انّه قال یعنی الائمّة و ولایتهم من دخل فیها دخل فی بیت النّبیّ صلی الله علیه و آله و لکنّ اللّه عزّوجلّ انزل فی کتابه لنبیّه صلی الله علیه و آله انّما یرید اللّه

(الآية) و كان عليّ عليه السلام و الحسن عليه السلام و الحسين عليه السلام و فاطمة عليها السلام فأدخلهم رسول اللّه صلى الله عليه وآله تحت الكساء في بيت امّ سلمة ثمّ قال: اللّهمّ انّ لكلّ نبيّ اهلاً و ثقلاً، و هؤلاء اهل بيتي و ثقلي، فقالت امّ سلمة: الست من اهلك؟ فقال انّك على خيرٍ و لكن هؤلاء اهلي و ثقلي، و قال في آخر الحديث: الرّجس هو الشّكّ و اللّه لا نشكّ في ربّنا ابداً، و قد ذكر في المفصّلات الاخبار، من اراد فليرجع اليها، و للا شارة الى انّ المقصود اهل البيت عليهم السلام قال: عنكم لا عنكنّ، و للاهتمام بشأن اهل البيت عليهم السلام و انّ المنظور من تأديب نساء النّبيّ صلى الله عليه وآله تطهير اهل البيت جاء بهذه الجملة معترضة بين احكام نساء النّبيّ صلى الله عليه وآله.

(وَ ٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ ٱللَّهِ)حتّى تكنّ على ذكرٍ من اللّه (وَ ٱلْحِكْمَةِ) حتّى تكنّ حكيماتٍ في امور كنّ (إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا)في صنعه (خَبِيرًا)او المراد باللّطف هو الدّقّة في العلم و العمل و الجملة جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ و تعليل لقوله اذ كرن ما يتلى.

(إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَ ٱلْمُسْلِمَاتِ)و هذا تعليلٌ لما سبق و من يقنت منكنّ (الى آخر الآيات).

و المراد بالمسلمين صورةً من بايع على يد محمّد صلى الله عليه وآله او خلفائه البيعة العامّة النّبويّة بقبول الدّعوة الظّاهرة و الانقياد تحت احكام الشّريعة، و حقيقةً، من انقاد باطناً تحت احكام الشّريعة بحيث لا يتأتّى منه خلافها.

و بهذا المعنى ورد عن النّبيّ صلى الله عليه وآله: المسلم من سلم المسلمون من يده و لسانه.

(وَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَ ٱلْمُؤْمِنَاتِ)المؤمن صورةً من بايع على يد محمّد صلى الله عليه وآله او خلفائه البيعة الخاصّة الولويّة بقبول الدّعوة الباطنة و الانقياد تحت احكام الطّريقة و قبول احكام القلب، و حقيقةً من صار متخلّقاً بالاخلاق

الحسنة و متطهّراً من الرّذائل و صار اميناً فى قومه رحيماًكريماً و زيناً حيّياً، الى غير ذلك من الاخلاق.

و بهذا المعنى ورد عن النّبىّ ﷺ: المؤمن من امن جاره بوائقه و ما آمن بى من بات شعبان و جاره طاوٍ.

و ورد: المؤمن من ائتمنه المؤمنون على اموالهم و انفسهم و قدسبق فى اوّل البقرة تفضيل للاسلام و الايمان و انّ الايمان يدخل بسبب كيفيّةٍ فى القلب بتلك الكيفيّة يقع نسبة الابوّة و البنوّة بين المؤمن و من بايع على يده، و يقع الاخوّة بين البايعين و الاسلام ما عليه المناكح و المواريث و حقن الدّماء و اشار اليه تعالى بقوله: قالت الاعراب آمنّا قل لم تؤمنوا و لكن قولوا اسلمنا و لمّا يدخل الايمان فى قلوبكم.

(وَ ٱلْقَـٰنِتِينَ وَ ٱلْقَـٰنِتَـٰتِ)اى المتواضعين او القائمين فى الصّلوة، او المطيعين و المطيعات (وَ ٱلصَّـٰدِقِينَ وَ ٱلصَّـٰدِقَـٰتِ)اى الخارجين فى اقوالهم و افعالهم و احوالهم و اخلاقهم من الاعوجاج.

(وَ ٱلصَّـٰبِرِينَ وَٱلصَّـٰبِرَٰتِ)على المصائب او الطّاعات او عن المعاصى.

(وَ ٱلْخَـٰشِعِينَ وَ ٱلْخَـٰشِعَـٰتِ) قد مضى تحقيق معنى الخشوع و الفرق بينه و بين الخضوع و التّواضع فى سورة البقرة عند قوله تعالى: و انّها لكبيرةٌ الاّ على الخاشعين.

(وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَ ٱلْمُتَصَدِّقَـٰتِ)من الاعراض الدّنيويّة و القوى البدنيّة و الحشمة و الجاه و كلّ ما ينسبه الانسان الى نفسه و من انانيّاتهم.

(وَ ٱلصَّـٰٓئِمِينَ وَٱلصَّـٰٓئِمَـٰتِ)عن الوجود المنسوب اليهم بانتهاء تقويهم عند ابتداء حشرهم الى الرّحمن.

﴿وَ ٱلْحَـٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَ ٱلْحَـٰفِظَـٰتِ﴾ فروجهم بعد حشرهم الى اسم الرّحمن بعودهم الى الكثرات و ملاحظة العورات الّتى كانت لهم حين رجوعهم الى الحقّ تعالى و غفلتهم عنها.

﴿وَ ٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَ ٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ روى انّ اسماء بنت عميس لمّا رجعت من الحبشة مع زوجها جعفر بن ابى طالب عليه السّلام دخلت على نساء رسول اللّه ﷺ فقالت: هل فينا شىءٌ من القرآن؟ قلن: لا، فأتت رسول اللّه ﷺ فقالت: يا رسول اللّه انّ النّساء لفى خيبةٍ و خسارٍ فقال: و ممّ ذلك؟ ـ قالت: لانهنّ لايذكرن بخيرٍ كمايذكر الرّجال فأنزل اللّه تعالى هذه الآية.

اعلم، انّ الآية اشارة الى جميع مراتب السّلوك بعد الايمان الخاصّ الحاصل بالبيعة الولويّة و دخول الايمان فى القلب فانّ الاسلام تنبّهٌ و سببٌ للهداية الى الايمان و لا بدّ من حصوله للانسان حتّى يحصل له الايمان.

و الايمان الحاصل بالبيعة الخاصّة الولويّة و قبول الدّعوة الباطنة، و نفس تلك البيعة سبب للتّوجّه الى اللّه، و بعد التّوجّه الى اللّه يكون السّلوك الى الطّريق او الى اللّه، و اوّل ما يحصل بعد الايمان للسّالك هو المحبّة للّه و الاستشعار بعظمته و عظمة مظاهره و الاستشعار بالهيبة منه.

و يحصل من ذلك الاستشعار التّواضع الّذى هو حالة حاصلة من امتزاج الهيبة و المحبّة مع غلبة الهيبة و يحصل من تلك الحالة الطّاعة، و ليس المراد بالقنوت ههنا الّا التّواضع او الطّاعة او القيام فى الصّلوة.

و بالقنوت يحصل الخروج من الاعوجاج و بالصّدق و الخروج من الاعوجاج يحصل الصّبر فى موارده، و بالصّبر يحصل الخشوع الّذى هو حالة حاصلة من امتزاج الهيبة و المحبّة مع غلبة المحبّة، و بغلبة المحبّة يحصل

التّصدّق و طرح ما یمنع المحبّ عن خدمة المحبوب، و بذلك الطّرح یحصل الصّوم الّذی هو انتهاء التّقوی، و بانتهاء التّقوی یحصل الرّجوع و البقاء بعد الفناء و مراعاة حقوق الكثرات من المنع و الاعطاء و البذل و الحفظ، و فی مراعاة الكثرات و حقوقها یحصل الذّكر الكثیر.

فانّ الذّكر الكثیر هو الّذی یكون بتذكّر الامر و النّهی الالٰهیّین عند كلّ فعل، و لا یكون ذلك الّا بعد الرّجوع الی الكثرات باللّه و هو آخر الاسفار الّتی تكون للسّلاك.

(وَ مٰا كٰانَ لِمُؤْمِنٍ وَ لاٰ مُؤْمِنَةٍ)عطف علی مقدّرٍ مستفادٍ من السّابق كأنّه قال: فما كان لمؤمنٍ و لا مؤمنةٍ ان یدعوا تلك المغفرة العظیمة و ذلك الاجر العظیم و ما كان لمؤمنٍ و لا مؤمنةٍ ای ما صحّ و ما جاز.

(إِذٰا قَضَی اَللّٰهُ وَ رَسُولُهُ أَمْرًا) ای حكم اللّه او حتم او بیّن (أَنْ یَكُونَ لَهُمُ اَلْخِیَرَةُ) اسم للاختیار و یقع علی المختار ایضاً (مِنْ أَمْرِهِمْ)لانّهما اولی بهم و ابصر بامرهم و ارحم بهم منهم نزلت حین خطب الرّسول زینب بنت جحشٍ لزیدٍ مولاه و غضبت هی و اخوها و قالت: بنت عمّتك تنكحها لمولاك؟ فلمّا نزلت قالت: رضیت و جعلت امرها بیده.

و قیل: نزلت فی امّكلثوم بنت عقبة بن ابی معیطٍ و كانت و هبت نفسها للنّبیّ صلّی اللّه علیه و آله فقال: قد قبلت و زوّجها زید بن حارثة فسخطت هی و اخوها و قالا: انّما اردنا رسول اللّه فزوّجنا عبده فنزلت: و قد مضی فی سورة القصص انّ نزول الآیة ان كانت فی شیءٍ غیر الخلافة فالمنظور منها الخلافة یعنی ما كان لاحدٍ ان یختار الامام من عند نفسه علی من اختاره اللّه و رسوله صلّی اللّه علیه و آله للامامة.

(وَ مَنْ یَعْصِ اَللّٰهَ وَ رَسُولَهُ) فی ما یختارانه لهم یعنی فی الامامة الّتی یختارانها لهم (فَقَدْ ضَلَّ ضَلاٰلاً مُبِینًا وَ إِذْ تَقُولُ)عطف

على مقدّرٍ عامّ ٍ او خاصّ ٍ و التّقدير ما كان لمؤمنٍ و لامؤمنة اذا قضى اللّه و رسوله امراً ان يكون لهم الخيرة من امرهم فى اىّ وقتٍ كان او فى وقت نصب علىّ عليه السلام بالخلافة.

و اذ تقول (لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ)با لا سلام و التّوفيق لاطاعتك و خدمتك (وَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِ)بالعتق و الزّوجة و بذل ما يحتاج اليه (أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَ ٱتَّقِ ٱللَّهَ) مع انّك علمت انّ مختار اللّه و مختارك ان تصير زينب زوجتك (وَ تُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ) من كون نكاح زينب مختارك و مختاراللّه (وَ تَخْشَى ٱلنَّاسَ) و ملامتهم بان يقولوا يتمنّى زوجة الغير (وَ ٱللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَـٰهُ)ان كان هذا ممّا يخشى.

روى عن السّجّاد عليه السلام انّ الّذى اخفاه فى نفسه هو انّ اللّه سبحانه اعلمه انّها ستكون من ازواجه و انّ زيداً سيطلّقها فلمّا جاء زيد و قال له: اريد ان اطلّق زينب، قال له: امسك عليك زوجك فقال سبحانه: لم قلت: امسك عليك زوجك؟ و قد اعلمتك انّها ستكون من ازواجك.

(فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا)حاجة كانت له اليها و ملّها و طلّقها و انقضت عدّتها (زَوَّجْنَـٰكَهَا) و فى قراءة اهل البيت عليهم السلام زوّجتكها و هذا ادلّ على تعظيمه صلى الله عليه و آله فانّه ادلّ على مباشرة التّزويج بنفسه دون سفرائه و خلفائه.

(لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا مَا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ) اى فيما قدّر اللّه له قدراً حتماً فانّه تعالى قدّر له صلى الله عليه و آله قدراً حتماً ان تكون زينب من ازواجه.

نسب الی الباقر علیه السلام انّه قال زوّج رسول اللّه صلی الله علیه و آله زینب زیداً فمکث عند زیدٍ ما شاء اللّه ثمّ انّهما تشاجرا فی شیءٍ الی رسول اللّه صلی الله علیه و آله فنظر الیها رسول اللّه فأعجبته فقال زید: یا رسول اللّه صلی الله علیه و آله اتأذن لی فی طلاقها فانّ فیها کبراً و انّها لتؤذینی بلسانها؟ ـ فقال رسول اللّه صلی الله علیه و آله: اتّق اللّه و امسك علیك زوجك و احسن الیها، ثمّ انّ زیداً طلّقها و انقضت عدّتها فأنزل اللّه عزّوجلّ نکاحها علی رسوله صلی الله علیه و آله.

و عن الرّضا علیه السلام فی حدیثٍ انّ اللّه تعالی عرّف نبیّه صلی الله علیه و آله اسماء ازواجه فی دار الدّنیا و اسماء ازواجه فی الآخرة و انّهنّ امّهات المؤمنین و احد من سمّی له زینب بنت جحشٍ و هی یومئذٍ تحت زید بن حارثة فاخفی صلی الله علیه و آله اسمها فی نفسه و لم یبده لکی لا یکون احدٌ یقول من المنافقین انّه قال فی امرأةٍ فی بیت رجل انّها احد ازواجه من امّهات المؤمنین و خشی قول المنافقین قال اللّه عزّوجلّ: و تخشی النّاس و اللّه احقّ ان تخشاه یعنی فی نفسك و انّ اللّه عزّوجلّ ما تولّی تزویج احدٍ من خلقه الّا تزویج حوّاء من آدم علیه السلام، و زینب من رسول اللّه بقوله عزّوجلّ: فلمّا قضی زید منها و طراً زوّجناکها، و فاطمة علیها السلام من علیّ علیه السلام.

و عنه علیه السلام: انّ رسول اللّه صلی الله علیه و آله قصد دار زید بن حارثة فی امرٍ اراده فرأی امرأته تغتسل فقال لها، سبحان اللّه الّذی خلقك و انّما اراد بذلك تنزیه اللّه عن قول من زعم انّ الملائکة بنات اللّه (الی ان قال) فقال النّبیّ صلی الله علیه و آله لمّا رآها تغتسل: سبحان اللّه الّذی خلقك ان یتّخذ ولداً یحتاج الی هذا التّطهیر و الاغتسال، فلمّا عاد زیدٌ الی منزله اخبرته امرأته بمجیء الرّسول صلی الله علیه و آله و قوله لها: سبحان اللّه الّذی خلقك فلم یعلم زیدٌ ما اراد بذلك فظنّ انّه قال ذلك لما اعجب من حسنها، فجاء الی النّبیّ صلی الله علیه و آله فقال: یا رسول اللّه صلی الله علیه و آله انّ امرأتی فی

خلقها سوءٌ و انّى اريد طلاقها، فقال له النّبىّ ﷺ: امسك عليك زوجك و اتّق اللّه (الآية) و قد كان اللّه عزّوجلّ عرّفه عدد ازواجه و انّ تلك المرأة منهنّ فاخفى ذلك فى نفسه و لم يبده لزيدٍ و خشى النّاس ان يقولوا: انّ محمّداً يقول لمولاه انّ امرأتك ستكون لى زوجة، فيعيبونه بذلك فأنزل اللّه و اذ تقول (الآية) ثمّ انّ زيد بن حارثة طلّقها و اعتدّت منه فزوّجها اللّه تعالى من نبيّه و انزل بذلك قرآناً فقال عزّوجلّ: فلمّا قضى زيد منها و طراً (الآية) ثمّ علم عزّوجلّ انّ المنافقين سيعيبونه بتزويجها فأنزل ما كان على النّبىّ من حرج فيما فرض اللّه له.

(سُنَّةَ ٱللَّهِ) سنّ ذلك المذكور من تزويج ازواج الادعياء او من رفع الحرج فيما فرض لهم و اباح سنّةً (فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ) يعنى فى الانبياء الّذين خلوا من قبلك بقرينة الّذين يبلّغون (الى آخره) (وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا)يعنى انّ امره قدّر سابقاً فى الالواح بحيث لا يكون فيه تخلّف فما لهم يلومون فى امرٍ يكون قدراً مقدوراً غير متخلّفٍ عنه.

(ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ)صفة او بدل من الّذين خلوا، او خبر مبتدٍ محذوفٍ (وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا)فينبغى ان لا يخشى الّا منه.

(مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ) قد مضى بيان هذه الكلمة فى اوّل السّورة عند قوله: و ازواجه امّهاتهم و لمّا توهّم من نفى ابوّته لرجالهم انتفاء النّسبة بينه و بين امّته استدرك ذلك بانّه ﷺ ما كان ابا احدٍ من رجالكم الجسمانيّين و لكنّه ابٌ لا مّته من حيث انّهم مؤمنون و رجالٌ و نساء روحانيّون.

فقوله تعالى (وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ) واقع موقع قوله تعالى و

لكنّه ابو رجاله الرّوحانيّين ﴿وَ خَاتَمَ ٱلنَّبِيّينَ﴾ هذه الكلمة للتّرقّى عن كونه اباً لامّته فكأنّه قال: بل هو ابٌ لجميع المرسلين و اممهم لانّه خاتمهم و الخاتم ينبغى ان يكون محيطاً بالكلّ و منسوباً الى الكلّ نسبة الاب الى الاولاد، و قرىء هذه الكلمة بكسر التّاء و فتحها.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ لاانتم فيعلم هو النّسبة الجسمانيّة و الرّوحانيّة بين الاشياء و يعلم مقدار كلّ بحسبه و قدره لاانتم فلا تقولوا لما يحكم اللّه به: لم كان كذا؟

او لو لم يكن ذلك كذلك! فانّه ردّ من الجاهل على العالم، او تأمّل من الجاهل فى حكم العالم.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱذْكُرُوا ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ قد مضى فى سورة البقرة بيان الذّكر و مراتبه و انواعه.

عن الصّادق عليه السلام ما من شىءٍ الّا و له حدٌّ ينتهى اليه الّا الذّكر فليس له حدّ ينتهى اليه (الى ان قال) فانّ اللّه عزّوجلّ لم يرض منه بالقليل و لم يجعل له حدّاً ينتهى اليه ثمّ تلا هذه الآية.

و عنه عليه السلام: تسبيح فاطمة الزّهراء من الذّكر الكثير الّذى قال اللّه: اذكروا اللّه ذكراً كثيراً، و فى خبرٍ: من ذكر اللّه فى السّرّ فقد ذكر اللّه كثيراً.

﴿وَ سَبِّحُوهُ﴾ بالقول و الفعل ﴿بُكْرَةً وَ أَصِيلاً﴾ اشارة الى استغراق الاوقات، او المراد التّسبيح هذين الوقتين لشرافتهما، و ذكر التّسبيح بعد الذّكر تخصيص بعد التّعميم، او تقييد بعد الاطلاق ان اريد بالذّكر الذّكر اللّفظىّ او النّفسىّ و بالتّسبيح القولىّ او النّفسىّ لاالتّنزيه الفعلىّ و قد مضى الفرق بين التّسبيح و التّقديس فى سورة البقرة عند قوله تعالى: و نحن نسبّح بحمدك و نقّدس لك و مضى فى مطاوى ما سلف انّ المراد بتسبيح الرّبّ و

تسبيح اسمه وبتسبيح اللّه هو تنزيه اللّطيفة الانسانيّة الّتى هى اسم للرّبّ بوجهٍ و ربٌّ بوجهٍ و مظهرٌ للّه بوجهٍ عن حدودها و نقائصها.

و جملة الاعمال و الاقوال الشّرعيّة مقدّمة لهذا التّنزية كما انّ جملة الرّياضات و المجاهدات و سائر الاعمال القلبيّة نفس ذلك التّنزيه (هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ)اى يرحمكم او يتنزّل الرّحمة عليكم (وَ مَلَٰٓئِكَتُهُۥ) يعنى ويستغفر لكم ملائكته فانّ الصّلوة من العباد الدّعاء و من اللّه الرّحمة و من الملائكة الاستغفار، و هذه الكلمة فى موضع التّعليل للامر بالّذكر الكثير.

(لِيُخْرِجَكُم مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ)ظلمات نقائص المادّة و حدود الطّبع و اهوية النّفس و رذائلها (إِلَى ٱلنُّورِ) اى نور الايمان و الطّاعة و الاخلاق الحسنة و نور عالم الاطلاق.

(وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا) لانّ فعليّتهم الاخيرة الّتى هى عبارة عن صورة نازلة عن ولىّ امرهم رحمة من اللّه و جاذبة لرحمةٍ اخرى منه كما انّها ولىّ امرهم بوجهٍ.

(تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ) اى يلقون حسابه و حسّابه او يلقون مظاهره و ائمّتهمعليهم‌السلام لانّ المؤمن بعد طىّ البرازخ يلقى امامه سواء كان طىّ البرازخ با لا ختيار و بالّسلوك حتّى حضروا عند امامهم فى الدّنيا، او با لا ضطرار و وصولهم الى الاعراف و حضورهم عند امامهم فى الآخرة.

(سَلَٰمٌ) لانّ المؤمن بعد الحضور عند امامه يصير سالماً من جميع الآفات و النّقائص، و اضافة التّحيّة الى الضّمير من قبيل اضافة المصدر الى الفاعل او الى المفعول اى تحيّة بعضهم لبعض، او تحيّة اللّه و ملائكة لهم و الجمله حاليّة او مستأنفة معترضة جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ.

(وَ أَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا) لا منّة فيه و لا نقص (يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّـآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا)متحمّلاً للّشهادة ممّن ارسلت اليهم و عليهم، او مقدّراً لتأدية الّشهادة عليهم و لهم، او حاضراً عليهم فى اعمالهم (وَ مُبَشِّرًا)للمؤمنين (وَ نَذِيرًا)للكافرين (وَ داعِيًا إِلَى ٱللَّهِ) لكلّ النّاس (بِإِذْنِهِۦ)قيّد الدّعاء بقوله باذنه اشعاراً بانّ الدّعاء اذا لم يكن باذنٍ من اللّه كان ضلالاً (وَ سِراجًا مُنِيرًا)يستضاء بك ويستنير البصائر منك.

(وَ بَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ)عطف على محذوفٍ تقديره فأنذر الكافرين و ادع النّاس اجمعين و بشّر المؤمنين (بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ ٱللَّهِ فَضْلاً كَبِيرًا) و اقتصر على ذكر المعطوف اشعاراً بانّ المقصود بالّذات هو تبشير المؤمنين.

(وَ لاَ تُطِعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ)فيما يقولون فى حقّ فقراء المؤمنين، او فى ترك التّعرّض لاصنامهم، او فى حقّ علىّ عليه السلام و خلافته (وَدَعْ أَذَىٰهُمْ) هذه الكلمة اسم مصدر لا يذاء و مضاف الى الفاعل او الى المفعول.

(وَ تَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ) فى كلّ امورك (وَ كَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلاً يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا)اى ايّام عديدة تعدّونها عليهنّ.

(فَمَتِّعُوهُنَّ) وجوباً بنصف مافرضتم ان كنتم فرضتم لهنّ فريضة او بما يتمتّع امثالهنّ ان لم تكونوا فرضتم لهنّ فريضة، او متّعوهنّ استحباباً بعد ما اديّتهم اليهنّ نصف مهرهنّ او نصف مهر الامثال (وَ سَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلاً) اى طلّقوهنّ او ارسلوهنّ من بيوتكم من غير اذىً و منع حقّ.

(يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّـآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّـٰتِيٓ ءَاتَيْتَ

أُجُورَهُنَّ)اى مهورهنّ فانّ المهر اجرٌ للبضع.

(وَ ما مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ وَ بَناتِ عَمِّكَ وَ بَناتِ عَمّاتِكَ وَ بَناتِ خالِكَ وَ بَناتِ خالاتِكَ)افرد العمّ و الخال دون العمّة و الخالة لارادة الجنس من الخال و العمّ و توهّم الافراد من العمّة و الخالة لو افردتا لوجود التّاء الّتى توهم الافراد.

(ٱلّٰتِى هاجَرْنَ مَعَكَ)القيود الثّلاثة ليست قيوداً للاحلال لما سيأتى من الاخبار انّ اللّه تعالى احلّ له ما شاء من النّساء و انّما ذكر القيود تشريفاً له ﷺ فى الاوّلين و تشريفاً للنّساء فى الاخير، و قيل: انّها قيود للاحلال، و نقل عليه خبر من طريق العامّة و انّما ذكر احلال الازواج مع انّهنّ كن محلّلاتٍ له و كنّ فى بيوته رفعاً لما قال بعض و توهّم بعض من انّه ﷺ حرّم على امّته ازيد من اربع و نكح هو ازيد من اربع و لا ينبغى ان يكون كذلك، و الدّليل عليه قوله قد علمنا ما فرضنا عليهم فى ازواجهم معترضة بين بيان احلال ازواجه (وَٱمْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَها لِلنَّبِيِّ)التفت من الخطاب الى الغيبة اشعاراً بانّ هذا الحكم لشرافة النّبوّة.

(إِنْ أَرادَ ٱلنَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَها خالِصَةً لَكَ)تأكيدٌ لما استفيد من اختصاص هذا الحكم بحيثيّة النّبوّة، و خالصةً.

مصدرٌ لمحذوفٍ اى خلص هذا الحكم خلوصاً لك، او اسم فاعل و التّاء للمبالغة و حال عن محذوفٍ اى قلنا هذا الحكم خالصةً، او حكمنا هذا الحكم خالصةً؛او التّاء للتّأنيث و التّقدير ذكرنا هذه الهبة خالصةً لك، و غير ما ذكر من وجوه اعرابها ضعيفٌ جدّاً.

(مِنْ دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ)الظّرف حال من الضّمير المجرور فى لك.

عن الباقر ؑ: جاءت امرأة من الانصار الى رسول اللّه ﷺ فدخلت

عليه فى منزل حفصة و المرأة متلبّسة متمشّطة فقالت: يا رسول اللّه ﷺ انّ المرأة لا تخطب الزّوج و انا امرأة أيّم لا زوج لى منذ دهرٍ و لا ولد فهل لك من حاجة؟

فان يك فقد و هبت نفسى لك ان قبلتنى، فقال لها رسول اللّه ﷺ خيراً و دعالها، ثمّ قال: يا اخت الانصار جزا كم اللّه عن الرسول اللّه خيراً فقد نصرنى رجالكم و رغبت فىّ نساؤكم.

فقالت لها: حفصة ما اقلّ حياءك و اجرأك و انهمك للرّجال..! فقال لها رسول اللّه ﷺ: كفّى عنها يا حفصة، فانّها خير منك رغبت فى رسول اللّه فلمتها؟ و عيّبتها؟!

ثمّ قال للمرأة انصرفى رحمك اللّه، فقد اوجب اللّه لك الجنّة لرغبتك فىّ و تعرّضك لمحبّتى و سرورى، و سيأتيك امرى ان شاء اللّه عزّوجلّ و امرأة مؤمنة (الآية) قال فأحلّ اللّه عزّوجلّ هبة المرأة نفسها لرسول اللّه ﷺ و لا يحلّ ذلك لغيره و قد ذكر انّ هذا الحكم من خصائصه ﷺ و ليس لغيره ان ينكح بهبة المرأة نفسها من دون مهرٍ، و قيل: انّ الرّسول ﷺ لم يكن عند امرأة و هبت نفسها له، و قيل: بل كانت عنده ميمونة بنت الحارث بالهبة، و قيل: هى زينب بنت خزيمة المكنّاة بامّ المساكين، و قيل: كانت امرأة من بنى اسدٍ يقال لها امّ شريكٍ، و قيل: كانت خولة بنت حكيمٍ.

و عن الصّادق عليه السلام انّه قال: تزوّج رسول اللّه ﷺ بخمس عشرة امرأة و دخل بثلاث عشرة منهنّ، و قبض عن تسعٍ فامّا اللّتان لم يدخل بهما فعمرة و الشّنباء، و امّا الثّلاث عشرة اللّاتى دخل بهنّ فأولهنّ خديجة بنت خويلد ثمّ سودة بنت زمعة ثمّ امّ سلمة و اسمها هند بنت ابى اميّة، ثمّ امّ عبد اللّه عائشة بنت ابى بكر، ثمّ حفصة بنت عمر، ثمّ زينب بنت خزيمة بن الحارث امّ

المساكين، ثمّ زينب بنت جحشٍ، ثمّ امّ‌حبيبة رملة بنت ابى سفيان، ثمّ ميمونة بنت الحارث، ثمّ زينب بنت عميس، ثمّ جويرية بنت الحارث، ثمّ صفيّة بنت حىّ بن اخطب، و الّتى و هبت نفسها للنّبىّ خولة بنت حكيم السّلمى و كان له ﷺ سريّتان يقسم لهما مع ازواجه مارية القبطيّة و ريحانة الخندفيّة، و التّسع اللّواتى قبض عنهنّ عائشة، و حفصة، و امّ‌سلمة، و زينب بنت جحشٍ، و ميمونة بنت الحارث، و امّ‌حبيبة بنت ابى سفيان، و صفيّة و جويرية و سودة، و افضلهنّ خديجة بنت خويلد، ثمّ امّ‌سلمة، ثمّ ميمونة.

(قَدْ عَلِمْنا ما فَرَضْنا عَلَيْهِمْ فِيٓ)حقّ (أَزْوٰجِهِمْ)من العدد و القسم.

(وَ ما مَلَكَتْ) اى فى حقّ ما ملكت (أَيْمٰانُهُمْ)من الاماء من التّوسعة عليهنّ فى المعيشة و عدم التّضييق عليهنّ فى الخدمة و الاقتصار على المملوكة ان لم يطيقوا الحرّة و الاقتصار على حرّةٍ واحدةٍ ان خافوا عدم العدالة و هذه الجملة معترضة و جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ.

كأنّه قيل: لم احلّت للرّسول ﷺ ازيد من الاربع و لم يحلّ لامّته ازيد منها؟ بل لم يحلّ لهم اكثر من واحدة ان خافوا ان لا يعدلوا؟

ـ فقال: قد علمنا سبب ذلك فيه و فيهم و ليس هذا الحكم فيه و فيهم من غير سببٍ و استحقاقٍ و الجاهلون للا سباب يلومونه على ما فرض‌الله عليه.

(لِكَيْلاَ يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ)متعلّق باحّل او بخالصة لك او بعامل امرأة مؤمنة يعنى انّك خرجت من التّقييد و صرت مطلقاً و لا ينبغى ان يكون عليك حرجٌ فيما اردت.

(وَكٰانَ ٱللّٰهُ غَفُورًا)فيغفر ما يلزمك من تعدّد الازواج من تكدّر قلبك بالكثرات و تعدّد الازواج، او يغفر لمن يلومك فى تعدّد الازواج من

جهله بسببه (رَحيمًا)يرحمك فيحفظك ممّا يشينك فى الدّنيا من تعدّد الازواج، او يرحمك فى الآخرة بالتّوسعة عليك فى مقاماتك، او يرحمهم فيحفظهم ممّا يخرجهم من الايمان فى ملامتك، او يرحمهم فى الآخرة.

(تُرْجِي مَنْ تَشآءُ مِنْهُنَّ وَ تُئْوِيَ إِلَيْكَ مَنْ تَشآءُ) قد مضى سبب نزول هذه الآية عند قوله تعالى: يا ايّها النّبيُّ قل لازواجك ان كنتنّ تردن الحيوة الّدنيا (الآية) والمعنى تقدّم من تشاء من نسائك فى المضاجعة و الايواء اليك من غير نظرٍ الى القسم فيكون الآية توسعةً عليه فى القسم بين نسائه.

او المعنى تعزل من تشاء منهنّ بغير طلاقٍ و تردّ اليك من تشاء بعد عزلك تسعةً و عشرين يوماً، او المعنى تطلّق من تشاء و تمسك من تشاء، او المعنى تترك نكاح من شئت من نساء امّتك و تنكح من شئت منهنّ، و على اىّ تقديرٍ فالجملة جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ و توسعة له ﷺ بالنّسبة الى ازواجه و نكاحه، و هل كان تخييره لنسائه بين اختيار الدّنيا و اختيار اللّه و رسوله ﷺ طلاقاً لهنّ بعد اختيار هنّ الدّنيا او كنّ محتاجاتٍ الى الطّلاق و كذلك عزله ﷺ و ارجاؤه لهنّ؟

فعن الباقر عليه السلام انّه سئل عن رجل خيّر امرأته فاختارت نفسها بانت؟ - قال: لا، انّما هذا شىءٌ كان لرسول اللّه ﷺ امر بذلك ففعل، و لو اخترن انفسهنّ لطلّقهنّ و هو قول اللّه تعالى: قل لا زواجك ان كنتّن (الآية).

(وَ مَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلاٰ جُناحَ عَلَيْكَ)من دون عقدٍ جديدٍ (ذٰلِكَ)التّخيير و التّوسعة عليك، او ذلك الاذن فى ترك القسم و التّسوية بينهنّ، او ذلك الاذن فى ابتغاء من عزلت، او ذلك الاذن فى نكاح الواهبات لا نفسهنّ و تركك لنكاحهنّ (أَدْنىٰٓ أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ)اى اعين

ازواجك.

(وَ لاٰ يَحْزَنَّ) بترك القسم لهنّ و ترك التّسوية بينهنّ (وَ يَرْضَيْنَ بِمآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ)قرى تقرّ من الثّلاثىّ المجرّد مبنيّاً للفاعل، و قرئ من باب الافعال مبنيّاً للمفعول، و اعينهنّ بالرّفع فيهما، و قرئ من باب الافعال مبنيّاً للفاعل، و اعينهنّ بالنّصب، و قرئ كلّهنّ بالرّفع تأكيداً لضمير يرضين، و بالنّصب تأكيداً لضميرآ تيتهنّ.

(وَ ٱللَّهُ يَعْلَمُ مٰا فِى قُلُوبِكُمْ) جمع ازواجه او امّته او الجميع معه ﷺ فى الخطاب، او صرف الخطاب عنه الى امّته، او الى امّته و ازواجه.

(وَكٰانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا) عطف بمنزلة التّعليل (حَلِيمًا) فلايعاجلكم بعقوبة ما فى قلوبكم لحلمه، لالجهله، و لالعجزه (لاٰ يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسآءُ مِنْ بَعْدُ) اى من بعد الاجناس المذكورة فى الآية السّابقة كما قيل و كما هو ظاهر الآية.

(وَ لاٰ أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوٰجٍ)اُخر غير المذكورات فى الآية السّابقة، و قيل: انّ منعه من نكاح غير هنّ و من تبديلهنّ مكافاة لهنّ على اختيار هنّ اللّه و رسوله ﷺ.

و قد ورد فى اخبارٍ كثيرةٍ مضمون ما ورد عن الباقر عليه السلام من انّه انّما عنى به لا يحلّ لك النّساء الّتى حرّم اللّه عليك فى هذه الآية حرّمت عليكم امّهاتكم و بناتكم و اخواتكم (الى آخرها) و لو كان الامر كما يقولون كان قد احلّ لنبيّه ان ينكح من النّساء ما اراد الّا ما حرّم فى هذه الآية فى سورة النّساء، و فى بعض الاخبار: احاديث آل محمّد ﷺ خلاف احاديث النّاس.

(وَ لَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلاّٰ مٰا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكٰانَ ٱللَّهُ عَلىٰ كُلِّ شَىْءٍ رَقِيبًا)حتّى على عدد الازواج بالنّسبة اليك و الى امّتك، و

الحصر في العدد و الاقتصار على اشخاص معنيّةٍ من دون الزّيادة عليهنّ و من دون استبداد لهنّ.

(يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟) تأديبٌ للامّة كيف ينبغي ان يعاملوا الرّسول ﷺ الّذي هوابٌ لهم؟ و كيف يكون معاملتهم مع ازواجه؟

(لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ) لعلّهم كانوا يدخلون بيوت النّبيّ ﷺ و بيوت بعضهم من غير اذنٍ و استيناسٍ فنزلت هذه الآية الامر با لاستيناس (إِلَىٰ طَعَامٍ) تعدية الاذن بالى لتضمين معنى الدّعوة (غَيْرَ نَـٰظِرِينَ إِنَىٰهُ) اى ادراكه و نضجه يعنى لا تدخلوا بعد الدّعوة قبل نضج الطّعام و ادراكه للاكل، فانّ ذلك يضيّق المنزل عليه و على اهل بيته.

(وَلَـٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُوا۟ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُوا۟) لما ذكر من تضييق المنزل عليه و على اهل بيته (وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ) اى لحديث محمّد ﷺ او لحديث بعضكم بعضاً و هو عطف على غير ناظرين اناه، او حال عن عامل محذوفٍ و التّقدير و لا تمكثوا مستأنسين لحديثٍ.

(إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِيَّ) لما ذكر من تضييق المنزل و لانّه ربما يريد الخلوة في بيته او مع بعض نسائه (فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ) في ان يأمركم بالخروج.

(وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ) فيأمركم بعدم اللّبث عنده (وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَـٰعًا) اى نساء النّبيّ ﷺ (فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ) عن القميّ انّه لمّا تزوّج رسول اللّه ﷺ زينب بنت جحشٍ و كان يحبّها فاولم و دعا اصحابه و كان اصحابه اذا اكلوا يحبّون ان يتحدّثوا عند رسول اللّه ﷺ و كان يحبّ ان يخلو مع زينب فانزل اللّه عزّوجلّ: يا ايّها الّذين آمنوا لا تدخلو بيوت النّبيّ (الى قوله) من وراء حجابٍ و ذلك انّهم

كانوا يدخلون بلا اذنٍ.

و عن الصّادق ؈: كان جبرئيل اذا اتى النّبىّ ﷺ قعد بين يديه قعدة العبد و كان لا يدخل حتّى يستأذنه و كانت النّساء قبل ذلك يبرزن للرّجل الاجانب من غير حجابٍ كما كانت النّساء يبرزن فى الملل الباطلة للرّجل من غير حجابٍ و لا شكّ انّ دواعى الرّيبة تكون اكثر اذا كنّ بلا حجابٍ.

(ذٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ) من الرّيبة (وَ قُلُوبِهِنَّ وَ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ ٱللَّهِ) عطف للتّعليل للجمل السّابقة و للتّمهيد لما يأتى.

(وَ لَآ أَنْ تَنْكِحُوٓا أَزْوٰجَهُۥ مِنْۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا) لما سبق انّ ازواجه امّهاتهم (إِنَّ ذٰلِكُمْ كَانَ عِنْدَ ٱللَّهِ عَظِيمًا إِنْ تُبْدُوا شَيْـًٔا) كارادة نكاحهنّ بان تقولوا بالسنتكم.

(أَوْ تُخْفُوهُ) بان لا تظهروه بالسنتكم (فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا) تهديد و وعيد.

عن القمّىّ فى نزول الآية: انّه لمّا انزل اللّه النّبىّ اولى بالمؤمنين من انفسهم و ازواجه امّهاتهم، غضب طلحة فقال يحرّم محمّد ﷺ علينا نساءه و يتزوّج هو بنسائنا، لئن امات اللّه محمّداً ﷺ لنركضنّ بين خلاخيل نسائه كما ركض بين خلاخيل نسائنا، فأنزل اللّه تعالى: و ما كان لكم ان تؤذوا رسول اللّه ﷺ (الآية) و لا اختصاص لهذا الحكم بالمدخول بهنّ فان المعقودة الغير المدخول بها فى حكم ازواج الآباء، قيل: لمّا قبض رسول اللّه ﷺ و ولىّ النّاس ابو بكر اتته العامريّة و الكنديّة اللّتان لم يدخل بهما رسول اللّه ﷺ و ألحقهما باهلهما و قد خطبتا، فاجتمع ابو بكر و عمر و قالا لهما اختارا ان شئتما الحجاب و ان شئتما الباه فاختارتا الباه فتزوّجتا فجذم احد الزّوجين و جنّ الآخر.

و قد روى انّ هذا الحكم يجرى فى الوصىّ ايضاً يعنى لايجوز لمن آمن به ان ينكح زوجه.

﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ﴾ استينافٌ جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ كأنّه قيل: هل حكم الحجاب جارٍ فى المحارم؟ او جوابٌ لسؤالٍ مذكور على ما روى انّه لمّا نزلت آية الحجاب قال الاقارب: يا رسول اللّه ﷺ أو نكلّمهنّ نحن ايضاً من وراء حجاب؟ فقال: لا جناح عليهنّ.

﴿فِيٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ﴾ اى النّساء المؤمنات ﴿وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ﴾ قد مضى فى سورة النّور بيان نسائهنّ و بيان ماملكت ايمانهنّ.

﴿وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَ﴾ صرف الخطاب عن المؤمنين اليهنّ تنشيطاً لهنّ للايتمار ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾ حتّى على نيّتكنّ و ابداء زينتكنّ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ﴾ استينافٌ جوابٌ لسؤالٍ ناشٍ من الاهتمام بشأن النّبىّ ﷺ و تفخيمه و استرضائه كأنّه قيل: ما بال النّبىّ ﷺ و قد بالغ اللّه فى تعظيمه و تحفّظ نسائه؟! او ابتداء كلام منقطع عن سابقه و تمهيد لامر المؤمنين بالصّلوة عليه.

﴿يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ﴾.

اعلم، انّ الاخبار فى فضيلة الصّلوة على محمّدٍ و آل محمّد و انّها افضل من جملة الاذكار من طريق الخاصّة و العامّة اكثر من ان تحصى.

ففى بعض الاخبار: من صلّى عليه فى دبر كلّ صلوة الصّبح و صلوة المغرب قضى اللّه له مائة حاجةٍ، سبعين فى الدّنيا و ثلاثين فى الآخرة.

و فى بعضها: انّ ملكاً قائم الى يوم القيامة ليس احد من المؤمنين يقول: صلّى اللّه على محمّدٍ و آله و سلّم الّا و قال الملك: و عليك السّلام، ثمّ يقول الملك: يا رسول اللّه صلى الله عليه وآله انّ فلاناً يقرئك السّلام فيقول رسول اللّه صلى الله عليه وآله: و عليه السّلام، و فى بعضها: كلّ دعاءٍ محجوبٌ عن السّماء حتّى يصلّى على محمّدٍ و آل‌محمّدٍ، و فى بعضها: اذا كان ليلة الجمعة نزل من السّماء ملائكة بعدد الذّرّ فى ايديهم اقلام الذّهب و قراطيس الفضّة لا يكتبون الى ليلة السّبت الّا الصّلوة على محمّدٍ، و آل‌محمّدٍ.

و فى بعضها: ثواب الصّلوة عليه و آله الخروج من الذّنوب كهيئة يوم ولدته امّه، و فى بعضها: لم يبق عليه من ذنوبه ذرّة.

و فى بعضٍ: من صلّى على محمّدٍ و آل‌محمّد عشراً صلّى اللّه عليه و ملائكته الفاً، و فى بعضها: من صلّى على النّبىّ صلوةً واحدةً صلّى اللّه عليه الف صلوةٍ فى الف صفٍّ من الملائكة، و لم يبق شىءٌ ممّا خلق اللّه الّا صلّى على العبد لصلوة اللّه و صلوة ملائكته؛ فمن لم يرغب فى هذا فهو جاهل مغرور قد برأ اللّه منه و رسوله صلى الله عليه وآله و اهل بيته عليهم السلام؛ و فى بعضها: ما فى الميزان شىءٌ اثقل من الصّلوة على محمّد و آل‌محمّدٍ، و فى بعضها: من صلّى علىّ و لم يصلّ على آلى لم يجد ريح الجنّة و انّ ريحها ليوجد من مسيرة خمس مائه عامٍ، و فى بعضها: اذا صلّيت العصر يوم الجمعه فقل: اللّهمّ صلّ على محمّدٍ و آل‌محمّدٍ الاوصياء المرضيّين بافضل صلواتك، و بارك عليهم بافضل بركاتك، و السّلام عليهم و على ارواحهم و اجسادهم و رحمة اللّه و بركاته.

فانّ من قالها بعد العصر كتب اللّه عزّوجلّ له مائة الف حسنةٍ و محا عنه مائه الف سيّئةٍ، و قضى له بها مائة الف حاجةٍ، و رفع له بها مائة الف درجةٍ، و فى بعضها: صلّت الملائكة علىّ و على علىٍّ عليه السلام سبع سنين و ذلك انّه لم يصلّ

معی احدٌ غیره، و فی بعضها: صلّ علی النّبیّ ﷺ کلّما ذکرته، او ذکره ذاکرٌ عندك فی اذانٍ و غیره، و قد أفتی کثیر بوجوب الصّلوة علیه اذاذکرته او ذکره ذاکرٌ عندك.

فضیلة الصّلوة علی النّبیّ ﷺ و اسرارها

و قداختلف الاخبار فی بیان اللّفظ الّذی یصلّی به علیه، و یستفاد من جملتها و اختلافها انّ المقصود هو التّوجّه و الاقبال علیه علی سبیل التّعظیم و لااعتبارلخصوصیّة لفظٍ مخصوصٍ فی ذلك و لذلك اختلف الاخبار فی تعیین اللّفظ، و السّرّ فی فضل الصّلوة و الاهتمام بها و التّأکید فیهاذکر محمّدٍ ﷺ و تفضیلها علی سائر الاذکار.

کما اشیر الیه فی الاخبار انّاللّطیفة السّیّارةالانسانیّة الّتی هی الامانة العظمی الّتی اخرجهااللّه من خزانته الخاصّة به و امرّها علی سماوات الارواح و العقول و النّفوس و علی اراضی الاشباح النّوریّة و الاشباح الطّبیعیّة الّتی یعبّر عنهابالسّماوات الطّبیعیّة و الاراضی الطّبیعیّة و جبال المو الید.

فأبین ان یحملنها لما رأین انّها من مقام الاطلاق و لیس لا ثقاًلحملها الّا ما فیه استعداد الخروج من مقام التّقیّد و الحدود و الوصول الی مقام الاطلاق و الوجوب، و رأین انّ کلّاً منهنّ له مقام معلوم و حدّمخصوص لیس له استعداد الخروج من ذلك المقام و هذا الحدّ، بخلاف هیکل الانسان و مادّة صاحب النّطق و البیان.

فانّه کان فیه استعدادالخروج من الحدّ و الوصول الی الاطلاق فحملها الانسان انّه کان ظلوماً علی جمیع حدوده و تعیّناته جهولاً لجمیع الکثرات و حقوقها عند ظهور سلطان اللّه و وصول الامانة الی الخزانة و بعد الحمل رأی

انّ لها سرّاقاً من عالم الجنّة و الشّيطين يترصّدون الفرصة لسرقتها و قطع طريقها، و انّه لا يمكنه حفظها بدون معاون من سنخ الجنّة و الشّياطين.

فسأل اللّه بلسان حاله حفّاظاً و معاونين فاجابه اللّه تعالى و وكّل عليه من عالم الملائكة ما يكفيه فى حفظها، و رأى انّ لها سرّاقاً من الشّياطين الانسيّة فسأل معاونين من اسناخهم فأجابه اللّه تعالى و ارسل الانبياء و الرّسل و خلفاءهم عليهم السلام ليكونوا معاونين له فى حفظها و ايصالها الى الخزانة، و امرهم باعانة العباد و امر العباد باتّباعهم.

و لمّا كانت الاعانة و الاتّباع فى ذلك لم يكن ممكناً الّا با لا تّصال الرّوحانىّ بخلفاء اللّه عليهم السلام و دخول الحافظ الّذى هو صورة نازلة منهم فى قلوب العباد و هو المعبّر عنه با لا يمان الدّاخل فى القلب و ذلك الاتّصال و هذا الدّخول اى دخول الحافظ فى قلوب العباد لا يمكن الّا با لا تّصال الصّورىّ و التّوجّه التّامّ من الخلفاء و الاستغفار للعباد و التّوبة و الانقياد التّامّ من طرف العباد و هذه هى البيعة الّتى كانت معمولة من لدن آدم عليه السلام الى زمان الخاتم صلى الله عليه و آله و كانت مقرّرة عندهم بشرائطها، و ما لم يكن العباد يبايعون احدى البيعتين لم يكونوا داخلين فى الدّين و لم يسمّوا مسلمين و لا مؤمنين.

و اذا كان واحد منهم يبايع احدى البيعتين لم يكن له عمل اعظم من التّوجّه الى من بايع معه و النّظر اليه و الجلوس معه و الخدمة و التّعظيم له و التّأمّل فى شؤنه و جذبه بحسب روحانيّته الى نفسه و انجذاب نفسه بكثرة تذكّر شؤنه اليه.

و لمّا كان محمّد صلى الله عليه و آله اصل جميع الخلفاء و كلّ الخلفاء كانوا اظلاله و شؤنه كان كلّما يحصل من جميع الخلفاء عليهم السلام يحصل منه صلى الله عليه و آله و كلّما يلزم لجميع الخلفاء من النّظر و الخدمة و التّعظيم و التّذكّر و التّأمّل فى شؤنهم يلزم له

وحده، و كان كلّ من بايع واحداً من الخلفاء كان كمن بايع محمّداً ﷺ فكان كلّ من دخل فى الاسلام او الايمان لم يكن له عملٌ اعظم قدراً و افخم اجراً من التّوجّه الى محمّدٍ ﷺ و التّذكّر له و الدّعاء له و طلب الرّحمة عليه و الانجذاب اليه بحيث يظهر هو او احد من خلفائه بحسب ملكوته على صدره.

و لذلك ورد عن ابى عبد اللّه عليه السلام انّه قال: جاء رجل الى رسول اللّه ﷺ فقال: اجعل نصف صلواتى لك؟ ـ قال: نعم، ثمّ قال: اجعل صلواتى كلّها لك؟ ـ قال: نعم، فلمّا مضى قال رسول اللّه ﷺ: كُفى همّ الدّنيا و الآخرة.

و فى خبرٍ عنه عليه السلام: انّ رجلاً اتى رسول اللّه ﷺ فقال: يا رسول اللّه ﷺ انّى جعلت ثلث صلواتى لك، فقال له: خيراً، فقال: يا رسول اللّه ﷺ انّى جعلت نصف صلواتى لك، فقال له، ذلك افضل، فقال: انّى اجعل كلّ صلواتى لك؟ فقال: اذن يكفيك اللّه عزّوجلّ ما اهمّك من امر دنياك و آخرتك، فقاغل له رجل: اصلحك اللّه كيف يجعل صلواته له؟ فقال ابو عبد اللّه عليه السلام لا يسأل اللّه عزّوجلّ الّا بدأ بالصّلواة على محمّدٍ و آله.

و امثال هذه الاخبار كالقرآن ذات وجوهٍ و هى مرادة بكلّ وجوهها بحسب مراتب النّاس فانّ الصّلوة تكون بمعنى الدّعاء، و الغائب عن الحضور لا يكون صلوته لمحمّدٍ ﷺ الّا دعاءه له، و يكون بمعنى الصّلوة المشروعة المشتملة على الافعال و الاذكار المخصوصة، و الحاضر عند محمّدٍ ﷺ.

يجوز ان يكون معنى صلوته له دعاءه له و ان يكون معنى صلوته له ان يكون فى صلوته المشروعة غير ناظرٍ الى غيره، و يكون المخاطب فى الصّلوة بل المتكلّم بل الفاعل محمّداً ﷺ.

كما هو شأن من حصل له حالة الحضور عند شيخه، و من حصل له هذه الحالة كفى جميع مهمّاته، بل حصل له جميع خيرات الدّنيا و الآخرة، بل يكون

له الغناء عن الدّنيا و الآخرة.

و لذلك كان المشايخ رضوان اللّه عليهم مهتمّين بتحصيل هذه الحالة للسّالكين و لم يكن للسّالكين منظورٌ الّا حصول هذه الحال، و كان مشايخ العجم يأمرون السّلاك بجعل صورة الشّيخ نصب عيونهم تعمّلاً حتّى يحصل بتلك التّعمّل هذه الحال، و بعد ما يقال لهم: انّ هذا كفر و تقيّد بالصّورة و اشتغال عن المعبود و المسمّى با لا سم، يجيبون بانّ هذا كفر و تشبّه بعبادة الاصنام لكنّه كفر فوق الكفر و الايمان؛ و اليه اشار المولوىّ قدّس سرّه:

آينه دل چون شود صافىّ و پاك
نقشها بينى برون از آب و خاك
هم ببينى نقش و هم نقّاش را
فرش دولت را و هم فرّاش را
چون خليل آمد خيال يار من
صورتش بت معنى او بت شكن
شكر يزدان را كه چون او شد پديد
در خيالش جان خيال او نديد

و هذا الشّعر اشارة الى انّ الحضور لدى الشّيخ و ان كان ظاهره قيداً و كفراً لكنّه بحسب المعنى و الواقع اطلاقٌ عن القيد لا انّه تقيّد به.

و معنى الصّلوة من اللّه الرّحمة عليه و من الملائكة تزكيته كما فى الخبر، او طلب نزول الرّحمة من اللّه عليه، و من العباد طلب الرّحمة من اللّه تعالى عليه، و لمّا كان المؤمن فعليّته الاخيرة هى الصّورة النّازلة من ولىّ امره و هى صورة نازلة من محمّد صلّى اللّه عليه و آله كان طلبه الرّحمة من اللّه على محمّدٍ صلّى اللّه عليه و آله طلباً للرّحمة على فعليّته الاخيرة فكان صلوته على محمّدٍ صلّى اللّه عليه و آله دعاءً لنفسه.

و لذلك ورد فى خبرٍ عن الرّضا عليه السّلام: و انّما صلوتنا رحمة عليه و لنا

قربة، و لمّا كان محمّد ﷺ مظهراً تامّاً للّه كان من توجّه اليه و طلب الرّحمة من اللّه عليه توجّه اللّه اليه بمضمون: من تقرّب اليّ شبراً تقرّبت اليه باعاً؛ اكثر من توجّهه الى اللّه بعشرٍ او بالفٍ او با كثر بحسب استعداد المصلّی، و توجّه اللّه اليه ليس الّا صلوته و نزول رحمته على العبد، و لمّا كان اللّه حقيقة كلّ ذی حقيقة كان اذا توجّه الى شیءٍ توجّه كلّ الاشياء اليه، فاذا صلّى اللّه على عبدٍ لم يبق شیءٌ الّا و صلّى عليه خصوصاً الملائكة المقرّبون لقربهم من اللّه تعالى و لذلك اقتصر فی بعض الاخبار على ذكر الملائكة، و فی بعضها اشير الى انّه لا يبقى شیءٌ الّا و صلّى عليه.

(وَ سَلِّمُوا تَسْلِيمًا) يستفاد من بعض الاخبار انّ المراد بقوله سلّموا تسليماً التّحيّة الاسلاميّة، و من بعضها انّ المراد التّسليم و الانقياد له فيما جاء به من عند اللّه، و من بعضها انّ المراد الانقياد له فيما جاء به من خلافة علیٍّ عليه السلام و من بعضها انّ المراد الانقياد لوصيّه ﷺ.

(إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَ رَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَ ٱلْأٓخِرَةِ) الجملة جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ و تعليلٌ لقوله: ما كان لكم ان تؤذوا رسول اللّه، و انّما قال يؤذون اللّه مع انّ المقصود ايذاء الرّسول ﷺ اشارة الى انّ ايذاء رسول اللّه ﷺ ايذاء للّه تعالى.

(وَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا) تعريض بمن آذى عليّاً عليه السلام و فاطمة عليها السلام.

فانّه صلّى اللّه قال: فاطمة بضعة منّی فمن آذاها فقد آذانی، و قال: من آذاها فی حيوتی كمن آذاها بعد موتی، و من آذاها بعد موتی كمن آذاها فی حيوتی، و من آذاها فقد آذانی، و من آذانی فقد آذى اللّه، و هو قل اللّه عزّوجلّ: انّ الّذين يؤذون اللّه و رسوله، و عن علیّ عليه السلام انّه قال و هو آخذ

بشعره فقال: حدّثنى رسول اللّه صلى الله عليه وآله و هو آخذ بشعره، فقال: من آذى شعره منك فقد آذاني، و من آذاني فقد آذى اللّه، و من آذى اللّه فعليه لعنة اللّه.

(وَ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَ ٱلْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا)بغير معصية منهم استحقّوا بها الايذاء.

(فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا بُهْتَانًا)كذباً يعنى انّ اذاهم بنسبة شيءٍ اليهم لم يفعلوه و لم يكن فيهم، او المقصود انّ ايذاء المؤمن ليس الّا امراً باطلاً و كلّ باطلٍ كذبٌ و بهتانٌ.

فاطمة عليها السلام لا ينافى عمومها لجميع المؤمنين و المؤمنات، قال فى تفسير عليّاً عليه السلام، و السّرّ فى ذلك انّ المؤمن من حيث ايمانه ليس الّا ولىّ امره، و ايذاؤه من حيث ايمانه ليس الّا ايذاء ولىّ امره، و ايذاء ولىّ أمره علىّ عليه السلام و هو ايذاء اللّه (يَـٰٓأَيُّهَا النّبىّ صلى الله عليه وآله و سائر الامّة (قُلْ لِأَزْوَٰجِكَ وَ بَنَاتِكَ وَ نِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَـٰبِيبِهِنَّ)كنّ لا يغطّين وجوههنّ و سائر مواضع زينتهنّ بجلبابهنّ فأمرهنّ اللّه تعالى بستر الوجوه و الصّدور بالجلابيب حتّى يتميّزن عن سائر النّساء بذلك، والجلباب للنّساء ثوبٌ وسيعٌ يلبسنه فوق الثّياب دون الملحفة او هو الملحفة.

(ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَنْ يُعْرَفْنَ)بتميّزهنّ من الاماء و القيان و سائر النّساء (فَلَا يُؤْذَيْنَ)قيل: كان سبب نزولها انّ النّساء كنّ يخرجن الى رسول اللّه صلى الله عليه وآله فاذا كان باللّيل و خرجن الى صلوة المغرب و العشاء الآخرة و الغداة يقعد الشّباب لهنّ فى طريقهنّ فيؤذونهنّ و يتعرّضون لهنّ.

(وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا)فيغفر تقصيرهنّ فيما سلف و يرحمهنّ بتعليم آداب المعاشرة لهنّ (لَئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ)لمّا اراد تهديد اهل الرّيبة الّذين كانوا يتعرّضون للنّساء فى

الطّرق ضمّ معهم المنافقين و المرجفين ﴿وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ﴾ الّذين يرجفون اى يخوضون فى اخبار الفتن و يثيرون الفتن بين النّاس.

﴿لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لاَ يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ زماناً او جواراً قليلاً، او هو مستثنى من الفاعل ﴿مَلْعُونِينَ﴾ حالٌ من فاعل لايجاورونك.

﴿أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا﴾ حال آخر منه او من مرفوع ملعونين ﴿أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلاً﴾ ان لم ينتهوا يخرجوا من المدينة بأسوء حالٍ جامعين بين اللّعن و الطّرد من الرّحمة فى الدّنيا و الآخرة و بين التّضييق بالقتل و الاخذ و بين لعن النّاس لهم و بين التّضييق عليهم بالقتل اينما ثقفوا.

﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ﴾ من الانبياء عليهم السلام و مرجفى اممهم ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلاً يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ﴾ قد مرّ مراراً انّ الّساعة فسّرت بساعة الموت و هى القيامة القائم عليه السلام و هى ايضاً قيامةٌ اخرى اختياريّة القائم عليه السلام ، و لمّا كان كلّ ذلك فى طول الزّمان لا فى عرضه و لا يمكن للمحجوبين بحجب الزّمان و المكان ادراكها، و لا يعلمها الّا من خرج من حدود الزّمان و المكان و لحق بالملأ الاعلى و علم بعلم اللّه الّذى هو عند اللّه لا عند الخلق امره اللّه ان يجيبهم بالاجمال.

فقال ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ و انتم تكونون عند النّاس و لا يعلم العلم الّذى يكون عند اللّه الّا من كان عند اللّه و علم بعلم اللّه ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ يعنى انّ الّساعة و ان كانت فى طول الزّمان و المتقيّدون بالزّمان متباعدون منها غاية البعد لكنّها قريبة منهم غاية القرب لانّها بمنزلة الرّوح للزّمان و الزّمانيّات و روح الّشىء اقرب من كلّ شىءٍ اليه.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ كان المناسب ههنا ان يكون المراد بالكافرين الكافرين بالّساعة ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا

لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا يَوْمَ تُقَلَّبُ) متعلّق بقوله لا يجدون او بيقولون.

(وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَـٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ على علیه السلام (وَ قَالُوا رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سادَتَنا) و قرىء ساداتنا على جمع الجمع (وَ كُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا)قرىء الرّسول و السّبيل بالالف و اجراء الوصل على حال الوقف.

(رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ)لضلالهم و اضلالهم ايّانا (وَ ٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا)و قرىء كثيراً بالثّاء المثلّثة. القمىّ كناية عن آل محمّد صلی الله علیه وآله حقّهم ياليتنا اطعنا اللّه و اطعنا الرّسولا يعنى فى اميرالمؤمنين علیه السلام و السّادة و الكبراء هما اوّل من بدأ بظلمهم و غصبهم فأضلّونا السّبيلا اى طريق الجنّة و السّبيل اميرالمؤمنين علیه السلام.

(يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا)فى حقّه و آذوه، و كان مناسب المقام من حمل علىّ علیه السلام و علىٍّ علیه السلام و فاطمة علیها السلام ان يكون المعنى لا تكونوا فى ايذاء الرّسول علىٍّ علیه السلام كالّذين آذوا موسى.

(وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا)و ذلك انّ موسى كان حيّياً لا يغتسل الّا فى موضعٍ لا يراه احد فقال بعض انّه عنّين.

و قال بعض: انّه ليس له ما للرّجال، و قال بعض: انّ به عيباً امّا برص او اُدْرة[1] فذهب مرّة يغتسل و وضع ثوبه على حجرٍ فمرّ موسى علیه السلام فرآه بنو اسرائيل عرياناً كأحسن الرّجال فبرّأه اللّه ممّا قالوا.

١- الادرة= بالضّمّ الفتق.

(يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَ قُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا) لمّا نهى المؤمنين عن ايذاء الرّسول ﷺ بنسبة ما لا يليق به اليه من انّه يريد ان يجعل ابن عمّه اميراً علينا.

عليّ عليه السلام من اللّه تعالى او امثال ذلك اراد ان يأمرهم بان يقولوا قولاً صدقاً لا شوب بطلان فيه و لا يتولّد منه شينٌ على القائل او المقول فيه او احد من المؤمنين و لا يكون فيه اذى احد من المؤمنين.

(يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ)الّتى تعملونها ان كان فيها خلل و فساد يعنى انّ اللّسان رئيس سائر الاعضاء فان صلح و صلح ما يجرى عليه يصلح اللّه جميع اعمال الاعضاء.

الصّادق عليه السلام انّه قال لعبّاد بن كثير الصّوفيّ البصريّ: و يحك، يا عبّاد غرّك ان عفّ بطنك و فرجك؟! انّ اللّه عزّوجلّ يقول فى كتابه: يا ايّها الّذين آمنوا اتّقوا اللّه و قولوا قولاً سديداً يصلح لكم اعمالكم، اعلم، انّه لا يقبل اللّه منك شيئاً حتّى تقول قولاً عدلاً، و هذا الخبر يدلّ على انّ اهل العلم و العرفان اذا لم يكونوا مجازين فى القول لا ينبغى ان يقولوا حقّاً فانّ اصل سداد القول بان يكون باذنٍ من اللّه، و لا سيّما اذا كان فيما يتعلّق بدين اللّه، و اذا اجيزوا لا ينبغى ان يقولوا الّا ما علموه و عرفوه انّه حقّ، فالويل كلّ الويل لمن تشبّه باهل الحقّ من الصّوفيّة و العلماء! فيجرى على لسانه كلّ ما خطر على قلبه من غير اذن و اجازة من اللّه فى القول.

(وَ مَنْ يُطِعِ ٱللَّهَ وَ رَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا) يعنى عليّ عليه السلام كما فى الاخبار (إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَ ٱلْأَرْضِ وَ ٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَ أَشْفَقْنَ مِنْهَا وَ حَمَلَهَا ٱلْإِنسَـٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا)المراد با لا مانة كما اشير اليه فى

سورتى النّساء و المؤمنون و غير هما و فى هذه السورة قبيل هذا اللّطيفة السّيّارة الانسانيّة الّتى لم يكن فى خزانة الحقّ تعالى شأنه جوهوا بهى و امثل منها، فأخرجها من خزانته الغيبيّة و عرضها على سماوات العقول و النّفوس و سماوات الافلاك الطّبيعيّة بان امرّها عليها ثمّ عرضها على اراضى العناصر ثمّ على جبال المواليد فأبى الكلّ من حملها لما لم يكن لها بأهل.

لانّ هذه الجوهرة بذاتها كانت تقتضى محلّاً مأمناً عليه حفّاظ كثيرة لكثرة سرّاقها و حسّادها و مستعدّاً للخروج من التّقيّد و الحدود و الوصول الى عالم الاطلاق، و كلّ تلك المذكورات امّا لم يكن مستعدّاً للخروج من الحدود او لم بكن مستعدّاً او لا مأمناً و لا عليه حفّاظ. فأشفق كلّ منها عليها و من فنائها و هلاكها و تضرّع على اللّه ان يعفيه منها، ثمّ عرضها عالى المولود الاخير و غاية الكلّ و نهاية الجميع فوجده اهلاً لحمله، و نظر الانسان الى استعداده و قوّة الخروج عن الحدود فاشتاق اليها و تقبّلها و سأل الحفّاظ و المعاونين من سنخ الجنّة و الشّياطين و سأل الحفّاظ من سنخ الاناسىّ فأعطاه اللّه ذلك.

و بهذا البيان للامانة يجتمع المختلفات من الاخبار و يتوافق المتخالفات منها؛ فقد فسّرت فيها بمطلق التّكليف، و بالصّلوة، و باالمحمّد، و بتمنّى منزلتهم، و بمطلق الامانة، و بولاية علىّ بن ابى طالب عليه السلام، و بشهادة حسين بن علىّ عليه السلام، و بالخلافة المغصوبة، و باختلاف التّفاسير فى آدم عليه السلام و غاصبى الخلافة و مطلق الانسان و هكذا الظّلوم و الجهول، فمن اراد الاطّلاع على اختلاف الاخبار فليرجع الى كتب التّفاسير و الاخبار.

(لِيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَافِقِينَ وَٱلْمُنَافِقَاتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَاتِ)تعليل لعرض الامانة او لحملها الانسان كما انّ قوله: انّا عرضنا الامانة كان تعليلاً لقوله اتّقوا اللّه و قولوا قولاً سديداً او لقوله يصلح لكم و يغفر

ذنوبكم كأنّه قال: اتّقوا سخط اللّه و عذابه لانّا لم نعرض الامانة على الّسماوات و الارض الّا لتميّز المنافق و المشرك عن المؤمن و الّا لعذاب المنافق و ثواب المؤمن او يصلح لكم اعمالكم و يغفر لكم ذنوبكم لانّا لم نعرض الامانة الّا لذلك، و تقديم عذاب المنافق و نسبة العذاب الى اللّه لكون لمحمّدٍ صلّى الله عليه وآله عن طاعة المنافقين.

و نقل عنهم انّ سورة الاحزاب فضحت نساء قريشٍ من العرب و كانت اطول من سورة البقرة و لكن نقّصوها و حرّفوها فادّى تعالى شأنه عذاب المنافقين كأنّه هو الغاية، و نسب العذاب الى نفسه لذلك، و لان يختم الّسورة بثواب المؤمنين و رحمتهم.

(وَ يَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَ ٱلْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا)فالغاية بالذّات ليست الّا مغفرة اللّه و رحمته للمؤمنين فهو استدراك لما يتوهّم من كون الغاية بالذّات هو عذاب المنافقين او عذابهم و رحمة المؤمنين.

فهرستهای پنجگانه

فهرست اعلام

فهرست ترجمه‌ی اخبار

فهرست اخبار متن

فهرست ابیات

فهرست منابع

فهرست اعلام

اشخاص

اقوام

پیشوایان معصوم

شاعران

کتب آسمانی

ملل

واژهای‌عرفان

فهرست ترجمه‌ی اخبار

مبعوث نمود و او را به عنوان نجات دهنده انتخاب کرد، و دریا را برای او شکافت و بنی اسرائیل را نجات داد و تورات و الواح را به او داد و موقعیّت و جای خود را نسبت به پروردگارش دید، گفت: پروردگارا مرا به کرامتی اکرام نمودی که هیچ احدی را قبل از من به آن کرامت اکرام نکردی. پس خدای تعالی فرمود: ای موسی آیا ندانستی که محمّد صلّی الله علیه و آله نزد من برتر از جمیع ملائکه و جمیع خلق من است؟ موسی علیه السّلام گفت: پروردگارا اگر محمّد صلّی الله علیه و آله نزد تو از جمیع خلقت گرامی‌تر است آیا در آل پیامبران برتر از آل من وجود دارد؟ خدای تعالی فرمود: ای موسی آیا ندانستی که فضل و برتری آل‌محمّد صلّی الله علیه و آله بر جمیع آل‌پیامبران مانند فضل محمّد صلّی الله علیه و آله بر جمیع مرسلین است؟ پس موسی علیه السّلام گفت: اگر آل‌محمّد صلّی الله علیه و آله چنین است آیا در امّت‌های انبیا: نزد تو برتر و افضل از امّت من هست؟ که بر امّت من از ابر سایه افکندی و منّ و سلوی بر آنان نازل کردی و دریا را شکافتی. پس خدای تعالی فرمود: ای موسی آیا ندانستی که فضل و برتری امّت محمّد صلّی الله علیه و آله بر جمیع امت‌ها مانند فضل محمّد صلّی الله علیه و آله بر جمیع خلق من است؟موسی علیه السّلام گفت: پروردگارا کاش من آنان را می‌دیدم، خدای تعالی به او وحی کرد: یا موسی و امّت محمّد صلّی الله علیه و آله را هرگز نخواهی دید، چون وقت ظهور آنان نیست، ولیکن در آینده آنان را در بهشت خواهی دید، در بهشت‌های عدن و فردوس در حضور محمّد صلّی الله علیه و آله می‌بینی که در نعمت‌های بهشتی می‌چرخند و در خیرات بهشت خوشحال می‌شوند، آیا دوست داری کلام آنان را به تو بشنوانم؟ موسی علیه السّلام گفت: بلی الهی. خدای متعال فرمود: در محضر من بایست و کمرت را ببند و مانند عبد ذلیل که در جلو پادشان بزرگ می‌ایستند بایست، پس موسی علیه السّلام چنین کرد. آنوقت پروردگار عزّوجلّ ندا کرد: ای امّت محمّد صلّی الله علیه و آله، همه‌ی آنان جواب دادند در حالی که در اصلاب پدران و در ارحام مادرانشان بودند و گفتند: [لبیّك لبیّك لا شریك لك لبیّك انّ الحمد و النّعمة و الملك لك لا شریك لك.] ۱۷۶

نبیّ صلّی الله علیه و آله فرمود: خدای تعالی این اجابت را شعار حج کننده‌ها قرار داد، سپس پرودرگار عزّوجلّ ندا کرد: ای امّت محمّد صلّی الله علیه و آله حکم من بر شما چنین است که رحمتم بر غضبم پیشی گرفته و عفوم قبل از عقاب من است، و من دعای شما

بود و عبرت می‌گرفت و چیزی یاد می‌گرفت که با آن بتواند بر نفسش غلبه کند و در مقابله با هوای نفسش مجاهده نماید، و از شیطان احتراز کند. و قلبش را با تفکّر و عبرت مداوا می‌کرد، و جز در چیزی که سودبخش بود نمی‌اندیشید و بر چیزی نمی‌نگریست مگر اینکه به اوکمك رساند. بدین جهات بود که به او حکمت داده شد، و عصمت بخشیده‌شد، خدای تعالی هنگامی که روز نصف شد، چشمها به خواب قیلوله و نیمروز رفت و آرام شد به گروههایی از ملایکه دستور داد به لقمان ندا کردند به نحوی که صدا را می‌شنید ولی آنها را نمی‌دید، پس گفتند: ای لقمان آیا می‌خواهی خدا تو را در زمین خلیفه قرار دهد بین مردم حکم کنی؟ لقمان گفت: اگر پروردگارم مرا به این امر کند که گوش می‌دهم و اطاعت می‌کنم، چون اگر خداوند این کار را درباره‌ی من انجام دهد مرا کمك می‌کند و تعلیم می‌دهد و مرا حفظ و نگهداری می‌کند ولی اگر مرا مخیّر بگذارد عافیت و راحتی را قبول می‌کنم.

ملائکه گفتند: ای لقمان چرا چنین کردی؟ گفت: حکم بین مردم سخت‌ترین منازل از دین است و فتنه و بلا از آن بیشتر است وچیزی است که خواری می‌آورد و هیچ کس کمك نمی‌کند و ظلم حاکم را از هر طرف می‌پوشاند و صاحب حکم بین دو امر قرار می‌گیرد، اگر به حقّ حکم کند و به حقّ اصابت نماید پس شایسته سلامت است، و اگر خطا کند که راه بهشت را خطا کرده است. و کسی در دنیا ضعیف و ذلیل باشد آسانتر از آن حاکم شریفی است که در آخرت سرگردان باشد، و هر کس دنیا را بر آخرت ترجیح دهد در هر دو خسارت می‌کند، که دنیا زایل می‌شود و به آخرت هم نمی‌رسد.

ـ امام فرمود: ملائکه از حکمت او تعجّب کردند، و خداوند منطق او را پسندید، وقتی شب شد و لقمان به بستر خواب رفت خدای تعالی حکمت را بر او نازل کرد و با آن او را از سر تا پایش پوشانید، در حالی که او خواب بود و با حکمت او را پوشانید، وقتی بیدار شد حکیم‌ترین مردم در زمان خودش بود، بین مردم که می‌رفت سخنان با حکمت می‌گفت و حکمت را در میان آنان نشر می‌کرد. وقتی حکم به خلافت او داده شد و او قبول نکرد خداوند به ملائکه دستور داد

از امام‌باقر علیه السلام آمده‌است: زنی از انصار خدمت رسول خدا صلی الله علیه و آله در منزل حفصه رسید، که آرایش کرده و لباس پوشیده و شانه زده‌بود، عرض کرد: یا رسول‌الله‌زن به خواستگاری مرد نمی‌رود، ولی من زنی هستم بیوه که مدّت زمانی است شوهر و فرزند ندارم؛ آیا تو احتیاجی به‌من نداری؟ اگر تو قبول کنی من خودم را به تو هبه می‌کنم؛ پس رسول خدا صلی الله علیه و آله دعای خیر در حقّ او نمود، سپس فرمود: ای خواهر انصار خدا به شما جزای خیر بدهد که مردان شما به من کمك کردند و زنان شما به من رغبت نشان دادند.

فهرست اخبار متن

بكى على موت احدٍ منهم. و لم يمرّ برجلين يختصمان او يقتتلان الّا اصلح بينهما، و لم‌يمض عنهما حتّى تحابّا [او تحاجزا] و لم يسمع قولاً قطّ من احدٍ استحسنه الّا سأل عن تفسيره و عمّن اخذه فكان يكثر مجالسة الفقهاء و الحكماء و كان يغشى القضاة و الملوك و السّلاطين فيرثى للقضاة ممّا ابتلوا به، و يرحم الملوك و السّلاطين لغرّتهم و طمأنينتهم فى‌ذلك، و يعتبر و يتعلّم ما يغلب به نفسه و يجاهد به هواه و يحترز به من الشّيطان، و كان يداوى قلبه بالتّفكّر و العبر و كان لا يظعن الّا فيما ينفعه، فبذلك‌اوتى الحكمة و منح العصمة و انّ اللّه تبارك و تعالى امر طوائف من الملائكة حين انتصف النّهار و هدأت العيون بالقائلة فنادوا لقمان حيث يسمع و لايراهم.

فقالوا: يا لقمان هل لك‌ان يجعلك‌اللّه خليفةً فى الارض تحكم بين النّاس؟ فقال لقمان: ان امرنى ربّى بذلك‌فالّسمع و الطّاعة لانّه ان فعل بى ذلك اعاننى عليه و علّمنى و عصمنى، و ان هو خيّرنى قبلت العافية. فقالت الملائكة: يا لقمان لم قلت ذلك؟ قال: لانّ الحكم بين النّاس باشدّ المنازل من الدّين و اكثرفتناً و بلاءً و ما يخذل و لايعان و يغشاه الظّلم من كلّ مكانٍ و صاحبه منه بين امرين، ان اصحاب فيه الحقّ فبالحرىّ ان يسلم، و ان اخطأ أخطأ طريق الجنّة، و من يكن فى الدّنيا ذليلاً ضعيفاً كان اهون عليه فى المعاد من ان يكون فيه حكماً سريّاً شريفاً، و من اختار الدّنيا على الاٰخرة يخسرهما كلتيهما تزول هذه و لايدرك تلك، قال: فعجبت الملائكة من حكمته و استحسن الرّحمن منطقه.

فلمّا امسى و اخذ مضجعه من اللّيل انزل اللّه عليه الحكمة فغشّاه بها من قرنه الى قدمه و هو نائم و غطّاه باحكمة غطاءً فاستيقظ و هو احكم النّاس فى زمانه، و خرج على النّاس ينطق بالحكمة و يبثّها فيهم قال: فلمّا اوتى الحكم بالخلافة و لم يقبلها امر اللّه عزّوجلّ الملائكة فنادت داود عليه السلام بالخلافة فقبلها و لم‌يشترط فيها بشرط لقمان عليه السلام فأعطاه اللّه عزّوجلّ الخلافة فى الارض و ابتلى فيها غير مرّة كلّ ذلك يهوى فى الخطاء و يقيله اللّه تعالى و يغفرله، و كان لقمان يكثر زيارة داود عليه السلام و يعظه بمواعظه و حكمته و فضل علمه، و كان داود يقول له: طوبى لك يا لقمان اوتيت الحكمة و صرفت عنك البليّة، و اعطى داود الخلافة و

و ادخلهم جنّته وءامنهم خوفهم و اذهب رعبهم. ۷۱۰

فی خبرٍ عن الصّادقؑ فی هذه الاٰیة انّه قال: لا ینامون حتّی یُصلّوا العتمة. ۷۱۰

و عن علیّؑ انّه: لایجتمع حبّنا و حبّ عدوّنا فی جوف انسانٍ انّ اللّه لم یجعل لرجلٍ قلبین فی جوفه، فیحبّ، بهذا و یبغضؑ بهذا. ۷۱۶

و عن الصّادقؑ فمن کان قلبه متعلّقاً فی صلوته بشیء دون اللّه فهو قریبٌ من ذلك الشّیء بعید عن حقیقة ما اراد اللّه منه فی صلوته، ثمّ تلا هذه الآیة (وَ مٰا جَعَلَ أَزْوٰجَکُمُ ٱلّٰـئِی تُظٰـهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهٰـتِکُمْ) زعمت العرب انّ من قال لزوجته: انت علیّ کظهر امّی صارت زوجته کأمّه فی حرمة المواقعة فقال تعالی ردّاً علیهم: ما جعل ازواجکم (الآیة) (وَ مٰا جَعَلَ أَدْعِیآءَکُمْ أَبْنآءَکُمْ) الدّعیّ کالغنیّ من تبنّیته فعیل بمعنی المفعول و من کان متّهماً فی نسبه، نزلت فی زید بن حارثة الکلبیّ عتیق رسول‌اللّهؐ........................ ۷۱۷

و سبب ذلك علی مانقل عن القمی عن الصّادقؑ انّ رسول‌اللّهؐ اشتری زیداً بعد تزویجه خدیجةؑ فلمّا نبیّؐ دعا زیداً الی الاسلام فأسلم و کان یدعی مولی محمّدٍؐ فاتی حارثة اباطالبؑ و قال له: قل لا بن اخیك: امّا ان یبیعه، و امّا ان یفادیه: و امّا ان یعتقه، فلمّا قال ذلك ابوطالبؑ لرسول‌اللّهؐ قال: هو حرّ لوجه اللّه فلیذهب حیث شاء، فقام حارثة و اخذ بید زیدٍ و قال: یا بنیّ الحق بشرفك و حسبك.

فقال: لست افارق رسول اللّهؐ ابداً فغضب ابوه و قال: یا معشر قریش اشهدوا انّی بریء منه و لیس هو ابنی فقال رسول‌اللّهؐ: اشهدوا انّ زیداً ابنی ارثه و یرثنی و کان یدعی زید بن محمّدٍؐ فلمّا هاجر رسول‌اللّهؐ زوّجه زینب بنت جحشٍ و أبطأ عنه یوماً فأتی رسول‌اللّهؐ منزله فاذا زینب جالسة وسط حجرتها تسحق طیباً بفهرٍ لها.

فنظر الیها رسول‌اللّهؐ و کانت جمیلةً فوقعت فی قلب رسول‌اللّهؐ فقال: سبحان خالق النّور و تبارك اللّه احسن الخالقین،ثمّ رجع و جاء زید الی منزله فأخبرته زینب بما وقع فقال زید: هل لك ان اطّلقك حتّی یتزوّجك رسول

زوجها جعفر بن ابی طالب علیه السّلام دخلت علی نساء رسول‌اللّه صلی الله علیه و آله فقالت: هل فینا شیءٌ من القرآن؟ قلن: لا، فأتت رسول اللّه صلی الله علیه و آله فقالت: یا رسول اللّه انّ النّساء لفی خیبةٍ و خسارٍ فقال: و ممّ ذلك؟ ـ قالت: لا نهنّ لایذکرن بخیرٍ کما یذکر الرّجال فأنزل اللّه تعالی هذه الآیة. ۷۳۷

روی عن السّجّاد علیه السلام انّ الّذی اخفاه فی نفسه هو انّ اللّه سبحانه اعلمه انّها ستکون من ازواجه و انّ زیداً سیطلّقها فلمّا جاء زید و قال له: اریدان اطلّق زینب، قال له: امسك علیك زوجك فقال سبحانه: لم قلت: امسك علیك زوجك؟ و قد اعلمتك انّها ستکون من ازواجك.......................... ۷۳۹

نسب الی الباقر علیه السلام انّه قال زوّج رسول‌اللّه صلی الله علیه و آله زینب زیداً فمکث عند زیدٍ ما شاء اللّه ثمّ انّهما تشاجرا فی شیءٍ الی رسول‌اللّه صلی الله علیه و آله فنظر الیها رسول اللّه فأعجبته فقال زید: یا رسول‌اللّه صلی الله علیه و آله اتأذن لی فی طلاقها فانّ فیها کبراً و انّها لتؤذینی بلسانها؟ ـ فقال رسول‌اللّه صلی الله علیه و آله: اتّق اللّه و امسك علیك زوجك و احسن الیها، ثمّ انّ زیداً طلّقها و انقضت عدّتها فأنزل اللّه عزّوجلّ نکاحها علی رسوله صلی الله علیه و آله.. ۷۴۰

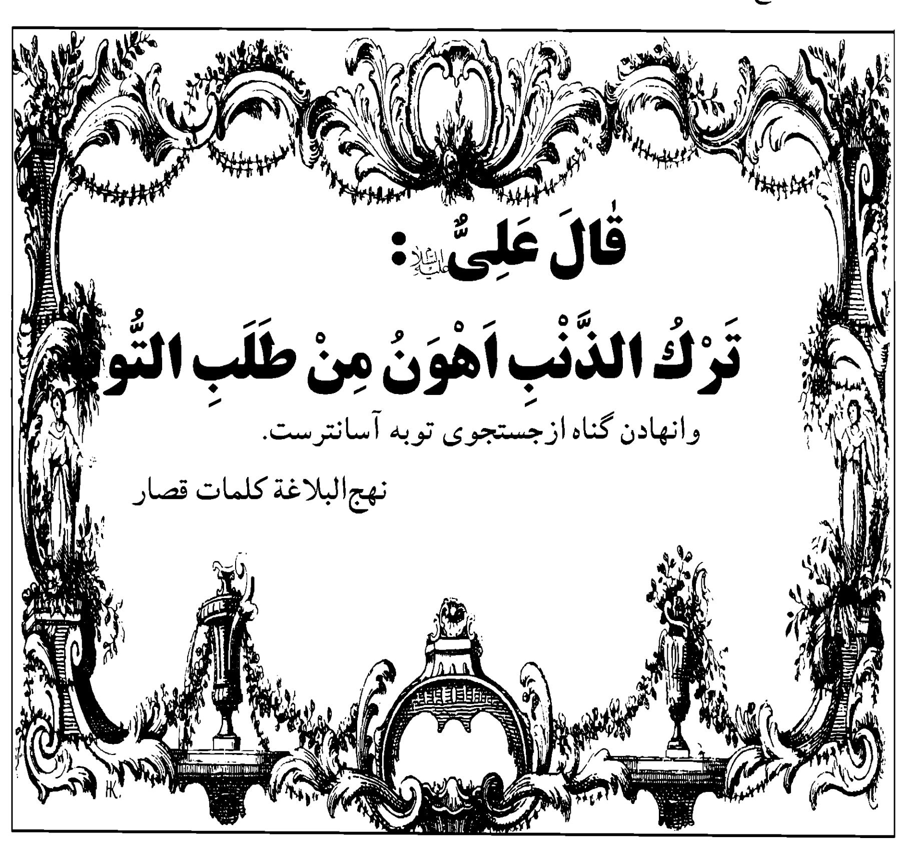
و عن الرّضا علیه السلام فی حدیثٍ انّ اللّه تعالی عرّف نبیّه صلی الله علیه و آله اسماء ازواجه فی دار الدّنیا و اسماء ازواجه فی الآخرة و انّهنّ امّهات المؤمنین و احد من سمّی له زینب بنت جحشٍ و هی یومئذٍ تحت زید بن حارثة فاخفی صلی الله علیه و آله اسمها فی نفسه و لم یبده لکی لایکون احدٌ یقول من المنافقین انّه قال فی امرأةٍ فی بیت رجل انّها احد ازواجه من امّهات المؤمنین و خشی قول المنافقین قال اللّه عزّوجلّ: و تخشی النّاس و اللّه احقّ ان تخشاه یعنی فی نفسك و انّ اللّه عزّوجلّ ما تولّی تزویج احدٍ من خلقه الّا تزویج حوّاء من آدم علیه السلام، و زینب من رسول اللّه بقوله عزّوجلّ: فلمّا قضی زید منها و طراً زوّجناکها، و فاطمة علیها السلام من علیّ علیه السلام.... ۷۴۰

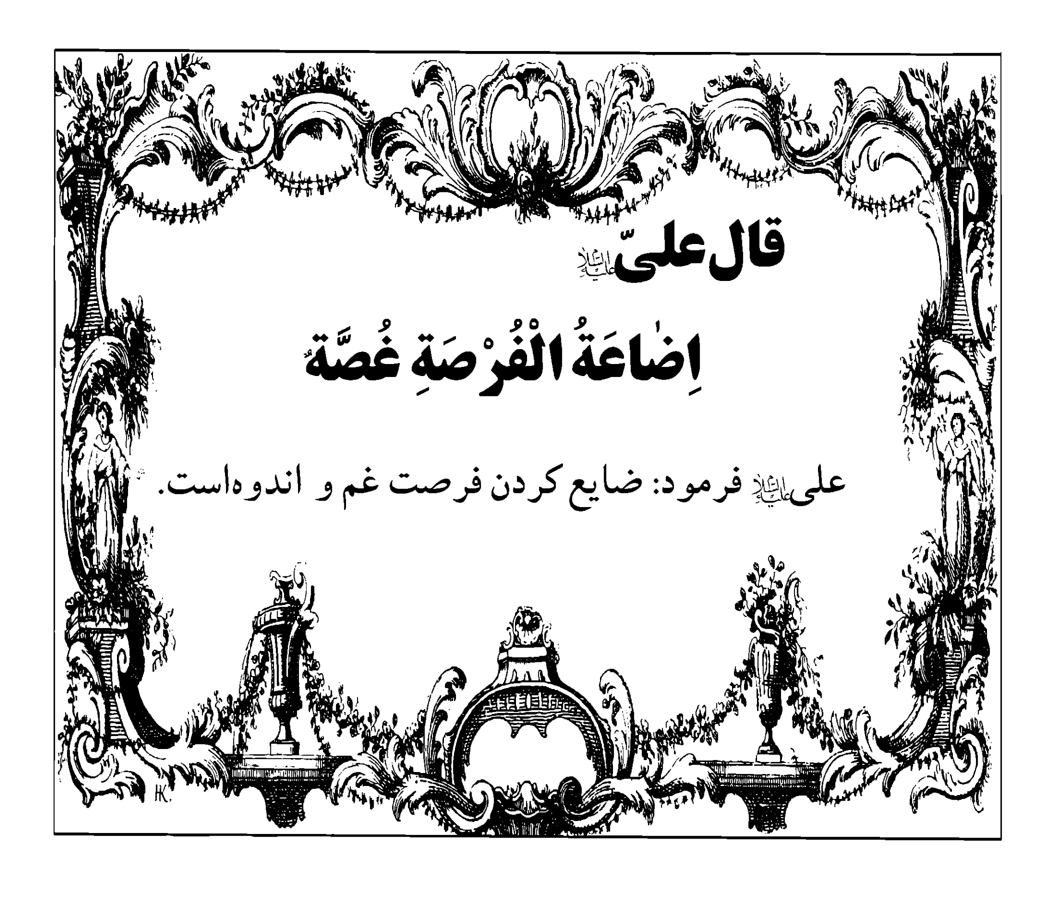
و عنه علیه السلام: انّ رسول‌اللّه صلی الله علیه و آله قصد دار زید بن حارثة فی امرٍ اراده فرأی امرأته تغتسل فقال لها، سبحان اللّه الّذی خلقك و انّما اراد بذلك تنزیه اللّه عن قول من زعم انّ الملائکة بنات اللّه (الی ان قال) فقال النّبیّ صلی الله علیه و آله لمّا رآها تغتسل: سبحان اللّه الّذی خلقك ان یتّخذ ولداً یحتاج الی هذا التّطهیر و الاغتسال، فلمّا

فهرست ابیات

زان سبب جانش وطن دید و قرار اندر این سوراخ دنیا موش وار۲۹۸
هم در این سوراخ بنّایی گرفت در خور سوراخ دانایی گرفت۲۹۸
پیشه هایی که مر او را در مزید اندر این سوراخ کار آید گزید۲۹۸
زانکه دل برکند از بیرون شدن بسته شد راه رهیدن از بدن۲۹۸
نی غلط گفتم که گر کر سر نهد پیش وحی کبریا سمعش دهد۳۴۸
آینه‌ی دل چون شود صافیّ و پاك نقشها بینی برون از آب و خاك۵۰۰
هم ببینی نقش و هم نقّاش را فرش دولت را و هم فرّاش را۵۰۰
چون خلیل آمد خیال یار من صورتش بت معنی او بت شکن۵۰۰
شکر یزدان را که چون او شد پدید در خیالش جان خیال او ندید۵۰۰
ما سمیعیم وبصیریم و هشیم با شما نامحرمان ما خامشیم۵۲۸
چون شما سوی جمادی می‌روید محرم جان جمادان کی شوید۵۲۸
از جمادی در جهان جان روید غلغل اجزای عالم بشنوید۵۲۸
فاش تسبیح جمادات آیدت وسوسه تأویلها بر بایدت۵۲۸
چون ندارد جان تو قندیلها بهر بینش کرده‌ای تأویلها۵۲۸
ای‌که خاك شوره را تو نان کنی وای که نان مرده را تو جان کنی۵۳۰
عقل و حس را روزی و ایمان دهی ای که خاك تیره را تو جان دهی۵۳۰
میکنی جزو زمین را آسمان می‌فزایی در زمین از اختران۵۳۰
هم دعا ازمن روان‌کردی چوآب هم‌ثباتش بخش وگردان مستجاب۵۴۸
هم تو بودی اوّل آرنده دعا هم تو باش آخر اجابت را رجا۵۴۸
چون خدا از خود سؤال و کدّ کند پس سؤال خویش را کی ردّ کند۵۴۸
هم دعا از تو اجابت هم ز تو ایمنی از تو مهابت هم ز تو۵۴۸
سیر زاهد هر مهی تا پیشگاه سیر عارف هر دمی تا تخت شاه۵۶۰
یکی میل است با هر ذرّه رقّاص کشاند ذرّه را تا مقصد خاص۶۱۳
دواند گلخنی را تا به گلخن رساند گلشنی را تا به گلشن۶۱۳
گر ز چاهی عکس ماهی وانمود سر بچه در کرد و آنرا می‌ستود۶۱۳
در حقیقت مادح ماه است او گر چه جهل او به‌عکسش کرد رو۶۱۳
مدح اومه راست نی آن عکس را کفر شد آن چون غلط شد ماجرا۶۱۳
اگرمؤمن‌بدانستی‌که‌بت‌چیست یقین‌کردی‌که‌دین‌دربت‌پرستیست ۶۲۹

فهرست منابع


قالَ عَلِیٌّ علیه السلام:
تَرْكُ الذَّنْبِ اَهْوَنُ مِنْ طَلَبِ التَّو
وانهادن گناه ازجستجوی توبه آسانترست.
نهج‌البلاغة کلمات قصار


قال علیّ علیه‌السلام
اِضاعَةُ الْفُرْصَةِ غُصَّةٌ
علی علیه‌السلام فرمود: ضایع کردن فرصت غم و اندوه است.

۳۲۴۸۷۰۰